

المسرح الجديد

مجموعة محتوية على ملحصات أشهر القصص المسرحية

الحديثة التي ظهرت في الآداب الأوروبية

١٣٣٧
قصص
٢٩٨



محمد كامل

المحامي

عبد السلام

ادارة الهلال بمصر

١٩٣٢ هـ

مقدمة

هذا كتاب لست أعلو إذا قلت انه الاول من نوعه في اللغة العربية ، فهو عارة عن ملخصات وافية لطائفة من أشهر القصص المسرحية التي طهرت في القرن الحالي . ولقد شرعت مد عدة أعوام بالخاصة القصوى إلى وضع هذا الكتاب عندما لاحظت ان الكتاب الاواصل الذين عمدوا إلى تلخيص القصص مسرحية كانت أو عادية قد اقتصروا على تلخيصها عن اللغة الفرنسية فقط وعن عدد محدود من الكتاب المسرحيين الذين بدلوا جهداً معيماً في هذه المهمة المسرحية الاوربية ثم دالت دولتهم ، وبذلك انحصرت فائدة القراء عندما في دائرة صيقة محتقة من دوائر التفكير الاوربي ولذا عمدت إلى تلخيص هذه القصص ونشرها ماعا في الصحف المختلفة وأخصها محلات دار الهلال — غير متقيد بادب أمة معينة . أو بقصص كاتب معين . بل جعلت نصب عيني أن أقدم للقراء مجموعة تمثل الآداب المسرحية لأهم أوربا المختلفة . دون تعريق بين اسس الرومانسي وبنديرو الايجليري وروركي الايطالي وبرسنس الفرنسي . ثم اني حتى بالنسبة للادب المسرحي الفرنسي — وهو الجزء الغالب في هذا الكتاب — قد تعمدت أن أوسع بقدر الامكان في تعدية القسارىء بواحد مختلفة متباينة عن (المدارس) العية التي يسمى اليها أنطال المسرح الفرنسي . فيما يجد القارىء قصصاً للبودورمان الذي يسمو على الاعبارات السمية ويقصر قصصه على تحليل فكرة معينة مترعة من أحدث بطرقات (فرويد) في علم النفس ، ويحمل تلك القصص مسرحاً لمرس أروع الآراء الروحية التحليلية العميقة ، اذا به يقرأ في نفس الوقت قصصاً لبرسنس الذي لا ينسى الطيارة وما يجب أن يتوفر في القصة

ما يثير به الا كف ويدفعها الى التصفيق . ولباتى الذى يدعو الى نوع جريء
من أنواع الفلسفة الحديثة عن طريق كشف غريزة المرأة وسر غورها . ثم اذا
به يرى الى جانب ذلك كله صورة مما وصل اليه المؤلفون النبان كارسيل بانويل
وجان جيرودو وبول رينال الذين يتكرون فى كل ناحية من بواحي المسرح
ومخلفون شيئاً لم يكن للاوائل عهد به

ولقد اجتهدت أن أقدم لكل ملخص بمقدمة قصيرة موجزة عن حياة
مؤلف القصة وادبه وقيمه فى امته . وعن الظروف التى احاطت بكتابة القصة
وظهورها حتى يكون القارئ على إلمام لسي بها

ولم يكن غرضى من وضع هذا الكتاب - فى الواقع - أن يكتفى به القراء
ونضيم عن قراءة اصول تلك القطع الأدبية الخالدة فى حياة الامم الثرية .
فلا يمكن أن ينفى الملخص الموجز عن الاصل المسهب . ولكنتى كنت أرمى
- بالعكس - الى اثارة رغبتهم فى الاسرادة من الاطلاع والتقيف بعد قراءة
هذه الملخصات ، خصوصاً وأن قراءة الملخص فى صمغ صفحات قصة مرسله
سهلة ، الذواشوق من قراءة الاصل المسرحى وما فيه من حشو يعمد اليه
عادة مؤلفو المسرحيات . هذا من جهة ومن جهة أخرى كنت أعلم ان النبان
من القراء يتقنون غالباً لغة أجنبية واحدة . ولما كان تقدم المسرح الاوروبى
الحديث غير مقتصر على أمة معينة فقد عمدت الى التلخيص عن المرسية
والانجليزيموعما ترجم اليهما من آداب الامم الاخرى حتى تكون الفائدة أعم وأوفى
هذا هو العرس الذى كنت أتشده .. فهل يعنى الكتاب الجديد الذى
أصمه اليوم بين ايدي القراء على تحقيق العرس المنشود ؟

لست أدري . . .

محمد كامل
الحامى

١١

أما الحياة علم

عن الكاتب الفرنسى لونورمان

مسرح جديد وأدب جديد ! ليس للنظارة ولا للقراء المصريين عهد به الى الآن . بل انه لا يزال الى الآن يناضل فى عنف وقوة ليثبت قدمه فى أوروبا ذاتها . فؤلف هذه القصة التى ألحسها لك اليوم Le Temps est un songe هو الكاتب الفرنسى ه. ر. لونورمان H. R. Lenormand وهو من مؤلفي المسرح الشبان الذين ظهروا بعد الحرب العظمى الاخيرة وكان كل منهم ادخال روح جديدة فى المسرح الحديث . وقد ينقضى وقت طويل قبل ان يتمكن الجمهور المصرى من الاستماع بقصة من قصصه فهو لا يمد فيها الى طريقة مؤلفي المسرح الذى سبق الحرب امثال برنشتين وميريه وفابر وغيرهم أى الى ادخال الحركة والعنف والافتعال فى ابراز المواقف الشعبية . هو لا يمد الى شيء من ذلك بل يريد أن يجعل المسرح أداة لتحليل فكرة نفسية تحليلاً عميقاً غاية العمق . أو للترويج لقانون انساني معين ترويحاً علمياً هادئاً . والغريب فى فن الرجل أنه من أشد المؤمنين بالمسائل الروحية . وهو لذلك يعطى قصصه مساحة من الفصوص والقلق والابهام . وسعى العناية كلها بأن يجعل لها صلة بالشرق : بجاهل أو الهدد أو افريقيا . حتى يتسنى له الدفاع عن فكرة القوم فى تناسخ الارواح وفى امكان احساس المرء بما يمكن ان يقع له أو لاحد المتصلين به فى المستقبل . وهو ما يظهر جلياً فى قصة اليوم «أما الحياة حلم»

كما ان هناك ظاهرة أخرى في قصصه . ذلك ان شخصياته كلها تكاد تكون مريضة، مريضة بنوع من القلق والشك والتبرم بالحياة . وهى لذلك تتمتع وتشفى لانها لا تفهم لهذه الحياة معنى أو هى تريد أن تفهم الحياة وتقلو فى هذه الارادة فلا تستطيع ، حتى تفضل الانتحار عليها تفوز بمعرفة (الحقيقة) المنتودة عن طريق الموت . كما يفعل بطل القصة التى ألحها لك . ولقد برع لونورمان فى رسم هذا النوع من الشخصيات رسماً تحليلاً دقيقاً حتى قال عنه أحد النقاد إنه اقدر مؤلفي المسرح الفرنسي فى اكتشاف خبايا النفس البشرية واسرار العقل الباطن

ومما شئ آخر يلاحظ على (سنة) لونورمان المسرحية . ذلك انه كثير من المؤلفين الذين ظهروا بعد الحرب لا يقسمون قصصهم فصولاً كما يفعل الاقدمون ، بل يحملونها (مناظر) قد تصل إلى عشرة أو خمسة عشر . وقد تقصر حتى لا يتجاوز الواحد منها بضع دقائق . .

والآن فلا قدم لك القصة بعد أن اعطيتك فكرة موجزة عن مؤلفها والنريب أن هذه القصة كـ بعض قصصه الأخرى ظهرت فى جيف قبل ان تظهر فى باريس ثم مثلت على مسرح الفنون فى ٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ فأنارت نقدير النقاد واعجاب الجمهور



نحن فى قصر أسرة فان ايدين . فى عصر أحد أيام الحريف . وهو قصر قديم بمقاطعة أوتخت هولندية . يملكه فان ايدين أحد كبار التجار الهولنديين الذين يستولون بالتجارة فى جاوه والهند وقيمون معظم ايامهم فى تلك الأشحاء الشرقية . نحن فى ذلك القصر القديم اذن وقد أخذت ابنة صاحب القصر وهى الآنسة ريمك « Rimke » تتحدث الى مدام بونك « Beunke » الخادمة التى تشرف على شؤون القصر فتفهم من حديثهما ان « نيكو Nico » شقيق ريمك

وابن رب الاسرة قد قدم من جاوة اخيراً . وتشعر من لهجة ريمك أنها برمة
بالحياة تسكاد تشمئز منها . فهي تذكر والنتها وتعتقد أنها لعلول تمودها على
النياب عنها لا بد أن تكون قد نسيها . وتحس بأنها لو كانت تتحمل عاطفة
معينة لحجزت ونامت عن الحمل فقد أصبحت فتاة عجوزاً رغم أنها لم تتجاوز
الخامسة والعشرين ، وأفضل لها أن تحب بغاه أو سمكة حراره من ان تحب آدميا
فقد نفد هذا الحب البصرى ولم يعد له أثر في قلبها ، وتخرج مدام بونك ثم تقبل
الآنسة « روميه Romée » شابة في الثالثة والعشرين من عمرها طويلة
القامة ممتلئة صحة وفتنة . وهي خطية نيكو . وتتحدث حديثاً غربياً الى ريمك .
فقد شعرت أثناء قدومها ومرورها بجانب البركة الواقعة خارج القصر بانقباض
في نفسها وخيل لها ان الاشجار التي على شاطئ البركة الآخر قد احتضت وان
هناك نوعا من السكون القاتل يسود المسكان . ثم رأت رجلا يفرق في مياه البركة
وقد احتق رأسه بعد ثوان قليلة من رؤيتها له . وهي تقرر انه لم يكن يعد عن
الشاطئ بأكثر من عشرة أمتار ومع ذلك فقد خيل لها أن مسافة بعيدة تفصله
عنها وانه لا يمكن الوصول اليه . وتبدي ريمك دهنتها من تلك القصة الغريبة
وتلاحظ ان روميه تذكر أن الاشجار والاشياء لم تكن على طبيعتها وهي لذلك
تحشى ان تكون روميه هاذية . وان ذلك الرجل الغريق لم يكن موجوداً حقيقة
وان الامر لا يبدو ان يكون حلم يقظة . ولكن روميه تؤكد أنها لم تكن حاملة
وتذكر أنها لاحظت ان الحشائش النامية حول البركة قد قطعت ولكن ريمك
تحببها مذهولة بان تلك الحشائش لم تقطع قط ، وتدهش روميه ثم تسأل عما
اذا كانوا لم يضعوا في البركة قارباً اخضر فتجيبها بالنفي وتذهبان الى النافذة
فتجدان الحشائش على ما هي عليه وانه ليس هناك قارب ما . وتمود ريمك فتعلم
ذلك بأن تلك الاشياء التي رأتها روميه ربما كانت قد حدثت في الماضي . ولكن
روميه لا تعتقد في الاشباح وستدعيان مدام بونك وهي خادمة عند اصحاب

القصر الاولين وتسألها ريمك عما اذا كانت الحشائش قد قطعت في ذلك العهد فتجيبها بان صاحب القصر السابق قد قطعها وتذكر أيضاً ان ابن سيدها السابق كاد يغرق في البركة لولا انه كان قريباً من الشاطئ. وسمعوا صياح استغاثة فانقذوه وكان ذلك منذ ثلاثين عاماً

وتتقضى ثلاثة اشهر على ذلك واذا بنا في صالون القصر القديم وقد خلا نيكو بمخيطته روميه . ونيكو هذا شاب في الخامسة والعشرين من عمره . شاحب اللون ذو عينين قلقيتين واعصاب نائرة مضطربة . وهما يتحدثان ويذكران ريمك ويقول نيكو عنها انها لا تطيق جو الهند ولا الحياة فيها وهي تفضل الاقامة هنا بين الضباب والمطر مع انه يكره هذا كرها عظيماً . وهو يبدى اشترازه من هذا الجو المظلم الخالك اثناء النهار ويتمس الضوء فلا يجده ، فاذا ابنت ذهنها من حديثه اجابها بأن اسرته حساسة بالنسبة لهذه الأمور المتعلقة بالجو والضوء ، ويذكر لها انه كان يوماً على قمة جبل في جزيرة سيلان وكان هناك ضباب وردى اللون يغطي الصخور وترتد الشمس بضوئها الوهاج فجاء سمع صوتاً لم يستطع تفسيره ولكن خيل له انه صادر من الشمس وكان هادئاً ناعماً قوياً ثم سكث بعد بضع ثوان كما لو انه قد ادى دوره وانتهى ، كان ذلك الصوت كالحياة ذاتها ! اليست الحياة البشرية موسيقى مفروض فيها ان نقف عن المزف فجأة رغم سابق انذار وبلا سبب معقول رغم روعة تلك الموسيقى ونقائها ؟ وهو يتم كلامه قائلاً :

— آه ! عندما سكث ذلك الصوت الجميل فهمت حقاً سخافة قوانين

الحياة . تلك السخافة الوحشية التي لا فائدة منها ؟

ويخرج نيكو ثم تقبل ريمك ومدمام بونك فتذكر الاخيرة ان نيكو قد أمر بقطع الحشائش النامية حول البركة . فاذا خلت الفتاتان فروميه واجفة تقرر ان المكان يبدو لها بعد قطع الحشائش كما رأته منذ ثلاثة اشهر وهي تسأل ريمك

عما اذا كانت اجبرت شقيها بما حدث لها هناك فتسنى ذلك . وعندئذ ترجو ^{بما} ان تتركها وحيدة معه فهي ترغب ان تسأله بضعة أسئلة ، فإذا خلت به فهما يتحدثان عن التيجيم والمنجمين وهو يذكر لها انه التقى مرة في مدراس بكلمن هندی ذكر له أشياء عجيبة عن مستقبله تحققت كلها بعدئذ . وهي تسأله عما إذا كان في مكتة امرأة رأته مصيبة تهدد الشخص الذي تحبه ، إنها مثلا ، ان تنقذه منها ؟ فيجيبها بأن ذلك مستحيل ، فإذا سأله عما يجب ان تفعل أجابها :

— لا شيء تنعذب في صمت . . الى ان تقع المصيبة

ثم يخرج نيكو وتمود ريمك وعندئذ تعترف لها روميه بأن ذلك الوجه الذي رأيته يفرق في الماء هو وجه نيكو . وهي توفن الآن بأن مارأته لا ينصرف الى الماضي وإنما يتعلق بالمستقبل !

فإذا انتقضت فترة أخرى فنحن لانزال في القصر وقد خلا نيكو بروميه وهو يبيتها قلقه وحزنه من الحياة في ذلك القصر امام تلك المياه الراكدة الميتة وبين أولئك الحيران الذين يفكرون إلى الحياة الحققة فهم والجدران سواء . وهو يغلو في الشكوى من ذلك الالم المستحوذ عليه والذي ينقص عليه عيشه فإذا سأله عما به أجابها :

— انه الشك... الشك من كل شيء ... من الحياة . من الاشياء . من نفسي . عندما كنت طفلا كنت أتحيل أن كياني لم يكن إلا خيالا ووهما . لم أكن أجد أدلة كافية تقضى باننى احىي وأعيش ... وبعد ما كبرت قليلا لاحظت أثناء دراسة الفلك ان تقديرات علمائى عن حركات الكواكب لم تكن صحيحة الاعلى وجه التقريب . أى أن الشك والريبة في محبتها كانا يطرقان الى ذهنى دائما . وعلى ذلك بدأت أشك في وجود تلك الكواكب ... وسأملت نفسي لم لا تكون نوعا من الزينة في السماء أو من الاشياء الوهمية التى ينخدع بها النظر بدون أن يكون هناك ارتباط بين ذلك وبين ما يغلته الانسان عن بعدها ووزنها وحجمها . وقد

كاشفت أحد العلماء بهذه الفكرة فقال لي انه فهمها وانه لايراهها سخيقة .. في تلك السنة أردت أن أتحرر !

وقد وفق المؤلف في هذا الموقف كل التوفيق وأجاد تصور الشخصيتين كل الاجادة . فلا تكاد روميه تسمع من حبيبها انه فكر في الانتحار حتى يتبادر الى ذهنها ذلك المتظر الذي رأتة منذ مدة فتسأله عما اذا كان أحد قد أقذه وانتقله من الماء ! ولكنه ينهش من ذكر الماء إذ انه لم يرد على لسانه . وهو يخبرها بانه كان يريد الانتحار بواسطة شق نفسه بحبل ولكن الحبل انقطع

ثم يتحدثان عن الحب فتتسمر بان روميه تحبه ولكنه لايزال على قلقه واضطرابه حتى فيما يخص هذه الناحية . فقد كان يعتقد انه سيجد الخلاص من آلامه في خطيبته فخاب هذا الامل . فاذا خلت روميه بريك فانتقهم من حديث الثانية ان شقيقها قد اعتزم تأخير سفره مع زوجته الى الشرق وهما يذكران نيكو والشك الذي يقض مضجعه ويتص عيشه، وتقرر روميه انها كانت مصابة بذلك النوع من القلق ولكن الحب شفاها منه . وهي تحس بان المستقبل يحبه لها في ثيابا القدر صدمة ثقيلة تترزل كبتها وهي لا تدرى لذلك سبباً ولكنها يمكن تحيها :

— ومع ذلك فانا لا أستطيع ان امنع نفسي من التفكير في ان تمسير السر ينحصر فيك أنت

وتدهش الاخرى من ذلك ولكن ريمك تستمر قائلة :

— انك عند ما رأيت ذلك الوجه في البركة لم يكن هناك أى خطر يهدد أخى . لم يكن الامر ككشفنا عن سر الماضى أو المستقبل بل كانت مجرد وهم وهذيان ... ولكن منذ ذلك الوقت واتراقكر فيما اذا كان وهمك سوف يتحول الى حقيقة واقعه

وتفهم من هذا الحديث أنها تمقّد بان للأفكار عدوى كعدوى الأمراض .
فما حلت به روميه يمكن أن يحل به نيكو . وهي قد نقلت — بدون أن تلم — تلك
الفكرة إليه وهنا منعاً للخطر

ثم يثران على خطاب اعترّف نيكو إرساله إلى أحد تجار القوارب وفيه يحبره
أنه وقع اختياره على القارب الأخضر ورجو إرساله في ظرف اسبوع .
وتذهل روميه من ذلك . إذ مذكر القارب الأخضر الذى رآته في البركة ولم
يكن له وجود إذ ذاك . وتعلمتها ريمك فلا داعي للخوف مادام لسيما علم بالخطر
وفى استطاعتهما تفاديه . ولكن روميه تذكر أنها ارتكبت خطأ فاحشاً منذ
أيام عندما تحدث إليها نيكو عن مرضه وعن رغبته السابقة في الانتحار . فقد
تصورت أنها فهمت كل شئ . وسأته عن انتشاله من الماء . وينتهى التظنر بهذا
الحوار المدهش

ريمك — وبعد ؟

روميه — نظر إلى مندهلا . فلم يكن قد التى بنمسه في الماء بل علق نمسه
بجبل . (تبكى) أنت محقة . . انى انا التى أعطيت هذه الفكرة . . وانا التى
سأفقد . .

☆☆☆

ويحلو نيكو يوماً إلى خادمه سيد الذى احضره معه من جاوه وهو لا
يزال يتحدث عن قلقه وحيرته ويذكر أن شقيقته تحبه وخطيبته تحبه ومع
ذلك فهو منذ مدة لا يستطيع أن يتحدث إليهما ، ثم ينحصر إلى ماء البركة
خارج القصر ويقول لحسامه وهو يشير إلى مجموعة الفراش التى تحوم حول
الضوء :

— مد ارسع ساعت لم تكن حياة هذه الحشرات قد انتصمت . ومع
ذلك فهى نسمر لأنها قضت على سطح الماء ثلاثين أو أربعين عاماً من حياة النسر

وفي هذا المساء — بعد عشرة اعوام — ستموت تحت الحشائش ... انما الحياة حلم ياسيد ...

وهو يذكر الموت في غير اكرات . وأنا أشعر برغبة اكيدة في ان أترجم لك ما ذكره المؤلف على لسانه إذ يقول :

— الموت ليس هو النوم ولا الحلم .. اننا نحلم الآن ... الاشجار والارض والبحار . هذا هو الحلم الذي لا يفسر . اما الموت فهو اليقظة وربما كان فيه الوصول الى تلك النقطة من الابدية حيث لاتصح الحياة حلاً

ويتعرج الخادم ان سيده شق ويسأله : « ألا تحب شيئاً على هذه الارض ؟ » فيجيبه مفكراً : « أحب الماء »

وهو يذكر انه في بادى الامر لم يكن يحب الماء في هذه الجهة ولكنه بعد أن اطال النظر اليه بدأ يحب

وهو لا يدري لم يذكره هذا الماء بروميه فسطحه دائم التأثير والاضرب كرومي . واذا فوجئت روميه بشيء أزعجها فان إحدى وجنتيها ترتمش كصفحة الماء ... وينتهي النظر هكذا

نيكو — منذ وقت طويل كنت أعتقد ان رومي وحدها تستطيع ان تمنحني الهدوء والثقة . أما الآن فأنا اسأل نفسي لم لائكون الحقيقة في قاع الماء ... في أفصى القاع ... تحت العظمى ؟

سيد (بصوت خافت) — إذا كانت الحقيقة تخبني حيث نقول فليجي الخيال ياسيدي !

فإذا كان المنظر الاخير فقد اخنت ريمك تتحدث إلى رومي فتفهم ان ريمك ونيكو مدعوان لحضور حفلة زواج في بلدة أخرى . وتنفقان على ان ترسل رومي برقية بعد يومين تنبه بان والدي نيكو قلقان وان والده مريض ويطلب عودة ابنه إلى جانبه بسرعة

وبقبل نيكو فأذابه على ما عهدناه برم بكل شيء . بالدعوة الموجهة اليه
وبالناس الذين حوله ولكن شقيقته تقبل مسرعة فقد حضرت العربية وتخرج
معه بعد ان تودع روميه التي تغلو إلى الخادم وتحدث اليه عما ألمه نيكو . فيخبرها
انه يبحث عن السيل الذي يسلكه فلا يهتدى اليه . وانه رأى في الهند قدسين
مثله لا يروقه شيء حتى ولا نسازم وشقيقاتهم وأولادهم ولذا يرحلون بصحبة أحد
اتباعهم لشحادة قوتهم .. !

ويدق جرس التليفون وإذا بسائق العربية يقول ان سيدي لم يسافر الآن
سيدته ريمك أغشى عليها في المحطة وقد أسعها الطيب وحالتها ليست خطيرة .
وتخرج روميه وقد أخذت معها زجاجة (اتير) لتدق بهما في المحطة ولكنها
لا تكاد تخرج حتى يقبل نيكو فتقدم له مدام بونك حساب المنزل إذ أخطأت في
بعض أرقامه ، وإذا به يصحح لها ذلك الخطأ فيقول ان سبعة زائدة ثلاثة تساوي
تسعة ، فإذا دهشت من ذلك وقالت انها تساوي عشرة أجابها :

— ولم لا تكون تسعة أو اتى عشر ؟! وتم يذكرك أشياء أخرى تثير دهشة
الخادمة فتطلب اليه ان يستريح ، وعندئذ يصاب بنوبة ذهول ويريد الدخول الى
غرفته ولكنه يتجه الى ناحية أخرى غير الناحية التي فيها الغرفة . ويرفع يده
في الهواء كما لو كان يريد على كنف شخص أمامه ثم يخرج

وتعود روميه وقد احضرت معها ريمك في السيارة وتساءل عن نيكو فتجيبها
مدام بونك : « لقد خرج الآن ... رأيته ينزل متجها الى ناحية البركة ... »
روميه — ناحية البركة ... آه !

(تندفع الى التافذة ولا تكاد تنظر الى الخارج حتى تتأبل كما لو كانت
اصيبت برصاصة ثم تلطم وجهها في هدوء)

ويهبط الستار اذ ذاك . ونفهم أن نيكو قد انجبه الى البركة لينتحر

القلب المقسم

عن الكاتب الفرنسى لوسيان بينار

ستحدث عن كاتب غير معروف فى مصر .. ألا وهو الكاتب الفرنسى لوسيان بينار (Lucien Bernard) وهو من المؤلفين الذين يدعون الى التجديد فى المسرح الفرنسى الحديث ويسدون إلى التحليل النفسى العميق فى قصصهم التى يغنون بها المسارح بل هو يتألى فى ذلك حتى يصل فى دقة تحليله لثنى المواقف والانفعالات المختلفة التى تضطرب فى نفوس أشخاص قصصه إلى محاكاة نوع من التحليل العلمى الذى يمد إليه أمثال فرويد عن أسسها علم النفس الحديث

والقصة التى نترجم تلخيصها اليوم للقراء (القلب المقسم) Le Cœur Partagé مما من ذلك النوع . ولقد مثلت للمرة الأولى على مسرح (الكوميدي فرانسيز) فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ وقامت بدور البطولة فيها الفنانة الفرنسية المروفة مارى تيريز بيلا التى حضرت الى مصر ومثلت فيها بعض قصصها . ولقد قولبت (القلب المقسم) عند ظهورها بعاصفة من إعجاب النقاد واعتبروها فتحاً جديداً فى المسرح الحديث . فهى تحلل عاطفة غريبة من الانانية تبحر فى صدر أب يريد أن يستأثر بابنته دون زوجها . وعاطفة غيرة تضطرب فى صدر روج يرى زوجته تفضل والدها عليه . . لأجل تحليل هذه المواقف الثلاث وضع لوسيان بينار قصته فجاءت قطعة مسرحية تمثلت حياة ونشاطاً ومحبكة

الاطراف في صيئة مسرحية وصلت إلى حد الاتقان الجدير حقاً بالاعجاب والتقدير



نحن في منزل جان لويس مارينيه أحد كبار أساتذة الطب المعروفين في باريس وقد أخذ رب النار يتحدث مع ابنته فريدريك فتعلم من حديثهما أن جان لويس منهمك في القيام ببحوثه الطبية واعداد محاضراته وتصحيح مقالاته التي تنشرها له المجلات الطبية . وإن ابنته فريدريك تساعده في تصحيح تلك المقالات . وتשמ أيضاً بأن ذلك الاستاذ الكبير الذي يبلغ من العمر الثامنة والاربعين يأخذ من اللهو في الحياة بقسط وافر وإن النساء يملن اليه ويتواعدن معه على اللقاء في الخارج . وابنته تحس بذلك وتسأله — في غير ظاهرة — عن علاقته بالدوقة ده مورتريه . وتذكره بذلك المؤتمر الذي انعقد في واشنطن وحضره جان لويس حيث تعرف بسيدة تدعى مسز وتون . وهو ينكر أن له علاقة بتيناك السيدتين . فليس في الامر اكثر من ان الاولى تساعده في الحصول على الاصوات الكافية لفوزه بمضوية المجمع العلمي . وإن الثانية قد أظهرت استعدادها هي وزوجها الذي يعد من اصحاب الملايين لاعانة البحوث الطبية التي يقوم بها في فرنسا . ولكن فريدريك لا تقتنع بذلك . وتلح في أنه قد احب مسز وتون . ولها هي السيدة الوحيدة التي احبها في حياته

وتقبل بدمام ده مورتريه ونشر بمجرد مقابلتها لفريدريك ان هذه الاخيرة لا تحبها ولا يميل اليها قط ، وتقم عليها إذ تدعو والدها لكي يشترك معها في الفناء . . ومحضر بير زوج فريدريك وهو الآخر طيب من تلامذة جان لويس مغرم بالبحث العلمي وله بحوث منشورة . ويخلو الزوجان الشبان بجانب لويس بعد نزول المدعوين ويدلي بير بمشروع جديد . . . ذلك ان أحد الاطباء في الريف قرأ بحوثه وأعجب بها وأنه عرض عليه العمل في الريف مقابل أجر كبير ، وعلى أن يعطيه المئدة الكافي من الاسرة والمعدات التي يقوم

سعمل مجونه فيها وهو لفلك يفكر جدياً فى ان ينتقل الى الريف ما دام فى ذلك نجاحه ومجده وتحقيق آماله. ويبدى جان لويس اعتراضه على تلك الفكرة فهو لا يطبق البعد عن ابنته فريدريك التى تعود أن تكون دائماً بجانبه وتتضم فريدريك الى أيتها.. فهى لم تعود أن تبعد عنه... ولا عن باريس... وهى لا تتصور كيف تكون الحياة فى قرية من قرى الريف بعد أن تسبعت نفسها بالحياة الباريسية، ويبدى بير ما يفهم منه انه متشبث برأيه. فاذا أراد النزول أظهرت فريدريك رغبته فى أن تبقى تلك الليلة مع والدتها ويلاحظ بير انها لم تستأذنه فى ذلك ولكنها لا تنزل الا بعد أن يأمرها والدتها بذلك

وينزل الزوجان ويحلو جان لويس الى كورداى جد فريدريك. وهنا حديث غايه فى المتعة والروعة فهو يعهد لموضوع القصة كلها.. اذ يظهر جان لويس نسيته بان تبقى فريدريك الى جانبه دائماً ويعارضه كورداى فى ذلك ويقرر له بأن الآباء دائماً يربون أولادهم لكي ينصلوا عنهم...

ولكن جان لويس لا يقتنع بذلك بل يصصر على رأيه. ويكفهر الجسو ويتساقط الثلج ويستأذن كورداى فى الخروج فيعرض عليه جان لويس استمداه فى أن يصحبه الى منزله سيراً على الاقدام وينتهى الفصل بهذا الحوار كورداى — فى هذا الثلج المتساقط؟

جان لويس — (يمسكه من ذراعه) أجل أجل. سيفيدنى السير مدة طويلة فى البرد (يمرح جان)



فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة النوم بمنزل بير وفريدريك وقد استلقت فريدريك على السرير وخيم الظلام على معظم الفسرفة. وتشر من حديث فريدريك مع الحادمة أن بير يعمل فى غرفة مكتبه المجاورة وانه يعتم السهر طويلاً حتى لقد طلب أن يعد له فراش على أحد المقاعد.. وهو يطلب

ذلك للمرة الاولى . فاذنا خرجت الخادمة أدارت فريدريك (التليفون) الموضوع على مائدة بجانب السرير . وتحدثت مع منزل والدها فاذنا علمت انه قد خرج مع جدتها فهي تحب ان يصيبه برد وهي تطلب الى الخادم الذى يحادثها أن يجبر والدها بلتها تحدثت بالتليفون . ويأتى بير من غرفة المكتب وتدور بينهما مناقشة طويلة تمتد حينا وتهدأ حينا آخر . . فهو يلوم عليها افراطها فى حب والدها وتهالكها فى إثارة . وهي تعتب عليه انشغاله بعمله وعدم التفاته اليها . حتى وصل به ذلك الى التفكير فى تصحيثها وحرمانها من الحياة فى باريس لاجل الحصول على معمل فى الريف يقوم فيه بتجربة بحوثه وهو ينكر ذلك كل الانكار ويؤكد انه ان كان أهملها فى الماضى فقد حل حبه لها فى قلبه المحل الاول . وهو يذكرها بان والدها قد عكر صفو ذلك الحب غير مرة . أولها عندما لحق بهما الى القاهرة حيث كانا يقضيان شهر الصل اذ لم يكذب يصل حتى بدأت تتكلف فى مخاطبته وأخبرته إنها لا تجرؤ على أن تبسط معه فى الحديث أمام والدها . وهي تعترف بحبها لوالدها ولكن هل فى هذا ما يعكر صفو حبهما ؟ فيحييها بانه لا يعكره فحسب بل يجمع اتصالها واتحادها فريدريك . هذا جنون

بير . أجل . يا فريدريك . ان والدك دائما ينسا

فريدريك (تجذبه نحوها فى رفق) . أنتظن ؟

بير . دائما . دائما

فريدريك (ترمى بين ذراعيه) . الا فى هذه اللحظة ؟

وهنا يذق جرس التليفون . فاذنا به جان لويس . فيتور بير ويطلب منها ألا تعيب الساعة الثالثة صباحاً

ولكنها تصر على أن تحدث والدها . ولا تكاد تنتهى من حديثها حتى يظهر تبدل فى أخلاقها وطريقة معاملتها لزوجها وهو يلحظ ذلك ويطله بانه نتيجة

اتصالها بوالدها ، وبلغ في وجوب أن ترحل معه إلى حيث يذهب فهذه هي
ارادته ، وهي ترفض وتنهب إلى أنه يجب أن يحتل من تلك الغيرة العجيبة التي
يشعر بها نحو والدها . ولم يفار وكل مافي الامر انها تتبادل مع ذلك الوالد عاطفة
طبيعية ؟ ويطلب منها أن تثبت له حبا بقبول السفر معه فتستهله فترة للتفكير
في الامر ولكنه يأتي ، فالتفكير في عرفها مناء استنارة والدها ، وهو يعلم
نتيجة تلك الاستشارة مقدماً . ويولي الادبار ويشرق النهار . . ويقل الخادم
ينبه الى انه تحدث مع المحطة بالتليفون وانه وجد المكتب مقلقاً وان القطار
يتحرك في الساعة السابعة وخسين دقيقة !

إذن فقد اعترى بير السفر وأعد معداته . وتساءله فريدريك متى يعود الى
باريس فيجيبها بأنه لن يعود . وتشتد المناقشة بينهما ويتحدثان عن الطلاق
وينسب كل منهما مسؤولية ذلك النقلة الى الآخر ويتهى بير بأن يقول وهو
متجه الى الباب :

بير - ان المسؤول عن شقائنا هو مجرم واحد . . ذلك هو الرجل الذي
أراد أن تحينه اكر منى .. هو أبوك ! (في الخارج) الوداع يا فريدريك
فريدريك (يائسة) - أنت غبي ! غبي ! (تطفئ النور وترمي بين
الوسائد وينزل الستار بينما يسمع صوت بكائها وسط الظلام الحالك)

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في منزل جان لويس وقد أخذت فريدريك
تتحدث مع أخيها عن الاصوات التي ينتظر ان يراها والدها في انتخاب العضوية
بالجمعية العلمية . وتقدم من حديثها انها هجرت زوجها ، وانها لا تزال متشبثة
بحب والدها ، فهي تطلب اليه أن يملأ عليها مقالاته وهي تدونها . وتتحدث إلى
والدها عن أمر طلاقها من بير فقد أفهيا محاميا ان هذا الطلاق يمكن بعد فترة
معينة . وتحس من إجابة جان لويس انه غير مطمئن الى ذلك ويصرح بأنه لو كان واثقاً

من انها لا تزال تحب بير لما تردد في تضحية نفسه من أجلها ..
وبقبل كورداى جد فريدريك ويتحدثان أيضاً عن بير فقد كان كورداى
عنده فى الريف

وتقارن فريدريك بين أبيها وزوجها . فتفضل الاول ويجاول كورداى
ان يثبها عن ذلك فتأتى ولا تقبل منه أن ينتقد والدها ولا أن يتهمه بالأناثية !
ثم يدخل الخادم منبثاً بقدم سيدة أميركية تدعى مسز وتون تريد أن
ترى فريدريك شخصياً . فإذا دخلت فانت تفهم من حديثها ان لها علاقة بجان
لويس ، وانها سألته عدة مرات أن يدعو ابنته فريدريك للترهة معها . ولكنه
أخفى ذلك عن ابنته . وان تلك السيدة الاميركية قد توفى زوجها فأصبحت
أرملة . وأنها اشترت قصراً فخماً فى روما ستذهب اليه مع جان لويس ومع
فريدريك على ان تتخلف الاخيرة فى البلدة التى يقيم بها زوجها بير . . وان
جان لويس سيتزوج تلك السيدة .. وتفهم مسز وتون ان جان لويس قد أخفى
كل ذلك عن ابنته . ولكنها كأميركية تأبى أن تتزوج من شخص إلا إذا كان
حراً حرية مطلقة ليست له زوجة أو ابنة أو طائلة تقيده ، وهى لذلك تطلب
الى فريدريك أن تعود إلى زوجها ، ولكن فريدريك ترفض ذلك فان الخلاف
بينها وبين زوجها قد استحکم ولا يمكن ازالته ، وتسألها عن سبب ذلك
الخلاف فتجيبها انه والدها الذى أراد أن يستأثر بها وجعل اثنائها مع زوجها
مستحيلاً

ويدخل جان لويس الذى يدعش من وجود مسز وتون . وتجبره هذه
الاخيرة أنها محبة بفريدريك وأنها ترجو أن تكون معها عند تناول العشاء
فى المعلم وتخرج فيخلو الأب بابنته . وهنا موقف رائع وفق فيه المؤلف
التوفيق كله . ففريدريك سأل والدها عما إذا كان عاشقاً لمسز وتون فينكر
فى بادى الامر ، ولكنها تستمر فى مجابته بالحقائق التى علمتها .. تهمة بانه سوف

يتزوج تلك السيدة صاحبة الملايين وسينم في قصر من قصور روما ثم تسأله
في ثورة هائلة :

— كل هذا ختم . لك أنت . . أما أنا ؟

ويتعرف بأنه يجب مسز وتون ولكنه يحاول التخلص من المسؤولية . وهل
يسأل هو عن القدر الذي أوقعها في زوج أناني؟ وهي تدفع عن زوجها تلك
التهمة بكل قوتها . فالانانية المطلقة الهائلة هي انانيته هو . ويذكرها بأنه أبوها
ولكنها تدفع فتقرر بأنها فقدت بير من أجله . وهو ينسى عليها رغبتها
الصريرة في أن تفصل بينه وبين من يحبها ، فتذكر بان هذا هو نفس ما فعله إذ
فرق بينها وبين زوجها . ويتحدثان عن بير فهو يذكرها بأنها لم تكن تحبه
وهي تحبب بأنها حقيقة قبل الزواج لم تكن تحبه ولكنها بعد ذلك أحبه .
وكل ما تمناء الآن أن يحبها بير كما تحبه هي . . وهي تذكر لوالدها أنها هجرت
بير وكان قلبها مقسماً بين طائفتين عاطفة حبها لزوجها ، وحبها لآبيها ، ولكن
أنقذها تأتي عليها الآن بعد أن هجرها أبوها أن تعود إلى زوجها ذليلة خاضعة
ويقبل كوردای الشيخ وتخرج فريدريك بنية ارتداء ثيابها لاجابة دعوة
مسز وتون ، ويخلو جان لويس إلى حيه فيفهم منه أن بير موجود في باريس
ويرجوه أن يذهب إليه ويخبره أن فريدريك تود أن تراه ، ويبدى كوردای
خوفه من أن يشتد الزوجان الشابان في كلامهما إذا التقيا ولكن جان لويس
يلح في وجوب أن يحضر بير وسينذهب هو لارتداء ثيابه استعداداً للدعوة
كوردای — آه اتى خائف . اتى خائف . فكرفي أن سعادة حفيدي هي
التي تمرض الآن للخطر

جان لويس (بينما يخرج كوردای يتجه إلى غرفته) — ليست ساعاتها هي

فحسب !

❖ ❖ ❖

فأذا كان الفصل الرابع ففتح لانزال في منزل جان وقد أقبل بير وأخذ يتحدث إلى زوجته فريدريك التي تبدى سرورها الشديد برؤيته وهي لا تعلم كيف دبر أمر حضوره ويخبرها بأنه علم بمسألة اعتزام ابنيها الزواج من مسز وتون . فأذا أبدت له رغبتها في أن تعود حياتهما إلى ما كانت عليه أجلبها بأنه كان يفضل أن تحونه وأن يغفو عن تلك الحيانة على أن تعود إليه بعد أن يهجرها والدها لارضاء شهوة في نفسه . وهو لا يستقد مع ذلك أن والدها قد ملها نهائياً فسيعود في يوم من الأيام إلى التثبيت بأن تبقى بجانبه . . . بمجرد علمه بأنه — أى بير — قد عاد إليها . . . ويدق جرس التليفون . . . فيقول :
— انه يدعوك . . . (بغضب) كما كان يدعوك فيما مضى في كل ساعة من التهار والليل . . أتذكرين ؟

وترفع فريدريك سماعة التليفون فأذا به أحد أصدقاء بير وهو الدكتور داربون الذي يخبره بير بأنه قام بعد خمس دقائق ويتضح أخيراً لبير أن فريدريك لم تستدعه وأن جدتها كورداى قد خدعه إذ أفهمه أنها هي التي أرسلته . وقبل جان لويس فتسأله ابنته عما إذا كان هو الذي أرسل إلى بير يطلب إليه الحضور فيجيها : « أجل . هو أنا » وتفهم بعد ذلك أن مسز وتون قد عدلت عن فكرة الزواج بجان لويس وأن السبب في ذلك هو ماراته من إصرار فريدريك على عدم العودة إلى زوجها إذ هي لا تطيق أن تتزوج برجل ابنته تعيش معه . ويتمم الأب ابنته باتها السبب في ذلك ويطلب إليها أن تذهب إلى مسز وتون وتؤثر عليها لكي تعود إلى قبوله زوجاً وهو موقن اليقين كله باتها هي وحدها التي تستطيع النجاح في هذه المهمة . وهو يرجوها ويتوسل إليها أن تقبل فلا تحيب . وعندئذ يفسر بير ذلك باتها تريد كعادتها أن تستبق والدها ولكنها تكرر ذلك انكاراً تاماً . فهي معترضة مفادرة البيت إذا لم يأخذها زوجها معه فلقد أجرم والدها في حقها إذ

عبث بسعادتها . ويمترف جان لويس بانه من السخف ان يحب وان يتألم في
تلك السن ، ويسر بير بالمعطف عليه مادام قد ضمن ان تكون فريدريك له
وحده ، فهي تقبل السر معه الى حيث يقيم وفي أى وقت يشاء ، ويخرج
جان لويس ويرجو بير منها ان تذهب الى مسز وتون قترضى على أن يذهب
هو معها وتنتهى القصة بهذا الحوار البديع

بير (يتبعها الى المرأة التى تقف أمامها لارتداه قبعتها) . — من أى
نوع تلك المرأة التى تدعى مسز وتون ؟

فريدريك — آه ! امرأة طيبة جداً يا عزيزى (ملتفتة الى بير . بلهجة
تسكاد تكون جلية) ولئى غير جدير بها
— فريدريك . كم تكرهينه ؟

فريدريك — (تستعيد سرورها) ولكن لا يا بير . انى لا اكرهه
(ترمى بين ذراعيه) انى أحبك

المرق الذهبى

عن الكاتب الايطالى جوجلييلمو زوركى

أما فى هذه القصة فسأنتقل بالقارئ الى جو آخر يختلف اختلافاً تاماً عن الاجواء التى عنا فيها الى الآن . فهى قصة لكاتب ايطالى . وأنا سيدأبدأ بقصة « المرق الذهبى » La Veine d'or كأتمودج للمسرح الايطالى الحديث . فؤلف هذه القصة وهو جوجلييلمو زوركى Guglielmo Zorki فى مقدمة أبطال القصة المسرحية الايطالية . وهو من أتباع البقرى جابريل دانوتزو يميل مثله الى المواضيع العواطفية الرائعة والأسلوب الفخم الجميل ولكنه فى الوقت ذاته قد تأثر — كما تأثر الكثيرون من كتاب المسرح الايطالى فى العشرين سنة الاخيرة — بطريقة الكاتب الايطالى المعروف لويجى بيرانديلو Pirandello فى بحث حالات نفسية محتملة . وأزمات معقدة فى صميم الحياة الانسانية وقصة « المرق الذهبى » التى ألخصها لك اليوم هي مثال حى لطريقة البحث النفسى العلمى التحليل الذى يجريه المؤلف على أبطال قصته . وقد مثلت هذه القصة نحو خمسمائة مرة فى ايطاليا ثم ترجمتها الى الفرنسية مدام جان جاك برنار J. J. Bernard . و مثلت للمرة الاولى على مسرح الاوديون فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ ، فقابلها النقاد فى فرنسا بمصقمة من الاعجاب والتقدير . وحيا بكل قلوبهم تلك الطريقة المبتكرة الحديثة فى التحليل النفسى الرائع . ولو أن بعضهم لم

ينس أن يقول إن هذه القصة تمت بصلة شبه إلى قصة الكاتب الفرنسي هنري
باتاي المسماة «الأم كوليرى» Maman Colibri

نحن في قصر الكونتس اوزيمى Usberti وهى سيدة فى السابعة والثلاثين
من عمرها تسمى ماريا Maria جميلة فاتنة . حياثة بالعاطفة . يبدو عليها أنها
مازال طفلة صغيرة . ولقد تزوجت هذه السيدة منذ عشرين عاماً وهى فى
السابعة عشرة من عمرها لا تكاد تعرف عن الحياة شيئاً . ولكن زوجها هجرها
بعد الزواج بخمسة أشهر ، وتركها تحمل بين أحشائها جنيناً ، هو ابنها كونراد
Conrad

وانت تعلم منذ بدء الفصل شيئاً كثيراً عن حياة هذه الأسرة . من حديث
يدور بين زائرين قداما لرؤية ماريا . ها البنى Albani . أحد أساتذة الامراض
النفسية والعقلية فى ايطاليا . وجوى مانفريدى Guy Manfredi . الشاعر
الشاب الذى لم يبلغ من العمر الرابعة والثلاثين ، ومع ذلك فقد ذاعت شهرته فى
ايطاليا وفى الخارج ، وتهافت القراء على شراء كتبه وقصائده

ويقبل كونراد ابن صاحبة القصر قائما به شاب فى العشرين من عمره . قوى
البنية جميل . يتحدث الى جوى الشاعر فتفهم انه صديقه الحميم ، وانه تحدث الى
والدته عنه فرغبت فى التعرف اليه بعد أن قرأت قصائده

ثم تقبل ماريا ، وتحدث الى جوى عن كتابه الجديد الذى يمتزم اخراجه
والذى قدم خصيصاً لزيارة بعض الأماكن الأثرية من أجله

ويذكر جرس التليفون ويحجب كونراد فإذا بالتحدث ابنة عمه الكونتس
اميلى Amélie وإذا به يداعبها مداعبة طويلة ، ويدعوها للحضور الى القصر .
وإذا بهذه الدعوة تقابل بنى من الدهشة من جانب والدته إذ أن اميلى لم
تعود الحضور فى المساء

ومحلو جوى الى الاستاذ البانى ، فيخبره الاخير بأن الشاب كونراد قد تعلق

بحب ابنة عمه اميلى رغم انها تكبره بنحو عشرة أعوام ، وان هذا الحب يعرضه للخطر ، إذ انه شاب لم يتجاوز العشرين من عمره . وليست له أية دراية أو خبرة بالحياة فقد كان فى حضانة أمه منذ ولادته الى الآن

وتفهم من حديثهما أيضاً أن ماريا قد كرست حياتها لولدها كوزاد منذ هجرها زوجها بعد خمسة أشهر من زواجهما ليهرب مع عشيقته الروسية وان هذا الزوج يعيش الآن فى يتروجراد ، وأن ماريا قد تمزت بولدها عن هذا المهجر وظلت روحها حية قوية غير مكترثة لشيء . وكأنها استعادت كيائها كفتاة بكر عذراء !

وتقبل اميلى وتحدث الى كوزاد حديثاً طويلاً كله عاطفة وشعر وإحساس خفى مكنون . . . وتكاد تشعر ، من خلال هذا الحديث — رغم ما أحاطه به المؤلف من غموض — ان هناك حباً متبادلاً بين هذين الشخصين فهى تقدم له وروداً قطعاً من الحديقة وتدفى هذه الورد من أنفه ليستششق غيرها . ثم تقول له :

— أعد لى هذه الوردة ذابلة . . . الاتريدها ؟ اذن فأنا أضنها هنا .
(تضحك على المائدة) ولكن احذر إذ هى مادامت هنا فتسبب بسرعة كما أقول لك

ثم نخرج ضاحكة

وتدخل ماريا فى تلك اللحظة وتفهم ما يدور بينهما من مجرد النظر اليهما . ويدعوها كوزاد للخروج معه الى الحديقة مع باقى الضيوف . ولكنها تتنذر وتسمح له بالنهاب وحده بعد أن تلاحظ القلق الذى يبدو على وجهه والحجل الذى يعتره

وتدير ماريا رأسها الى الباب الذى خرج منه ابنها وبعد قليل تجلس على أحد المقاعد ويبدو عليها كأنها تحس بأن ابنها قد اقترب منها نهائياً ونصل الى

سمها ضحكات اميلي المرحه . وتبقى فترة صمت وسكون رهيب ثم يقبل
جوى وتحدث اليها فاذا به يلاحظ اميلي تفرى كوزاد وتفتحه ، وإنا بما ربا
نقول له :

— ولكن على شرط الانتزعه مني محاماً

ثم يتحدثان عن الكتاب الجديد الذى يعزّم جوى اصداره ، فيسرد لها
الساعر الشاب كيف ان هذا الكتاب يدور حول شخصية (افروديت) الاغريقية
تلك الشخصية القصصية التاريخية المعروفة وكيف انه ذهب لزيارة قبرها ، وكيف
ان روعة حينها تلخص في أنها تزوجت ثم تركها زوجها وانها ظلت تنتظره في
قبرها منذ اربعة عقر قرناً ! ولكن زوجها كان قد وجد امرأة أخرى
ولا رالت (افروديت) تنتظر .. وحناها .. !

وتأثر ماريا من هذا الحديث وتحنى رأسها إذ تذكر حالتها الخاصة ويستمر
جوى في حديثه وأخيراً يقبّه إلى أنه قد أثّر في ماريا تأثيراً قوياً فقف
الكلمات على شفتيه ، وتسمع من الخارج ضحكات عالية يبدو من خلالها صوت
اميلي واضحاً

وتدخل اميلي وقد بدا عليها انها تأثرت من شرب السبانيا فقلب مع
كوزاد وباقى المدعون وسعالي ضحيجهم وضحكهم

ثم تخطو ماريا إلى انها فيقرب منها وينحصر إلى عينيها في حنان لاحت له .
وتقبله في حينه وهى تطلب اليه ان يذهب إلى فراشه وان يعتى نطائنه لثلا
بتعرض للبرد

وتخرج ماريا فيقرب كوزاد من المائدة وتناول الوردة التى كانت قد
تركها اميلي ونظر اليها ثم يلتفت إلى الباب الذى خرجت منه والدت موضع الوردة
ناية ثم يخرج



فإذا كان الفصل الثاني فنحن لا تزال حيث كنا وقد اقبل الشتاء واتهمر الثلج فغطى الحديقة بطبقة بيضاء ، وقد سارت علاقة كونراد مامبلي في مجراها المادى ، ولكن نضمت في الوقت ذاته علاقة أخرى بين ماربا والساعر جوى مانقرىدى صديق ابنها . فهما يخرجان للتنزه وزيارة الأما كن الاثريقما ، وهما سعيدان بهذه الزيارات يقومان بها لجمع المعلومات اللازمة لكتاب جوى الجديد وماربا تسرد في اسباب كيف أن الدليل كان يقودها بين أروقة أحد الماخف المظلمة ، وكيف انطفأ مصباح الدليل أثناء سيرهما فساد الظلام ، وكيف أنها اعتمدت على ذراع جوى وضغطت عليه من الخوف . وهي تلوم ابنها كونراد لأنه لم يصحبهما في تلك الزيارة ، ويستمر في وصف شعورها والاثر القوى الذى تركه تلك الزيارة بصحة جوى في نفسها . ويسمع ابنها إلى ذلك ولكن بغير اكترات ولا اهتمام . ونسأله أمه بضمة أسئلة فيجيب في تراخ وكأنه غير مسرور من خروج والدته مع جوى . غير أنها سألته عما اذا كان سيتناول الغداء معها أم لا فيجيبها أنه سيتناوله في أحد المطاعم ١

وتحدث كونراد الى جوى فتعسر أن الاول قد بدأ يحمل في نفسه ضغينة نحو صديقه . فهو يسخر منه وينهك عليه ويذكر له أنه يستطيع أن يلتمس وحي شعره وفنه في أحد (الاسطبلات) فهناك يعمل الشعر ١١

ثم يتدرج في حديثه ويفهم جوى ما يريد أن يقوله ، ولكن بلهجة خفية مستورة غير واضحة ، فهو لا يطبق أن تخرج والدته معه وأن تهزأذكرى والده فإذا خرج كونراد فماربا تبكى إذ يتضح لها أن ابنها قد اشتد في علاقتها بجوى . وهي تبدي لجوى رغبتها في ألا يطيل إقامته . فيقترح عليها أن يتطاهر بوصول رسالة برقيه تستدعيه إلى بلدته ويتحل ذلك سبباً لسفر ويدكرها جوى بالايام السالفة التى بدأت فيها العاطفة المشتركة المتبادلة تتحرك في صدرهما ويدكرها بالمصادفات العجيبة التى كانت تجعلهما يتقابلان ، وعلى غير موعد في

أما كن معينة خارج المدينة . وهى تستوقفه وترجوه منه ألا يستمر فى حديثه
فببسميحها عنراً ثم يخرج

ويسود فى الغرفة ظلام لا يضيئه الا انعكاس للمان الثلج فى الحديقة . ويعود
كونراد فتعبره ماريا أن ماتفريدى كلفها أن تودعه فقد وصلته برقية من والدته
نستدعيه الى تورين وأنه لن يعود مطلقاً بعد ذلك

وتظل ماريا صامتة وهى تقاوم طائفة حادة عنيقة تضطرم فى صدرها .
ونتهى الفصل بهذا الموقف الحبيب

كونراد - أماه ! . . (يقرب منها بسرعة ويسقط على الأرض ثم يخفى
وجهه بين ركنى والدته ويقول اذ يبكي مضطرباً) : أماه . . أماه . أنت قديسه ! .
أماه . . أماه ! .

ماريا (فى أثناء صياحه المحزن تداعب رأسه وتمتعه من الكلام) - كلا . .
كلا . . لا تكلم . . لا تكلم . .

فإذا كان الفصل الاخير فقد أقبل الربيع وانقضى نحو ظم على ماتقدم .
وطدت ماريا وابنها كونراد من رحلة طويلة قاما بها فى أنحاء أوربا . ولكلك
تلاحظ على ماريا تعباً كبيراً . فقد فقدت تلك الروح المرحية التى كانت تبدو
بها ، وأصبحت دأمة المبوس والتفكير . لا تكاد تجده شهوة للطعام أو الشراب
وتساقى مشقة هائلة فى الحصول ولو على قدر ضئيل من النوم

ويقبل الاستاذ البنى استاذ الامراض النفسية والعقلية . كما تقبل اميلى
لتحية ماريا وابنها بمناسبة عودتهما . وتقيم من حديث اميلى مع كونراد ان
الشاعر جوى مافريدى قد حضر الى البلدة مند شهرين ولكن أحداً لا يراه
فهو موجود دائماً فى احدى الكنائس ينقب على مستندات تعبه فى كناه
الحديد ، ولو أنها تستد ان هذا الكتاب لن يظهر مطلقاً ! . ويتحدث كونراد الى

الاستاذ الباني فيشكو له سوء حالة والدته . وكيف انه عرضها على أطاظم الاطباء في نابولي وميلان وباريس . ولكن الباني يحس قاتلا :

— اتى أكررك ان الاطباء لا يستطيعون أن يفهموا شيئاً من حالة والدتك ، لان والدتك ليست مريضة . لقد امتاحتها بكل دقة قبل سفرها ، ثم رأيتها مرة أخرى في روما ، وأنا اراها الآن . إنها بصحة جيدة . قلبها قوى وبالاختصار ليس فيها عضو ضعيف . إذن . . إذن . فيجب البحث عن سبب خارج عن جسمها . . هذا هو شخصي

ويدهش كونراد من هذه اللهجة ولكن الباني يتدرج في حديثه فيشرح حالة والدته ، وكيف انها عند ما هجرها زوجها كانت شابة في السابعة عشرة من عمرها . فلما رزقت به حصرت كل جهودها وغلرائها ومشاعرها في حبه والناية به وظلت شابة ناضجة حتى كبر وأصبح شابا . فلما لاحظت علاقته باميلى أخذت تفكر في ان ابنها سيتزع منها وان لها هي الاخرى قلباً كانت أغلقته دون التاس أجمعين ولم يتسع الا لحب ابنها . شعرت هي الاخرى بان شابهها الذي احتزنته مدى عشرين عاماً قد تحرك وأخذ يطالب بحقه هو الآخر . . . ! !

ويذهل كونراد لهذا التقرير الذي أدلى به الاستاذ الباني . ويرى فيه اهانة فينضب ولكن الآخر يقول له :

— اتى رجل هرم وأستطيع أن أقول لناب في العشرين من عمره انه لا يوجد في العالم مبدأ يمكنه ان يقاوم الحياة . يجب ان نتخى أمام الحياة . ان فينا غرائز مقدسة لانهترف بها ونهجل منها ولكنها تقودنا الى فواجع لا حصر لها . .

ويسبح كونراد قاتلا :

— الباني ! الباني !

ثم يسقط على المقعد وهو يحش بالكلية
 ويخرج الباني بعد ان يطلب من كوزاد أن يتسحح ولا يأْس وعمد
 الشاب بعد قليل الى صورة والده منذ عشرين عاماً وصورتها في الستاء الماضى .
 ويرى انها كانت لا تزال محتفظة بمرحها وشبابها بل وطفولتها
 ويستدعى الخادم ثم يعطيه رسالة يأمره بايصالها إلى جوى مامرىدى .
 وتقبل اميلى فتحدث اليه حديثاً مملئاً بالمعاطفة والنسوة والحب
 ويحضر جوى ، فيقبله كوزاد فى بادى الامر مقابلة فائرة . وتردد
 طويلا فى الاقاضة اليه بسبب استنطائه . وأخيراً يفهمه بانه قد استدعاه لكي
 يساعده فى انقاذ والدته من المرض الذى ابتليها بسبب اتراعاها منه . ويخو
 جوى عليه ويبدى له كل حب واخلاص وينسى اسامته له ويعلمته ويعدده بانه
 سيحضر فى المساء . ثم يقول له :

— يبدو لى انك فى قرارة قلبك ، فى تلك الظلمات الحالكه حيث يحتاط
 الحير بالمر وحيث لايجسر الرجال على المبوط خوفاً من الام ، يبدو لى انك
 استطعت ان تجرؤ على النظر الى تلك الظلمات ، وانك قد اكتشفت هناك جمالا
 جديداً . . . اكسعت العرق الذى لقلبك ! وعمد كوزاد يده إلى صديقه
 فيتصافحان . ويخرج جوى على أن يعود فى المساء

ويحلو كوزاد الى نفسه قليلاً ثم تدخل ماريا فتقف اذ تلاحظ ان ابنها يطر
 اليها بينين غريبتين متغيرتين . فتضع الزهور التى معها على المائدة الصغيرة .
 وينتهى القصة بهذا الموقف السرى الرائع

كوزاد (بعد سكوت) — أماء . . (سكوت يجاهد فيه للمرة الاخيرة
 ويضمه شعور وديع هادى) تذكرين . . فى السنة الماضية ؟ اذ كا جالسين
 هنا (يشير إلى المقعد) قلب لى : ان مامرىدى قد سافر ولن يعود مطلقاً
 (ماريا تسمر ان قواها ستخونها فتسند إلى المائدة لكيلا تسقط . ولكنها

تحاول إخفاء ذلك لئلا يلحظ ابنها) كلا.. أتلعين يا أماء... لقد عاد... كان
هنا منذ لحظة (ماريا تحفض رأسها . فقد فهمت انه يعلم كل ما كان بينها وبين
ماتفريدى وإمه من البت ان تنكر أو تحفى ذلك) لقد قلت له ان يحضر هذا
المساء (ماريا تظل صامتة ساكنة خجلة وتهمر الهموع من عينيها فينظر اليها
كوتراد فى حزن وحسب ثم يقترب منها ويلوحها بذراعيه ويدنى وجهها من وجهه .
ويبقى هكذا برهة وهو شاخص الى الامام . ثم يضع عينيه ويهمس بصوت
مرتعش يختلط فيه الحزن بالمرح والخنان) — آه ! . .

السن الحمراء

عن الطبيب الفرنسي لونورمان

والسن الحمراء La Dent Rouge هي قمة جبل من جبال الالب الشاعنة التي تحترق فرنسا . وقد أخذها المؤلف المسرحي الشاب هـ . ر . لونورمان H. R. Lenormand عنواناً لقصته التي ألحسها لك . وهي كثيرها من قصص هذا الكاتب المجدد النابغة تحفة فنية نادرة أشعر سرور شديد إذا قدمها الى القراء ، بل أنا أشد سروراً واعتباطاً لأنني استطعت أن أعطي القراء في مصر فكرة عن لونورمان بعد أن سمعت مسارحنا ان تحرم جمهورها من فنه السامى . فقد ألحست لك من قبل قصة « انما الحياة حلم » ولطك رأيت فيها — للمرة الاولى — نوعاً جديداً رائعاً من الفن التحليلي العميق الهادى الذى يقوم على دراسة نفسية علمية صحيحة لشخصيات القصة وهأنا ألحس قصة «السن الحمراء» . وفيها ينتصر لونورمان لمكرته القيدة التي تقول أن للافكار عدوى كعدوى الامراض ، وانه قد يكتفى أن يتمنى شخص فى أعماق نفسه موت شخص قريب اليه فيموت هذا الشخص بل ويكون موته على الشكل الذى تصوره الشخص الاول

ولقد تمم لونورمان أن تقع حوادث قصته هذه كلها فى سمح جبل شامخ أو على قمة ذلك الجبل . بعيداً عن ضجة العالم ومظاهر مدينته الحاضرة ثم أرسل بطلة القصة وهى كلير Claire التي ولدت فى أميركا إلى ذلك الفصح الجبلى وجعلها

تندمج في أسرة تايراز Tairraz التي لا تعرف عن العالم شيئاً وتسكن ذلك الجبل
 الثاني وترتب على ذلك الاندماج كوارث عدة تزلزلت تلك الأسرة الريفية المحافظة
 على تقاليد الموروثة. وأنب تشمر من سياق القصة انها دعوة ضد المدينة
 الحديثة التي رمز لها بتلك الفتاة الأميركية المولدة. وهذا لا يستغرب على لونورمان
 فهو شاعري التزعة. يحلم دائماً ولا يتصور الحياة إلا حلاً كبيراً يشمل العالم اجمع
 وقد مثلت «السن الحمراء» للمرة الاولى على مسرح الاوديون في أكتوبر
 سنة ١٩٢٣ واشرف على اخراجها الممثل الفرنسي المعروف جيميه

✱ ✱ ✱

نحن في بيت جبلي يسكنه أسرة تايراز بجبال الالب وهي أسرة مكونة من
 جد وزوجة ابن يسمى جان Jeanne وقد توفي هذا الابن في أثناء التسلق في
 إحدى مغامراته الجبلية وترك ولدين هما بير Pierre وأميه Amé. وتضم من
 حديقهم أن بير قد خرج الى الجبل منذ ثلاثة أيام ولم يعد بعد. ولسكنهم
 معطشون على مصيره فقد عرف في تلك الامحاء بالمقدرة التامة على تسلق
 أعلى القمم. وهم يتعرضون في حديقهم إلى ذكر الاجانب فتحد أنهم يسمئون
 لتلك الذكرى ولا يتصورون أولئك الاجاب الاشرار قط. وذلك بمناسبة
 قدوم شخص اسمه جوراس Joras أصله من تلك الجهات ولكنه رحل منذ
 مدة طويلة إلى أميركا وجمع هناك ثروة طائلة ثم عاد الى موطنه الأصلي ومعه
 ابنته كليلر واشترى أراضي واسعة في سبخ الجبل

وتقبل كليلر في أثناء هذا الحديث فانها بها فتاة حديثة التزعة. تحاف من الجبل
 ولكنها في الوقت ذاته لا تتحسر على تركها للبلاد التي ولدت فيها وهي البرازيل
 فانها خلا جوراس الى ابنته كليلر فهو يتحدثها عن رعبه في تنسيق حديقة
 واسعة في تلك الجهات لانه لم يكافح ثلاثين عاماً إلا لينها بعد ذلك. وهو لا

يتردد في سبيل تنفيذ رغبته في ان يرغم امرة تايراز على ان تبيع له جزءاً من أملاكها فقد أصبح هو المالك للتصرف في تلك الجهات . وقبل أحد الرعاة فتساً له جان عن ابنها بير . فيجيبها انه رأى رجلاً على أعلى الجبل . وتشعر جان انه لابد ان يكون ابنها . وهي تهزأ بما يقوله الراعى إذ يبدى خوفه عليه من الشياطين ! فهي واثقة من أن ابنها أقوى وأقدر من غيره على التغلب على كل خطر . وهي تتحدث في ذلك الى جده فتؤكد له أن بير سيصل إلى ارتفاع لم يصله قبله أحد من أفراد الأسرة . وهنا تشعر بعقلية أولئك الناس وطريقة تفكيرهم السخية . فالجد يذكر ان أهل زمنه كانوا يعلمون ما لهم وما عليهم نحو الجبل . فكأنوا لا يتمدون في ارتفاعهم علواً مميّناً موقنين ان الجبل لا يريد ان يشمر يقدم رجل تدوس قته . ولا يجب اغضابه ! وهو يقرر أنه لم يكن يعرف الخوف في شبابه ولكنه لم يكن يريد اغضاب الارواح التي في أعلى الجبل فاذن ارضه الشاب (أميه) في وجود الارواح أجاب انه رأى بنفسه

وهكذا يسير الحديث بين أفراد أسرة تايراز ، يدور كله حول الجبل والتفاخر بالوصول الى قته العالية . فيذكر (أميه) انه عندما يطل من النافذة ليلا يرى القمم تشير اليه وكأنها تدعوه . فيجب عليه اطاعتها والذهاب اليها بل هو يتنزل في القمة الجراه التي تبدو بعيدة من خلال النافذة فيقول :

— اننى سأشرب من دمك الجبل .. وسيلد لي ذلك كما لو كان نبذاً .. !
وبقبل جوراس فيقابه الجد تايراز مقابلة جافة . فهو أجنى يجب احتقاره ومادام قد غادر الجبل منذ ثلاثين عاماً فقد فقد صلة القرابة بهم . ولم يعد ابن الم جوراس كما كان قبلاً . وهو يصيح في وجهه :

— اننى لا أعرفك

فانما طلب منه جوراس أن يحترمه أجابه :

— اننا لا نحترم إلا من نعرفهم !

وتشارك جان في الحديث منضمة الى الجبد تايراز . وتفهم من اجابة جوارس انه قد قدم الى تلك الانحاء لينزوج ابنته كلير من أحد أثرياء بلدة فالسورانش Valsorensche وليضمن لها بذلك سعادتها المستقبلية . فتجيبه جان إن ابنته لا تفكر في فالسورانش وإنما هي تحب ابنتها بير . فيثور جوارس لفلك الخبر ويستهزئ به ككرامته . فاذا خلا الى ابنته فهو يسألها عما انا كانت حقاً تحب بير فتعترف بذلك . ولا تمبأ باعتراضه . فالحب لا يعرف التروة ولا الجاه وهي لا تريد ان تسكن المدن الكبرى . فاذا اتهرها وعنفها . ثارت هي الاخرى وأجابته :

— اتى أفضل ان أفقدك على أن أتحلى عنه !

فيقول لها انه ذاهب معها في اليوم التالي الى فالسورانش وينتهي المنظر بهذا الحوار

جوارس — سأذهب لأبحث عن زوج لابنتي كما يروق لي ... وقبل ثلاثة أسابيع ستزوجين

كلير تهزكتفيها — هذا ما سوف نراه ! (تدخل الى الحديقة يتبعها جوارس)

☆☆☆

فاذا كان المنظر الثاني فقد عاد بير من رحلته الحيلية وأخذ يتحدث الى شقيقه (اميه) عن كلير فيتى عليها ويستهزئ بها . ويذكر انه يضحي قة (السن الحمراء) في سبيل قبلة منها . ولا يصنى الى نصيحة شقيقه وتحذيره لئلا يضل الاجنيات

ويخلو بير الى كلير . وهنا حديث غرام ساذج برى كنت أود أن اترجه لك كله . وينتهي بان يسألها وهو يحملها بين ذراعيه :

— أين أذهب بك هكذا بين ذراعى ؟

فتجيبه :

— احملنى بعيداً . خبثى حتى لا يتمكن أبى من العثور على
وعندئذ يشير عليها أن يذهب بها الى السكوخ الذى فى قبة (السن الحمراء).
فلا يمكن لساقى ابىها الهرم أن تقويا على الصعود إليها . فانما اعترضت على ذلك
بان تلك القمة تعلو عن الارض أكثر من ثلاثة آلاف متر وطريقها وعمر
ردىء المسلك أجليها انه سيجعلها على كنفه وأكد لها ان الحب الذى فى قلبه
أقوى من السيل المتحدر والرعْد القاصف ! فترضى . ويحضر لها جلد تيتل
ويخبرها أن المثل السائر عندهم أن جلد التيتل يعطى القوة والجرأة . ويلف
كلير بذلك الجلد المخصب باطنه بآثار الدم الاحمر وتضحك كلير وهى تلف
نفسها بالجلد وتقول :

— ان جسمى كله يحمر من الدم !

فيجيبها :

— التنى ! التنى جيداً . . . حتى يتسرب الى عروقك ويدخل فى قلبك .
التنى جيداً !



فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى فندق جبلى من الفنادق التى تقوم فى أعلى
جبال الألب على ارتفاع ثلاثة آلاف متر وقد اجتمع فيه عدد من الصيادين
وهواة الصعود الى القمم العالية . ومن بينهم شخص يدعى فورتيه Fourtier
برأس بشفة غرضها الوصول الى قبة (السن الحمراء) ومعها كافة المعدات العلمية
الحدیثة لتحقيق ذلك

فاذا خرج فورتيه وأعوانه أقبل اميه وأخذ يصف بيده الذى تزل مع
كلير فى ذلك الفندق . أخذ يصفه ويلومه على انه ترك آماله القديمة فى الفوز
بالقمة من أجل تلك الفتاة الاجنبية ويحاول بكل طاقته ان يعرضه على مصاحبة
فى الصعود الى القمة فلا يفلح مطلقاً ، وعندئذ يجبره انه سينهب بمفرده إذا ان

شرفه بأبي السباح لغريب عن الاسرة كفورتيه بالوصول اليها أولا وقبل أى فرد آخر

فإذا خرج اميه اقبلت كايير وطلبت الى بير ألا يفكر بعد الآن في (السن الحمراء) فالوصول اليها خطر وهي تخبرها انها ظلت طول الليل تخیل تلك الاحجار التي تتناثر من القمة العالية حتى ليخفى أن تكتسح الفدق !

وهي تطلب منه أن يتعهد لها بعدم الصعود اليها مطلقاً فيتعهد بذلك . مع أن ذلك الحيل كان قبل أن يعرفها حياته الوحيدة ويخبرها انها لو طلبت منه أن يضع روحه في فم الشيطان لما تردد ؟

وسمع عن بعد صوت القافلة التي رأسها فورتيه في صعودها الى القمة ثم يتحدثان عن حياتهما الزوجية المستقبلية فتدلي اليه برغبتها واستعدادها في أن تعيش كما يعيش نساء أسرته . وانه سيرى كيف تقى بالمواشى وكيف ستحمل الانتقال على رأسها . فيجيبها أنه يرغب في أن يجعلها سيدة في بيته كالمنراه في الكنيسة إذ هي لا تستطيع أن تشتغل كما تشتغل نساء هذه الجهة وتساله عما اذا كان لم يقرأ شيئاً فيجيبها :

— وماذا أقرأ ؟ ليس عندي كتب

فتقول له :

— أما أنا فلهي مئات الكتب . لدى الكثير منها — ثم يقبل جوراس والد كايير ويطلب اليها أن تتبعه قرفض . وتغيب بينه وبين بير مناقشة تحتد فتصل إلى حد التناحر فينبهكان في ملحة غيفة تنهى بان يتقلب بير عليه . وعندئذ يقول له جوراس وهو يلهث إنه اذا كان يريد أن يأخذ ابنته بعد أن يجردها من كل ثروتها فانه يستطيع له ! فيجيبه بير :

— اتني آخذها

فيقف جوراس ويصارحه انها ابنة غسالة في أحد فنادق البرازيل ! وتبكي
كلير اذ ذاك قائلة :

— انك تكذب ! انك تكذب !

فيقول لها إنه كان يكذب طالما كانت هي ابنته أما الآن فهو يقول الحقيقة
ثم يخرج بينما تسقط كلير متحبة بين ذراعى بير . وتسمع أغنية القافلة التي تصعد
الحيل قادمة في صوت خافت من ارتفاع بعيد . ويذهب بير الى النافذة ويشخص
برهة الى الحيل ولكن بكاء كلير يبيده اليها ليضمها الى صدره

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فتحن في كوخ أسرة تايرازوقدا قبل الشتاء وطاشت
كلير مع زوجها بير في هذا الكوخ وارتدت ملابس لساء الحيل . وأخذ (اميه)
ينشد أغنية جبلية ويكررها . فاذا سألت كلير عن السبب في ذلك اجابها بير انه يقتل
الوقت في موسم الشتاء اما بالغناء أو الحر . لأنه لا يستطيع ان ينাম طول الوقت ،
فتخبره ان غناؤه يزعمها وعندئذ يطلب من شقيقه ان يكف عن الغناء . فاذا
تأفف اميه من ذلك ذكرته بانه يكرها منذ أقنعت بير بالعدول عن فكرة
الصمود الى السن الحمراء فيعرف بذلك ويخبرها بأنها منذ دخلت الى الاسرة
اصبح بير رجلا آخر . وانها مسئولة عن عدوله عن فكرة الوصول الى القمة
وانه لا يستطيع الصمود اليها وحده . ويخفى ان يصل فورتيه وأتباعه اليها قبله
ويفرسون عليهم على رأسها

وتقبل جان أم بير وتطلب الى كلير أن تسهل اليد للجد تايراز فتفعل في
شيء من الامتناع ، وتسخر منها جان لذلك كما تسخر من ابنها بير اذ تراه
يقرأ كتاباً . وتمود فتهر كلير لانها لم تحضر الحساء للجد وتقسو في إهانتها
وتقول لها :

— إذا كنت لاتقوين على العمل فيمكنك المودة إلى أليك !

وتألم كبير من ذلك ونحيبها إنها اشتغلت كما يجب . واكثر مما يجب . ولم تعد تطيق ان تعامل كخادمة . ولا تمأ جان بذلك وتسألها عما اشتغلت طول يومها فتجيبها كبير بأنها لم تشغل مثلهم لانهم متعودون على الشقاء .. ولكن هاقذ قضت ثمانية ايام والتلج لا ينقطع عن السقوط حتى غطى الجدران وتجمع امام الباب والنوافذ وفوق القبة . وخيل اليها انها ستدفن هناك ولن تتمكن من الخروج لاستنفاق الهواء الطلق

ثم يقبل بعض الحيران ويأخذ الجميع في الشراب . ويتحدث أحدهم عن خبر موت واحدة من البلدة . ويذكر انها لن تدفن في المقبرة إذ ان التلج قد كساها بطبقة بلغ ارتفاعها أربعة أمتار فاذا سألت كبير عما سيفعلون بها اذن ، أجابوها ان التقاليد تقضى بوضعها على قبة البيت في فراش من التلج ، وتبقى هكذا حتى يقبل الريح . وترتعد كبير لظنك ولكنهم ينبهونها إلى أنه من الواجب احترام التقاليد

ويستمر الجميع في أحاديث مختلفة ويقوم الجد تايزار ليرقص بعد ان يفرط في الشراب فيتربخ ويسقط ميتاً . وتتجمع الموجودون حوله . وترتعد كبير ارتعاداً عصبياً وتقول جان :

— لقد كان يفضل ان يموت في الحيل كايه وابنه وكل رجال الاسرة ومع ذلك فالموت هكذا خير من الموت تحت الاغطية

ثم تطلب الى الرجال الذين يقبلون أن يحضروا في صباح اليوم التالي ليضعوا الميت على فراشه الثلجي في قبة البيت

✱ ✱ ✱

فاذا خلت كبير الى بير بعد ذلك بأيام فهي نسأله عن السبب في عدم دفن جده في المقبرة فيجبها ان اللج قد ترا كم فوقها ولا بد من عشرين رجلا لكي يقووا على حفر قبر له . فاذا أرشدته الى الطريقة التي يمكن بها الحصول على ذلك المدد أفهمها أن والدته وشقيقه لا يريدان تغيير العادة المتبعة فهناك عقيدة

سارية عندهم بأنه لو تغيرت العادة فلا بد من وقوع كارثة في البيت. وهي تهمه بأنه هو نفسه يخشى من وقوع تلك الكارثة وأنه متأثر بتلك التقاليد خاضع لها فيعترف. ويذكر لها حادثة معينة دفن فيها ميت تحت الاحجار بدلا من وضعه في قبة البيت فكانت النتيجة أن عاد شبحه الى أهل قريته يهدم بالمصائب ولما أقبل الريح احترقت القرية ؟

ومع ذلك فهي لاتنزع بذلك فكل شيء يعطى الا النوم والاكل والحياة تحت هذا الرعب ؟ وهي تصيح طالبة مفادرة البيت فلا يمكن أن تبقى تحت تلك القبة اللعينة ! وهي تتحداه قائلة إنها ذاهبة الى فالسورانش حيث يقيم والدعا . أو الى أى مكان آخر غير هذا الذى تطل عليه جثة الميت . وهو يذكرها بما قالته له قبل من أنها ستحتل كل شيء فى سبيل الحياة معه . فتعترف بأنها اذا كانت أحبه فقد أخطأت فى تقدير شجاعته وعندئذ ينور ويتمها بأنها قد غيرته وصيرته شخصا آخر . ففقد الرغبة فى كل شيء . وأصبح لابلط الحياه بدونها . واذا فقدتها فسوف يتحلم ويقف قلبه ويموت ! وهو يصرح لها بأنه يفهم السر فى ذلك . فاذا قالت له وهي فى غاية التأثر بصوت متعجب :

— انه الحب يا بيبى

أجلبها :

— كلا ! انه ليس حب رجل مسيحي لزوجته . انه السحر الذى يجذب

الملعونين الى روحهم اللعينة !

وعجباها بأنها سحرته وأنه ليس وحده الذى يمتد فى ذلك فان والدته وشقيقه يعلمان ذلك منذ مدة طويلة ، فاذا قالت له :

— ومع ذلك فاست تعلم اننى أحبك . لم أسىء اذن اليك ؟

أجابها فى اقتناع هادىء :

— ان الاسماء ترتكب لاجل الاساءة وأحيانا بدون أن يعلم المسيء
السبب مادامت لديه القوة على الاذى

وتبكي كلير فيلاحظها بير في برود وقد ظهرت عليه امارات الشك فيها
ثم توجه الى الباب وتقول في أثناء البكاء :

— ما دمت تعتقد انى أسوء اليك فدعنى أذهب — ولكنه يصيح بها :
— كلا . انى أحجزك !

ثم يقفل الباب وتساله عما اذا كان يريد أن يسجنها فيقول لها : « اجل »
— فى هذا القبر ؟ تحت هذه الجنة ؟
— أجل

وعندئذ تهدد باضرام النار فى الكوخ ، ونور نائره ويتناول عصا جده
وهوى بها على جسم كلير . وينتهى الفصل هكذا

كلير (تهرب الى اليسار) — آه ! كيف تجرؤ ! آه ! آه !
بير (متابعا ضربها) — سأسقطك الى الارض كما أسقطت أباك ! واذا كانت
العصا لا تكفى لافخراج الشيطان من جسمك فسأخرجه بضرب التعال !

فاذا كان الفصل الاخير فقد خرج بير ليحاول مرة أخرى الوصول الى
(السن الحمراء) وأخذت كلير تجمع الحشائش من الجبل وتحملها على ظهرها . فاذا
تحدثت الى فورتيه فهو يسك فى امكان وصول بير الى القمة بمفرده . فقد وصل
هو — أى فورتيه — الى ارتفاع أقل من القمة بمائة متر مع ان لديه معدات
ليس مع بير شيء منها

ثم يقبل أحد القسوس وتساله كلير عن أيها فيخبرها انه يسرى الاراضى
وبيعها ويشرب . ولكن الهرم قد نال منه وهى تصرح له كيف عاد زوجها

الى السن الحمراء فقد لاحظت أن الحزن كاد يقتله عندما منعه من الخروج الى
الليل . فقالت له ذات يوم :

— بير . انك تستطيع الرجوع اليه اذا كان فيه سعادتك

فا كاد يذوب الثلج حتى خرج مع شقيقه ومعهم الجبال ومنذ شهر وهما
ينامان بين الاحجار . وهى تشكو الى القس تشكك أسرة تايراز فيها وعدم
اطمئنانهم اليها . فقد حدث بعد موت الجدد بأيام ان حضرت جان مع اميه فى
أثناء نومها وأرادا ان يوخزا جسمها بآبرة لكي يقينا مكان الشيطان منه ! فاذا
طلب إليها القس أن تعود الى أبيها مادامت الحياة هناك لاترضيها أجابته :

— اتنى لا أريد مغادرة البيت فانا أحب زوجى

وهو ينفها الى انها تعيش هناك كخادمة فتقول له :

— ولم لا تكون ابنة الخادمة خادمة كأمها من قبل ؟

وهى تتعرف انها أسامت الى بير اساءة لاشك فيها ولكنها هى نفسها لاتعرف
ماهى الاساءة . فهم لا يكتنبون عند ما يقولون ان لديها القدرة على الاذى
فاذا سألتها :

— أى قدرة يا ابنتى المسكينة ؟

أجابت :

— لست أدرى .. قدرة حزينة .. تجعل الشمس أقل وضوحا والعشب أقل

اخضراراً وتسم الحياة

وهى تتعرف بانها يوم ضربها بير تمتت فى أعماق نفسها موته ؟ وودت لو
عاد الى الليل وأسرت إلى نفسها قائلة : « اذهب . اذهب إذن ! . . . وتصبك كارتة
اذهب »

وتتوقف بانها لم تكن تستطيع إسكات ذلك الصوت الذى كان يتردد فى

صدرها وانها تحيلته يسير فوق الثلج وهوى الى الحضيض وهى تقرر رأيا لم تثق منه . ذلك ان الشقاء يتمخض عن الشر والاذى

ثم يقبل الراعى وبنىء أنه رأى بير على القمة ذاتها . وتسرع كلير لذلك . وتهلل جان فرحا وتقول انها كانت تعلم من قبل أن ابنها سيصل الى غرضه . وترفع قبضة يدها الى الجبل فى شجاعة متصرة وتقول :

— ها قد أذلتك أيتها القمة العاتية — ويقبل الحيران عند سماعهم بالخبر ويرون وجوب تحية الشقيقتين اللذين رفا رأس الاسرة فيحيونها باطلاق الاعيرة النارية فى الهواء وينتظرون أن يحجب الشقيقتان تلك التحية باطلاق أعيرة مثلها من أعلى القمة ولكن أحداً لا يحجب !

ويقبل فورتييه ويخلو الى كاير فاذا به يستقد ان الفضل فى وصول زوجها الى القمة يرجع الى قوتها وقدرتها السحرية ولومها على انها لم تنبه تلك القوة فقد كان مستعداً لدفع ما ترده من المال مادام فى ذلك تحقيق للغرض الاسمى . وهو يشير الى ان ميلايتها من الساحرات لا يتركن الناس بعد تحقيق أغراضهم بل يمتهم ولنا فهو يتربص موت بير . والا فلم لم يعد مادام الراعى قد رآه منذ مدة طويلة ؟

ويقبل أحد الصيادين ويحمل نبأ سقوط بير من أعلى الجبل وموته . وتذهل كلير فى بادئ الامر ثم تجهش بالبكاء . ويقبل (اميه) وقد ظهرت عليه آثار الجروح . ويسرد كيف هوى شقيقه بعد أن عجز عن القفز كما فعل هو . وتثور جان فى وجه كلير وتتهمها بانها سممت عقله بسحرها وانها لذلك تستحق الموت وبقرها الموجودون على وجوب التمثيل بها وحرقها كما كانوا يفعلون قبلا بالسحرة ولكن القس يتعرض لهم ويحمى كاير من عاقبة غضبهم . فيخرجون . وتحلو الفتاة الى القس ونسر له انها هى التى قتلت بير فاذا قال لها ان جنونهمو الذى قاده الى الموت أجابته :

— من الذى سم نفسه بالقلق وجسمه باللذة ؟ من الذى جعل روحه
حائرة مضطربة ؟ وعضلاته ضعيفة متراخية ؟ من الذى هدم غريزته الجلية ؟
ومن الذى أرسله الى (السن الحمراء) مرتاباً فى نفسه خائر العزيمة ؟ لولاي
ياسيدى القس ما زلت قدم بير .. وربما كنت أقدر مما اعترفت لك به .. اذ
اتى رغبت فى مونه . ومن يدري ماذا يمكن ان تفعله الرغبة المجردة ؟ وقد تخيلته
يسقط ، ومن يعرف ماذا يمكن ان تقوى على فعله الفكرة المجردة ؟ لقد جرى
الى الموت الذى حلمت به له ! انهم يقولون الحق فقد قتلت زوجي

وتنتهى القصة بهذا الحوار

كلير — انك تستقد فى أمور أكثر خفاء وعموضاً مما أحدثك عنه

القس (ينظر اليها طويلاً ثم يقول فى شيء من الرضوخ)

— أجل —

لقد قتلت

عن الكاتب الفرنسي ليوبولد مارشان

قصة حديثة لكاتب مجدد من كتاب المسرح الفرنسي . . . فقرة « لقد قتلت » J'ai tué مثلت للمرة الأولى على مسرح انتوان في أكتوبر سنة ١٩٢٨ ومؤلفها ليوبولد مارشان Léopold Marchand من الكتاب الذين أظهرتهم النهضة الأخيرة في المسرح الفرنسي . فقد كتب قبل ذلك قصته المعروفة « لم نعد بعد أطفالاً » Nous ne sommes plus des enfants فلاقت نجاحاً كبيراً . إذ أبدى فيها المؤلف قدرة في تحليل حالة نفسية طامة لبعض رجال العصر الحاضر ، ثم كتب بعد ذلك هذه القصة « لقد قتلت » وظل مواظباً على مثله الفني الأعلى من دراسة النفس البشرية دراسة علمية عميقة على ضوء ظروف عواطف معين . فالقصة كلها تدور حول امرأة أحببت ثم غارت فقتلت عنيقها ورأها القضاء . فمعظم الناس يعتقدون أن قصة تلك المرأة تنتهي عند تلك البراءة . ولكن ليوبولد مارشان يخالفهم في ذلك ويبتكر شيئاً جديداً إذ يرى أن العذاب الذي يمكن أن تلقاه تلك المرأة بعد البراءة قد يفوق عذاب السجن . وهو يوالى التطورات التي تطرأ على بطله قصته بمهارة فنية نادرة

وتم شيء آخر جدد فيه المؤلف ولم يخضع لنصوص المسرحية القديمة ، فلو أن برستين أو باتاي أو غيرهما من مؤلفي المسرح الفرنسي في أوائل هذا القرن قد وفق إلى موضوع هذه القصة لحمل منظر قتل المرأة لمسيقها يقع في العصل

الثاني أو الثالث على اعتبار انه عقدة القصة ومحورها . ولكن ليوبولد مارشان لم يفعل ذلك ، بل جعل ذلك المنظر يقع وينتهي في الفصل الاول ، وقصر الفصلين التاليين على تحليل حياة المرأة بعد حكم البراءة

والواقع أن هذا المؤلف جدير بكل تقدير وإعجاب . ولقد جاءت فرقة فرنسية في الشتاء الماضي الى القاهرة ومثلت « لقد قتلت » بين ما منلتهم القصص وشاهدتها فراقتي وأثارت في لنسوة غريبة . وها أنا ألخصها لك راحياً الرجاء كله أن تقدم احدي الفرق المصرية على تقديم قصة من قصص هذا الكاتب الثابتة الى جمهورها . فحرام أن يظل هذا الجمهور المسكين محصوراً في دائرة ضيقة من بعض المؤلفين الفرنسيين الذين اعادت مسارحنا الترجمة عنهم . ولا تريد أن تبعد عن تلك (العادة) ولو خطوة واحدة ..



نحن في ردهة أحد الفنادق الكبرى بنيس ، ذلك المصيف البديع الواقع في جنوبي فرنسا وقد اخذ الكونت فرانسوا ده لارسان Francois de Larçan يتحدث الى ممثلة من ممثلات السينما الامريكيات تدعى ايلين Elen يبدو عليها كل ما يبدو على مثيلاتها الامريكيات من مظاهر الحرية المطلقة والحلق (الرياضي) المستهتر . وتفهم من حديثهما ان فرانسوا قد تعرف الى ايلين في نيس وأن هناك علاقة بينهما قد انتهت الى اتعاقبهما على السفر سوياً الى أمريكا ، ويدق جرس التلغراف اثناء هذا الحديث واذا بشخص يرغب في مقابلة فرانسوا ، وقبل هذا الشخص بعد قليل قائلاً بها السيدة اليزEliise قدمت من باريس لتحدث الى فرانسوا في أمر هام يتعلق بصنيقه بول Poule صديقها الحميمة . اذ أن فرانسوا قد ترك عشيقه بول لحاة بدون ان يحطرها وحضر الى نيس ، وقد طلت بول ثلاثة اسابيع لاسرع اين ذهب !

وتفهم بعد قليل ان بول ملك متزوجة وان فرانسوا أغراها فأجته وأحبها .
ولكنه لم يعد يحبها الآن . وقد بلغت منه القسوة أن أغلق دونها بابها ذات
ليلة حتى أشفق عليها الحشم فاقادوها الى سيارة . وهو يعترف بذلك الى اليز
ومحبها انه لن يعود الى باريس وأنه سيسافر الى مارسييا ليرحل منها الى الخارج .
ولكن اليز تفاجئه بأن عشيقته بول قد حضرت الى نيس معها وقبل ان يتمكن
فرانسوا من عمل شيء يدخل بول ويحلو فرانسوا اليها فتعابه اولاً عتاباً خفيفاً
ورقيقاً يدل على مبلغ تعلقها به وتندرج الى سؤاله :

— قل لي اذن ... ولكن قل لي .. قل لي .. او اصرح في وجهي ! ..
الا ترعب في بعد .. اليس كذلك ؟ انتهى .. ألا تريدني ؟

ويحبها فرانسوا اجابة فائرة باردة لا تشفى غليلها ، وتدور بول في الغرفة
ويدق جرس التليمون فاذا بالتكلم ايلين ؟ تعلب الى فرانسوا أن يسرع بالنزول
فيعدا ان يكون عندها بعد خمس دقائق . وتكون بول إذ ذاك قد اصاحت
بسمها فتبينت أن التكلم امرأة فتصيح به :

— انها امرأة تلك التي كانت تكلمك ! .. اعترف بذلك

فرانسوا — أجل !

بول — عنيقتك ؟

فرانسوا — أجل ! .. هل انت مسرورة ؟

بول (محتقة) — اب .. انت .. تجرؤ .. ان ..

وتدور بول لذلك وتحاول ان تتأر لسكرامتها المهدورة ، فتؤكده انه لا يجب
ان ينمثر من هيئتها الحاضرة فعلها آثار التبع واعصابها متأثرة من الارق
الطويل ويطلب اليه ان ينتظر حتى تسترح وتستجم وتستعيد قوتها وشبابها
وفنتها ! ولكنه لا يبا بذلك ومحاول الحروح فمعه وتهدهم بأنها ستقل معها
وتجنو على ركبتيها وهي تقول له :

— احبك .. احبك .. احبك —

ولكنه يتخلص منها بوحشية ويفتح الباب ثم يخرج فتبعوه وهي تمعدو ويغل الباب مفتوحاً فيسمع من الخارج صوت نضال ومشادة بينهما ، وأخيراً يدوى صوت طلق نارى ويسود صمت رهيب ... !

ويقبل الحدم وتعود بول إلى الغرفة وهي هادئة تماماً وتقول بصوت خاف :
— أنا ... لقد قتلت عشيقى

☆☆☆

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل بول بياريس وقد انقضت سبعة شهور على ما حدث ، سجن بول أثناءها على ذمة التحقيق فى حادثة قتل عشيقها فرانسوا

وأخذت اليز تتحدث الى فالير Valair زوج بول . فتعرف أن هذا الزوج قد أدى شهادة أمام المحكمة كانت كلها فى مصلحة بول . حتى إن الأستاذ اثير Ithier المحامى صرح بأن تلك الشهادة هي السبب فى تبرئة بول . ويصرح فالير بأنه عندما رآها واقفة فى قعص الاتهام رق قلبه لها وتأثر متأثراً عميقاً . فقد اساء اليها اساءة بالغة وأهملها فى سبيل الجرى وراء عسيقاته ومغامراته . كما تعرف أيضاً ان بول قد اخرج عنها بعد صدور حكم البراءة وأنها قادمة بالقطار وحدها الى باريس

وتقبل بول بعد قليل وتتحدث إلى زوجها حديثاً ودياً تخرج منه إلى ان ذينك الروحين قد اساء كل منهما الى الآخر بذلك الزواج ، فالزوج رجل مستهزئ داعر عايت لا يكاد يصلح لحياة مستقرة منتظمة ، والزوجة تعلم عنه ذلك . ويظهر أن فالير قد انتبه الى ذلك بعد حادثة بول فقام باجراآن الطلاق ، ولو أن هذا لم يمنعه ان يؤدى تلك الشهادة التى فى صالح زوجه ... !

وبعد برهة يحضر الاستاذ سيرج اتير المحامى الذى يشغل فى مكتب تقيب المحامين بباريس والذى تولى الدفاع عن بول فى قضيتها . فاذا بسيرج رجل فى الثامنة والثلاثين من العمر . رقيق . خنون . مهذب . قد أظهر عطاء زائداً نحو بول أثناء سجنها مدى سبعة شهور . فكان يرسل اليها بالكتب والمجلات والقصص فى السجن . وبول تذكر له هذا المطف فتصارح بانها الصديق الوحيد الذى يمكنها أن تلمس منه النصح وتتق به . وهو يحشى أن تكون مغالية فى ذلك . فقد طلعت مدة سجنها لاترى غيره . ولكنها الآن سترى الكثيرين ، ولذا يتاح لها أن تبين نقائصه وعيوبه وهى تحبه بأنها تعرفه وقد درست أخلاقه وتحاول أن تثبت له ذلك فتذكر له انه متسامح ميل الى الاعتقاد فى الاوهام والخرافات وانه لاثقة له فى نفسه مطلقاً . وهو يرجو منها أن تسمح له بالخروج معها الى المسارح ودور السينما ، ولكنها تنبهه الى أنها لا يجب أن تصاحب شاباً فى سنه . وتستشيريه فى فكرة الرحيل عن باريس إذ هى حائرة فاذا سأها

سيرج - كيف ؟

بول - آه ! اننى لا أقول هذا لشخص غيرك .. ولكن الحق اننى خائفة . حائرة أولاً من كل ما ينتظرنى ها احتقار الناس أو فضولهم الاصدقاء القدماء الذين سألتى بهم فى الطريق فيطرون الى شذراً وينقلون الى الامريز الآخر هرباً منى

سيرج (فى عتاب) - اتكلمين عن نفسك ؟

بول - اعلم جيداً كل هذا ليس بالأمراً الخطر . . . ولكن هناك شيئاً آخر . . . هالك التليعون الصامت . . . الـ المعلق . . . الصمت (تلقى حول نفسها نظرة) هذه العيبة التى أحس بها والتي لن أنساها ! مع الاسف
سيرج - لا تبالننى

بول - إتنى أعيش فى عالم لا يتغير بسهولة أمثال تلك الجرائم الفاضحة
وهكذا تستمر المناقشة بين بول وسيرج على ذلك الخط المشوق البديع .
فهى معتقدة وموقفة انها مجرمة وقائلة رغم حكم البراءة . وهو يظن أنها تفكر
ذلك التفكير لأنها كانت تحب عشيقها القتل ولا زالت تحبه ! ولكنها تذكر
ذلك وتؤكد له أن الحب يحتاج فى ذلك الظل الهائل الذى يصحب الموت ! وانها
لم تعد تفكر فى عشيقها الا بشعور من الرثاء نحوه والرعب من نفسها !
وهو لا يصدق ذلك ويقول لها :

— اعترفى بالحقيقة وقولي ببساطة .. إن أشد ما اندم عليه فى كل مافعله
هو انه ليس موجوداً الآن لىكى يعذبنى كما كان يعذبنى
ونشر هي انه ينور من أجلكم فتسألها عما اذا كان يحبها فيجيب :
— اتنى احبك حتى الموت !

ثم تعود هي الى ذكر الحادثة التى ارتكبتها فتصرح بان هناك شيئاً ينقص
عليها عيشها. ذلك انها تشعر بانها لم تعاقب على ما ارتكبته وهى تحس بأنها سوف
تتعذب من أجل ذلك وأنها لن تفلت من العقاب . اما سيرج فلا يزال مصراً على
رأيه من انها تتأثر بذكر ذلك الرجل لانه لم يفعل الا انه اساء اليها وعذبها .
وهو يبشها حبه وهيامه فترفض وتصرح بأنها لا تريد ان تحب بعد ذلك . ولا ترغب
فى ان تعرف الى رجل آخر .. إلى رجل قط ... ! ولكن سيرج يؤكد لها
غرامه الشديد . وهي تسخر من ذلك وتصارحه بأن الكلمات التى يستعملها هي
نفس الكلمات التى يستعملها كل الرجال فى تلك المواقف . وينتهى الفصل بسيرج
وهو يقترب منها قائلاً :

— اتنى لا اعرف إلا أن احبك ... كحيوان . كللى لك .. يا حبيبتى ... كللى
لك ... انصتى لى يا حبيبتى . يجب ان تدعى الساعات التسعة تمر وتنقضى ويجب
على الاخضر ان تولبى نفسك ...

وبينما هو يتحدث عن غرامه في حرارة وذلة وتؤدة يهبط الستار ويبدأ

✱ ✱ ✱

فإذا كان الفصل الأخير فتحن في فندق قروي صغير على شاطئ البحر بمقاطعة بريتاني وقد انقضى علمان على وقائع الفصل السابق . وأقبلت بول مع سيرج إلى تلك الناحية لقضاء فترة من فصل الصيف ، وتعرف بعد قليل أن سيرج قد يعود الخروج مع سيدة تدعى آنيت Annette من المصطافات في سيارته . وأن بول قد كلفته باحضار بعض أشياء من الصيدلية فلم يحضرها لانشغاله مع آنيت

فإذا خلت بول إلى سيرج فهما يتحدثان حديثاً عادياً . وهو يريد أن يقبلها فتمنع بحجة أنها في سن تحجب أن يراها أحد وهو يقبلها فيسخر منها وتقبل إحدى الزائرات وتذكر حادثة اعتدت فيها امرأة على صديقها فقتله . ويتحدث الحاضرون عن آرائهم في تلك الحادثة فيذكر البعض ان للمرأة الحق أحياناً في أن تتأمر لنفسها بالقتل . ولكن بول تهاج إذ ذاك وتكر بكل قوتها ذلك الحق ولا تقر أن هناك حالات تبيح ذلك الحق استثناء

وتحلو آيت الى سيرج فتفهم ان ممة علاقة بينهما . فهما يتقابلان في الخارج وهو يمانقها ويقبلها . ولكنها في الوقت ذاته في دهشة من أمره . إذ انه أحياناً بعد أن يقبلها يصيبه شبه ذهول ويفكر في شيء آخر وتعطيه عنوان منزلها باريس فهي معتزمة العودة اليها . ويعدّها بأنه سوف يتردد عليها هناك . ثم يناول يدها ويقبلها بخنو ورقة . وتدخل بول إذ ذاك فتراهما . ولا تكاد آيت تخرج حتى تلفت بول الى سيرج وتحدثه عنها . ويشعر أنها تغار منها ويصارحها بذلك فتكر ، وعندئذ يقول لها أشيله مهمة غامضة عن الاوقات التي كان يقضيها

مع آتيت في الغابة وعن عنوان منزلها في باريس ورقم التليفون الخاص بها فتستد
الغيرة ببول وتقول له :

— آه يا سيرج ... أذكر انك تبعت في نفسى خيبة عميقة لو صح
ما سرده على

— وماذا تفعلين ؟

بول — لا أعرف .. لا أعرف .. ولكن كل شئ ينتهى

سيرج — ينتهى !

بول — أجل .. كل شئ بيتنا ينتهى ..

ويسألها عما اذا كان يمكنها أن تغفو وتغفر له تلك الالة فترفض هذا المو
وعندئذ يسألها :

— ومع ذلك فكم مرة اغتفرت للآخر وعموت عنه ؟

فتراجع الى الخلف مذعورة وتقول :

— ماذا ؟ الآخر أيضاً .. الآخر دائماً !

ويذكرها بأنها كانت تمضل الآخر ومرض عليها صور الخطابات التى
كانت ترسلها اليه فصورها عفوطة في ودوسيه القضية ثم يقارنها بالخطابات التى
أرسلتها اليه .. والفرق بينهما واسع !

وتؤكد له انها تحبه وأنه وفر لها الراحة والحياة الهانئة . ولكنه يحيبها بأن
هذه الامور لا تساوى شيئاً بجانب القلق الذى كانت تشعر به وهى مع الآخر
وعندئذ تقول له في ضحكة حزينة :

— لقد وصلت الى تعديى ... كما كان يعذبنى الآخر ... وكب على
وشك أن تحوننى لسكى تمتحنى وترى موقى من تلك الحياة . اليس كذلك ؟
اذهب الآن . انت حر . لقد انتهى عمك . وانتهى جيداً . لقد خدعت ...
ان القضاء لم يدرئى فيها أنا اكرر الآن عن حريتى

ثم تذكر له أن تلك الفتاة آمنت جدية بأن تحبه . وتقول له إنها لم تعد
تستطيع أن تحب ويتفقان على الافتراق . وتنتهى القصة بهذا الموقف الرائع

سيرج (وقد اخفى رأسه بين يديه يبكي) — ألم تحينى ؟ ...

بول (تقهر نفسها على الابتسام حتى النهاية) — سنلتق مرة أخرى بكل

تأكيد .. إن باريس صغيرة .. اذهب . فكم سأسر إذا أقول لك بعد بضعة أعوام :

« صباح الخير ياسيرج . كيف حالك ؟ » ... ابتسم معى فأنا سيدة لأنك

نفهمنى .. انتظر اقتررب منى . ان « الكرافات » ليست منتظمة ... هكذا ...

أنت جميل ... وشاب ... اذهب

سيرج — ولكنك لو فعلت ذلك ستؤلمينى !

بول — لا تعكر فى ذلك كثيراً

سيرج (يائساً) — هل أستطيع !

بول — شكراً

الماضى الملوئ

عن الطئب الانجلىزى ارثر بينيرو

مؤلف هذه القصة سىرارثر بينيرو Arthur W. Pinero فى مقدمة الكتاب المسرحىين الذين بنوا المسرح الانجلىزى الحديث ، فقد قسم الى ذلك المسرح عدداً هائلا من القصص . ومع ذلك فهو لا يزال بعيداً عن تناول اصحاب المسرح عندنا رغم ان من هم أقل منه شأنًا فى انجلترا قد ترجمت قصصهم الى العربية وحظيت برضى الرأسمالية المسرحية فى مصر ، والسبب فى ذلك واحد لا يتغير . فهو من الكتاب الذين تأثروا كل التأثير بروح البقرى التروىجى هنريك ابسن الذى لخصت له فى هذا الكتاب قصة (البطة المتوحشة) وابسن كما هو معلوم لا ينى بالجمهور ولا يملكه . ولا يهـم صفق أو ظل صامتاً .. فهو يكتب ليرضى مثله الأعلى . . وكفى !

ولقد اتخذت لقصة اليوم هذا العنوان الذى يراه القارىء . مع ان اسمها فى الانجليزية The Profligate . أى الرجل الملوئ . ولكن هذا التصرف الذى اقدمت عليه فى ترجمة العنوان يتسق مع روح القصة والغرض الذى يرمى اليه المؤلف ، فهو يتعرض هنا لموضوع اجتماعى كثير الوقوع فى الحياة الانسانية مهما اختلفت الازمان والشعوب . يتعرض للخيبة التى يشعر بها الزوجة الشابة البريئة التى تحب زوجها وتعبده وتمتقده انه مثال الرجولة والطهارة فى ماضيه

وحاضره - الحية التى تشربها اذا ماعلمت فجأة ماضيه الملوث الممتلئ بالذلس والائم والفجور !

ولقد مثلت هذه القصة للمرة الأولى على مسرح جارريك Garrick Theatre بلندن فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٨٩ فاحدثت ثورة عنيفة فى عالم المسرح . وقتلها النقاد فى لندن ومدن إنجلترا الاخرى بحناً ومناقشة وتحصيماً . وقارنوا بين بينيرو وابسن التروىجى ودوماس وجورج اونه الفرنسيين وانتقل الاهتمام بالقصة الى القارة الاوربية وترجت الى اللغة الهولندية ومثلت فى امستردام ثم اقترنت للغة الالمانية ومثلت على مسرح ليسنج فى برلين . ودعى بينيرو لتلاوة قصته فى مجمع العلوم والآداب أمام جمع من العلماء والادباء والفنانين فحازت الاعجاب واستعيد كثير من فقراتها

(الماضى الملوث) اذن قطعة مسرحية خالدة قوية بروحها وفكرتها و (حبكةها) المسرحية . ومواقفها الضيقة . وهى ولا شك فخر المسرح الانجليزى الحديث



نحن فى مكتب اثنين من المحامين المروفين فى لندن هما تشيل Cheal ومورى Murray . وقد أقبل أحد عملاء المكتب وهو اللورد دانبارس Lord Dangars وأخذ يتحدث الى هيج مورى أصغر المحامين الشريكين سناً فتفهم من حديثهما أن اللورد دانبارس كان متزوجاً ثم طلق زوجته . وأنه رجل عايب مستتر . له جولات معروفة مع النساء وتعلم من سياق الحديث ان رجلاً اسمه دنستان رنشو Dunstan Renshaw سيتم زواجه فى ذلك اليوم بالذات ويبدى اللورد دانبارس دهشته من خبر زواج رنشو إذ هو أحد رفاق اللهو فى الأيام الماضية ويسأل عن العروس فيعلم أنها فتاة من بلدة هيلستدسمى ليسلى برودنل Leslie Brudenell يطلب المحامى هيج مورى فى وصف

محاسنها ويذكر أنه رآها في مدرسة هيلمستد فراقته وسحرتة وشبهها بالصور المقدسة التي لا يملك للمرء ازامها الا أن يحبس !

ثم يقبل دنستان رنشو ويتحدث الى مورى واللورد قليلا في موضوع زواجه ويخرج مع اللورد ويخلو مورى الى زميله تشيل فيطلب اليه ان يعمل ما في وسعه لمنع زواج رنشو من ليسلى فلا يجب مطلقاً تسليم تلك الفتاة الوديعه البريئة الى رجل كرنشو له ماض ملوث . ولكن تشيل لا يوافق على ذلك ويرى ان رنشو لم يفعل أكثر مما فعله غيره . ولا يجب أن تحمل عليه اللئنة الى الابد من أجل المخطوات التي ارتكبها في الماضي ويقول :

تشيل — لقد ارتكب كل ذلك في الماضي . والزواج هو البداء الحقيقية لحياة الرجل

هج مورى — كلا ياسيدى انه نهاية تلك الحياة . فما بعد ذلك الا الجنة أو الجحيم

ويعلق تشيل على ذلك بأنه لا داعى للمناقشة مادامت ليسلى برودنل تحب رنشو ولكن مورى يرى أنه لا اهمية لتلك الحب . فلا شك ان فتاة صغيرة لا تزال في المدرسة لابد أن تحب أول رجل تصادفه . وعندئذ يقول تشيل له :

— ولماذا لم تحبك مادامت تعرفك قبل رنشو ؟

وتقبل المروس ليسلى وتتحدث الى مورى فتفسر أنه لا يطبق حضور حفلة الزفاف ويبتذر بأنه مشغول . وتعرف ان مورى كان يتردد على مدرسة هيلمستد التي تدرس فيها ليسلى وكان يعنى بشئون الفتاة كل العناية ويظهر نحوها متى العطف . وتخلو ليسلى الى مورى فتفهم من حديثها أنها تحب خطيبها رنشو بل وترى أنها غير جديرة به، فهو طيب الى الدرجة القصوى . وكثيراً ما كانت تنتهل الى الله أن يهبها ن العلية والطهر ما يجعلها جديرة به ، ويشترك في الحديث ويلفريد برودنيل Wilfrid شقيق ليسلى ويحبر مورى أنهما عند وصولهما

الى محطة لندن آمس رأيا سيدة بائسة تصيح وتولول كأنها في محنة هائلة ترجو رجلا يأخذ يدها . وأنه نصح تلك السيدة بالتوجه الى موري وأعطاهها بطاقة توصية

ويخرج الجميع لاتمام اجرامات الزواج وتقبل المرأة التي تحدث عنها ولنفريد فاذا بها شابة تدعى جانيت بريس Janet Preece تسرد قصتها التي تتخلص في أن رجلا قابلا وأغواها وسلبها اعزما تحرص عليه الفتاة العذراء . وأنها لاتعرف اسم ذلك الرجل الحقيقي إذ اتضح لها أن الاسم الذي ينتحله وهو لورنس كبنوارد ليس اسمه الصحيح . لانها رأته يوماً يوقع خطاباً بالحرفين الاولين من اسمه د . ر . وهي تبحث عن ذلك الوحش البشري الذي عبث بها وقضى على مستقبلها

ويشك موري في صاحب ذلك الاسم الذي حرقاه الاولان د . ر . ويخطر بباله دنستان رنشو . ويطلب إلى الفتاة أن ترسم له وجه ذلك الرجل الذي تبحث عنه . فتفعل . ولا يكاد موري ينظر إلى الرسم حتى يشهق ويصيح : « رنشو ! » وبمكر ثم يتندر للفتاة بأنه لا يستطيع أن يأخذ على عاتقه عبء البحث عن ذلك الرجل ولكنها تتوسل اليه وتقول :

— ابحب عنه . انه ليس بالقائل الذي يسير متلصصاً في الغلام في اثناء الليل . إنه خادع للنساء فقط . والرجال لا يخنفون لهذا السبب !

وتخرج الفتاة ثم يعود القين كانوا قد ذهبوا إلى موثق المقود ، ويخلو موري إلى دنستان رنسو فيتهمه بأنه قد أكرم في حق تلك الفتاة الطاهرة باقدامه على الزواج منها رغم ماضيه الملوث . ويحاول رنشو أن يسكته فيبلغ له أنه يعرف مبلغ عطفه السابق على زوجته ليسلى وعاطفته نحوها ويسود موري فيؤكده أن الجريمة التي ارتكبها في ذلك اليوم سوف يحاسب عليها في المستقبل حساباً عسيراً ثم يقول له :

— اتى أحذرك يا ماستر لورنس كينوارد

فيقيم رنشو من ذلك أن مورى قد علم قصته مع الفتاة جانبت بريس.
فيرجو منه أن يسكت

وتدخل ليسلى إذ ذاك تدعو زوجها إلى الاستعداد للرحيل ويخرج العروسان
وقد تركا خلفهما هج مورى وحده يشخص إليهما

☆☆☆

فأنا كان الفصل الثانى فقد انقضى شهر على زواج ليسلى . وسافر الزوجان
الى مدينة فلورنسا بايطاليا واستأجرا (فيلا) اثرية بيضاء كان يعيش فيها الرسام
الحالده ميشيل انجلو . يزورها السياح الذين يهبطون المدينة ليروا ماتركه الرسام
على حيطانها . وتقبل سيدة انجليزية تدعى مسز ستونهى ومعها ابنتها ايرين
Irene بغرض زيارة الفيلا . فتعرف أن ايرين كانت زميلة ليسلى فى مدرسة
هيلمستد ولذا تقابلها بكل ترحاب وتقدم لها زوجها رنشو فتلاحظ عليه أنه
يحترم ليسلى ويبدى لها كل عواطف الحنان والرفقة . وتعرف أنه معتزم السفر
إلى روما ليختار مسكنا له ونزوجه . ثم تراه يقبل ليسلى قبلاات حارة قبل
خروجه . فإذا خرج فليسلى تخبر صديقتها ايرين انها تعبد زوجها بل هى
عبدة له . وتسهب فى وصف خلقه النبل ومبلغ عنايته بها واخلاصه لها

وتعلم من حديث مسز ستونهى أن اللورد دالنجارس قد خطب ابنتها ايرين .
ويقبل ولفريد شقيق ليسلى ويدعو مسز ستونهى للخروج معه الى الحديقة . فإذا
خلت ليسلى الى ايرين علمت أن زواج الأخيرة باللورد دالنجارس سيتم رغم ارادة
ايرين . وبناء على رغبة والبتها فى مصاهرة زوج غنى . وهى تعلم أن اللورد كان
سمى السير وأنه كان متزوجاً ثم طلق زوجته . وهنا تعارض ليسلى فى قبول
ايرين بذلك الزواج . وهى تؤنبها وتحاول اقناعها بوجود الزوج من شخص
تجبه وليس له ماض ملوث . ولكن ايرين ترى أنها ستحتلى ملقب ونروة .

وماذا بهم ماضى الزواج بالنسبة للمرأة التى تنزوجه ، ولكن ليسلى تحبها :
— إن هذا الماضى هو فخرها أو بخزرها . هو الخلية تلبسها فوق جينها
أو الوحل الذى يلمطخ أذيالها . ! أنه ضومها أو ظلامها . حياتها أو موتها . . . !
فلا تقنع إيرين بذلك وتقول إن الفرق بينها وبين غيرها من النساء هو
أن قصة اللورد دأنجارس علنية يعرفها الجمهور بعد طلاقه بينما آثام أزواج
بعض النساء ماتزال مخفية لم يكشف الستار عنها بعد . . . !

ويعود دنستان رنشو وتحدث إلى زوجته حديثاً يقفمه الحب والوفاء .
ثم يدخل هج مورى بدون أن يسعرا به . ولا يكاد رنشو يراه حتى يرتد .
ولما تعلم ليسلى أنه قادم لأمر مهم تفادى العرفة . وعندئذ يحذثه مورى عن
الجريمة التى ارتكبها باغرائه الفتاة جانيت بريس فيتوسل رنشو إليه أن يعينه
ويساعده . وقبل مورى ذلك لامن أجله . . بل من أجل الطفلة البريئة التى
اتخذها زوجة . . وتحس من حديث رنشو أنه أصبح يحب زوجته حباً مبرحاً
لاغنى له عنه . وهو يرجو مورى أن يستدعى تلك الفتاة بمجرد عودته إلى لندن
وبطلب إليها أن تسكت وهو سيفعل كل ما فى وسعه لتعويض الضرر الذى أصابها
ونصح ليسلى من الحديقة تدعو زوجها وتنبه إلى أن موعد القطار قد أزف .

ثم يقبل ولفريد فيتكره رنشو مع مورى ليسليه . ولكن مورى يبدى الرغبة
فى أن يعود إلى إنجلترا فى القطار الذى يقوم فى تلك الليلة . وتقبل ليسلى حاملة
بعض الازهار من الحديقة ويرجو منها زوجها ان تحبها من النافذة وهو يبتعد
بالعربة . ثم يخرج معها فيلتفت مورى إلى ولفريد ويسأله عما إذا كانت سعيدة .
فيجيبه انها فى غاية السعادة . ثم يلحق برنشو . وتدخل الخادمة تنبئ بأن
خادمة مسز ستونمى واقفة بالباب وقد أضناها التعب تلمس بعض الماء . وانها
تعانى الضعف والمرض . فيسمح لها بالدخول وبعد قليل تدخل تلك الخادمة
فاذا بها جانيت بريس وهى تحير ليسلى ان سيدتها مسز ستونمى أمرتها بالعودة

سيراً على الأقدام ولكنها لا تقوى على السير لأنها مريضة . ثم تسقط فيلقاها
ولفريد بين ذراعيه وينتهي الفصل هكذا

ليسلى — آه ! العربة ! (تدمو إلى الشرفة وتنظر إلى الطريق الممتد) إنها
هناك ! (تادى) دنستان . ارجع إلى ! ارجع إلى !

☆☆☆

فإذا كان الفصل الثالث فنحن لانزال في تلك (الفيلا) بمدينة فلورنسا وقد
جلس ولفريد بجانب فراش جانيت بريس يحنو عليها في أثناء مرضها . وتعرف
من حديث الجميع انهم يجهلون كل شئ عن تلك الفتاة اللهم إلا انها خادمة عد
مزر ستونى التى أسامت معاملتها ، وانها مادامت قد لحأت الى بيت ليسلى فى
الواجب الضاية بها . وتقبل ايرين فتعبر ليسلى انها علمت ان اللورد داتجارس
خطبها صديق لزوجها ولكن ليسلى تأنف من ذلك وترى ان زوجها لا بد ان
يكون جاهلا لحلق اللورد الحقيقى والا لتعنه !

ثم يدخل الخادم وبنو سيدة ان سيده رنشو قد عاد من روما وانه
سيحضر إلى المنزل مع صديق له هو اللورد داتجارس وتعود ليسلى فصيح
صديقها ألا تقبل هذا الرجل زوجاً . ونحبرها انها ستلجأ فى ذلك إلى أمها .
ولكن ايرين تحيىها بأن لا أمل فى منع ذلك الزواج عن طريق أمها . وعندئذ
تقول ليسلى :

— إذن فسأواجه اللورد داتجارس نفسه

وتحدث ولفريد إلى جانيت بريس فتسمر انه قد نسات بين هدى
النابن طافعة حب متبادلة . ولكن جانيت ترغب فى الرحيل فهى مخلوقة
للشقاء . وهو يمانع فى ذلك وهى تلج فى وجوب الرحيل وترجوه ان يشكر
لنشقته السانة الرحيمة التى أسبقها عليها فى أثناء مرضها وانها ستذكر لها تلك
الملة حتى الموت . ثم تعود ليسلى فتقول لها جانيت بصوت خافت :

— مسز رنشو ! املك لاتعرفين آية فتاة ساقطة شريرة تأوين تحت سقفك !
انى لست جديرة بأن أكون فى بيتك !
ثم تجبرها فى شئ من التسلخ بأنها كانت ضحية غواية وعبث. وتقبل طرف
نوب ليسلى وهى يقول :

— الوداع يا عزيزتى . الوداع آه . يا عزيزتى . يا عزيزتى
ولكن ليسلى سبقها وتخيرها ان ضعفها ووحشتها يجملاتها تحس أن من
واجبها ان تحمىها . وهى وإن كانت تطلب اليها ألا تدخل بيتها مرة اخرى وأن
تنتع عن مقالة شقيقها ولغريد إلا انها تمدها بأن تسدى اليها خدمة وذلك بأن تجد
لها عملاً حسناً ، وتعطيها مبلغاً من المال ، ثم تخرج معها ، ولكنهما لا تكادان
تهبطان سلم الحديقة حتى تصرخ جانبيت صرخه رعب ، اذ يقع بصرها على دلستان
رنشو قادماً مع اللورد دالمجارس ، وتطلب الى ليسلى ان تجنبها بعد ان تجبرها ان
الرجل القادم هو الذى اغواها وكان يدعو نفسه لورنس كينوارد وتلح فى طلبها
فهى لا تقوى على مواجهته ، وتخطئ ليسلى فى فهم كلام جانبيت وتظن انها
تقصد اللورد دالمجارس فتخبرها انه خطيب ابرين

ثم تقبل مسز ستونهى فتطلب اليها ليسلى ان تحول بين زواج ابنتها باللورد
دالمجارس وتخيرها ان جانبيت ضحية حية لتلك الرجل الذى تمد حياته فصلاً عظيماً
من الالم والرذيلة ، وتسقط جانبيت إذ ذاك الى المقعد الكبير وتمحن وجهها فى
الوسائد . ويدخل رنشو ويقدم اللورد الى زوجته ولكن ليسلى ترفض ان تقدم
بدها الى يد اللورد الممدودة . وتقول :

— ادا كان اللورد دالمجارس يريد إضاحاً عن ذلك يادلستان فأنا اكنفى بأن
ادكره بحياة هذه العاة الشقية التى يعرف قصتها . وتمد يدها الى جانبيت ويوقها
ولا يكاد دلستان يرى جانبيت حتى يبدو عليه الرعب والفرع ، وتصلح
جانبيت الخطأ الذى وقع فيه ليسلى وتفهمها ان الذى اغواها هو رنشو !

وتصيح جانيت بعد ان تبين خطورة الكارثة قائلة ليسلى :

— اتى لا استحق ان اعيش ! اقتلىنى ، اقتلىنى !

وتطلب مسز ستونهى الى ابنتها ايرين ان تعطى ذراعها الى اللورد دالجارن
فتفصل ويخرجان معاً بعد ان تسبقهما مسز ستونهى وهى تهز كتفها

ومخلو ونشوالى زوجته فيعترف لها بأنه مذنب ويرجو منها ألا تطالبه بتفاصيل
حياته فقد كانت ملوثة بالانتم ، حتى عرفها فنسى كل شيء وأحبها بل وعبدها
وتحاول ليسلى الخروج فيرجو منها ان تبقى اذ هو لا يستطيع الحياة بدونها ويتوسل
اليها ان ترحه فهو نادم مستغفر . يجثو على قدميه ! ولكنها تطلب اليه ان ينكر
ما نسبته اليه الفتاة جانيت . وينتفى الفصل بهذا الحوار الصجيب :

دنستان رنشو — لا أستطيع ان أنكر

ليسلى — اذاً أذهب !

(بعد برهة يخرج وعندئذ تسقط إلى الارض مغمى عليها ويسمع صوت
المنفى الايطالى يدوى فى الخارج)

فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى غرفة المحامى هج مورى الخاصة بلندن
وقد جلس إلى اليانو يعزف قطعة محزنة وبجانبه ليسلى . فتفهم من حديثهما
أن شقيقها ولفريد يبحث عن جانيت فلا يهتدى اليها وأن ليسلى قد كتبت إلى
نافرة مدرسة هيلستد ترجو منها السماح لها بالمودة إلى المدرسة . إلى تلك
الحياة المأدبة الطاهرة التى كانت تحياها قبل ستة أسابيع فقط !

ثم تقبل جانيت بريس وتجبر ليسلى أنها اعترمت السفر إلى أستراليا وستبحر
فى اليوم التالى وهى تحاول تعزية ليسلى بكل مافى طاقتها فتخبرها بانها هى الى
أغوت رنشو وليس هو الذى أغواها وهى ترجو منها أن تعود إلى زوجها حتى
لا تذهب إلى القبر عللة أنها حطمت حياة امرأة بريئة . وتجبرها ليسلى أن شقيقها

يجبها ولما تطلب اليها ان تسمح لها برؤيته قبل خروجها . فتسمح وتقدم جانباً إلى ولفريد وهو نائم وتقبله ثم تخرج

وتخلو موري بعد ذلك الى ولفريد فيخبره ان رنشو قد أرسل اليه يستسمح في المجيء وأنه يرى من الصواب ان تعود ليسلى إلى زوجها . وهو يصارح ولفريد بانه يحب شقيقته وأنه قد أحبها منذ رآها للمرة الأولى في حديقة مدرسة هيلستد . ولكنه أحبها حباً عنديماً طاهراً ولم يرد ان يفسد طفولتها وسذاجتها وانتظر . . . انتظر حتى يرى غيره يفعل ذلك . . . وقد حدث . وهو يرجو أن تكون ليسلى قد تعلمت فلا تنظر بعد ذلك إلى الماضي

وتدخل ليسلى بعد ان تكون قد سمعت ما قاله موري وتبادل ممهما الحديث وتقول انها لا ترغب في الوقت الحاضر أن ترى رنشو ثم تخرج مع شقيقها ويدخل الخادم يقود دنستان رنشو ضيفاً متهاكاً . ويحدث الى موري فيتوسل اليه أن يهد له سبيل رؤية ليسلى . فهو يعلم أنه قادر على ذلك . ويرجو منه أن يخبره بمكانها فلا يجيبه موري إلى ذلك ولو انه يطلب اليه الصبر ويعطشه . وتتمر أن حالة رنشو في منبى الشقاء والتماسة وأنه يحب ليسلى حباً مبرحاً قوياً ويرى موري نفسه له ويرى ان ليسلى لو رآته في تلك الحالة لاشفت عليه ورتب له . ويرجو منه رنشو ان يسمح له بقضاء الليل في تلك الغرفة بدلاً من الفندق إذ هو يريد أن تنظر اليه عين صديق في الصباح . ويود فيسأله :

— سوف لا تخبرني أين هي ؟

— حتى أحصل على موافقتها

ولكن موري يعطشه بانه سوف يراها لانه يعلم انها ستفو عنه ويبقى رنشو وحده في الغرفة ويخرج زجاجه سم من جيبه . ويأحى به ثم يناحى حياته وزوجته وسعادته الزائلة . وسكب السم في فمه . ويجول في الدرو

ومجلس ليكتب كلمة لمورى ينشئه بانتحاره ولكن سرعان ما يقع القلم من يده
وتسقط رأسه إلى الامام ويقول هاتفاً :

— ان الضوء ينطفئ . لا أستطيع رؤية شيء .. الضوء .. سأتم هذه
الكلمة عندما استيقظ .. سابقى .. (يجر نفسه إلى المقعد ويسقط عليه) ليسى .
زوجتى لقد اصطالحنا

(ليسى تدخل بهدوء وتجنو بجانبه)

ليسى — دنستان . اننى هنا (يفتح عينيه ويرفع نفسه ويشخص اليها ثم يسقط
رأسه إلى الخلف بينما ينحهم وجه ليسى) دنستان . لقد عنت اليك . سأكون
زوجتك لا قاضيك .. دعنا نبدأ من هذه اللحظة تلك الحياة الجديدة التى تكلمت
عنها . دنستان ! (ترى الورقة التى سقطت من يده وتقرأها) دنسان ! دنستان !
كلا ! كلا ! انظر إلى آآه ! (تضمه بين ذراعيها) زوجى ! زوجى ! زوجى !
ثم يزل الستار !

حياة خفية

عن الكاتب الفرنسي لونورمان

وأنا مفرم بهذا الكاتب المجدد هـ . ر . لونورمان H. R. Lenormand وأحب أن يفرم به القراء ممي . خصوصاً بعد أن أعطيتهم فكرة عنه إذ لحصت لهم في هذا الكتاب قصتي «أما الحياة علم» و «السن الحمراء» ولقد سررت غاية المرور عندما زرت مكتبة معهد فن التمثيل فوجدت إدارة المعهد قد استحضرت للمكتبة — من بين ما استحضرت من الكتب — مجموعة وأفيصة لقصص لونورمان . فلا شك أن دراسة قصص هذا المؤلف المسرحي اللامعة توقظ في نفوس فنانينا الشبان احساسات جديدة وتيارات فياضة ليس لهم بها عهد من قبل . وأود ألا يقتصر جهد الحكومة وتقديرها لتلك الكاتب عند هذا الحد من تعذيبه المكتاب بقصصه التي تعتبر الآن في فرنسا نروة فنية قيمة أضيفت إلى تاريخ المسرح الفرنسي ، أود ألا تقتصر الحكومة في تقديرها له عند هذا وأرجو أن أرى قصة له أو أكثر من بين قائمة القصص المسرحية التي تشرف الوزارة على ترحيتها أو تصح للمسارح بإخراجها . فمن العدل أن يساوى لونورمان — على الأقل — بهنرى برنشتين وبول هرفيو اللذين احتارت الوزارة من قصصهما في الأعوام الماضية

لأمل ولنتنظر . . أو لقم نحن من جهتنا بالواجب نحو هذا الكاتب الموفق غاية التوفيق في تحقيق مثل فنية عليا ليس للمسرح عهد بها من قبل

وهذه القصة التي ألحسها لك « حياة خفية » Une Vie Secrète كثيرا من قصصه دعوة الى أحدث ماتمخض عنه علم النفس من آراء ونظريات . فأنت اذا قرأت احدى قصص لونورمان فكأنك تقرأ كتاباً شائقاً لذيذاً في علم النفس . . وقصة « حياة خفية » تمتاز عن غيرها من قصصه بأن فيها تحليلاً دقيقاً لمعضية الفنان . وبحثاً بديعاً رائعاً للنظرية التي تدعو الى وجوب ان يعيش الفنانون عيشة خليعة مستهترّة عابثة . وخير لى ولك أن ألخص القصة ذاتها



نحن في باريس عام ١٩١٠ ، وفي غرفة العمل الخاصة بالموسيقى الفرنسى الشاب ميشيل سارتيير Michel Sarterre . وهو من نوابغ الموسيقيين الذين جددوا في فن الموسيقى الحديثة وأدخلوا عليها روحاً لم تكن موجودة من قبل حتى لقب باسم « محرر الموسيقى الفرنسية » . وسارتيير هذا قضى ردهاً من حياته في اقطار الشرق الثانية كالهند والهند الصينية وساح في مجار مختلفة ثم عاد وأخرج للناس تلك القطع الفنية النادرة التي اثارَت اعجاب النقاد والجمهور . وهو متزوج من فتاة تدعى تيريز Thérèse . وقد أقبلت على منزل سارتيير سيدة ايطالية تدعى لافيسيلي La Vicelli كانت فيما مضى مغنية معروفة في مسرح الاسكالا الكبير بميلان . ففهم من حديثها مع تيريز زوجة سارتيير انها قدمت لكي ترجو منه ان يعطيها توصية تمكنها من الالتحاق بعمل يليق بها

وبقبل أثناء ذلك رجل يدعى ماهيه Mahé هو الناشر الذي يطبع أدوار سارتيير الموسيقية . وتشمع من حديثه انه رجل نفى لا ينظر إلا الى مصلحته الذاتية فهو يريد ان يفهم تيريز ان أدوار زوجها ليست رائجة وان الجمهور لا يقبل عليها . وهى تفهم ذلك فتخبره ان زوجها لا يقبل ان يبيع قطعه الاخيرة

إلا بثلاثة آلاف فرنك . ويزعر « ماهيه » لدى سماع ذلك . ولكنه يطلب إليها قبل خروجه ألا تدع زوجها يبيع تلك القطعة إلا بعد أن يمر عليه !
فإذا خلّت لافيسيلي إلى تيريز فأنت تشعر من حديث المغنية الإيطالية أنها ممتدة بفنها غاية الاعتداد . ومزهوة بنفسها فخور بماضيها غاية الفخر . وإن هذا هو مصدر المبالغة وشقاؤها . فهي تفضل الموت على أن تقبل وظيفة صغيرة لا تتفق مع قدرها الفنى . أو أن تقبل الغناء على أحد مسارح الأرباب ! وهى الآن تبحث عن عمل فى روما فإذا لم توفق إلى ذلك فليس أمامها إلا الانتحار ، وكرامتها تأبى عليها أن تبيع ثيلها المسرحية القيمة بثمن نجس ، كما تأبى عليها مجرد قبول الدعوة إلى تناول الطعام عند أحد الأصدقاء !

ونقبل فى هذه الأثناء فناء رفيعة فى الثامنة والعشرين من عمرها تدعى فيرا Vera تنتمى إلى أصل روسى فتفهم من حديث تيريز أن هذه الفتاة كانت هى الأخرى تفكر فى الانتحار لتدهورها وادماستها على الحر والمورفين . ولكن تيريز انتقدتها من ذلك وآوتها فى بيتها حتى شفيت واطمأنت إلى الحياة . وهى تعيش فى البيت حتى تجدها عملاً . وتلاحظ المغنية الإيطالية على ذلك بقولها :

— إن لافيسيلي لا قبل الاحسان . فإذا عجزت الفنانة عن أن تعيش من فنها فخير لها أن تحتفى

فإذا قبل سارتير أخبره زوجته بالفرض الذى قدمت لافيسيلي من أجله فيمتعض فى بادئ الأمر ومعهمها أن تلك المرأة بلغت الخامسة والأربعين وفقد صوته وروعه الماضية . ولكن تيريز تلج عليه فى وجوب إعطائها التوصية التى تطلبها . فيجلس إلى المكتب ويكتب رسالة التوصية لمدير المسرح الذى تود الالتحاق به

وتخرج تيريز لإرسال الخطاب ومحلو سارتير إلى فيرا . فتسمر من حديث

الموسيقى الشاب انه برم بالحياة يتنمر منها . فهو رغم نجاح قطته الاخيرة ذلك النجاح الباهر يرى انه كحيوان سجين في قفص وقد احاط به الناس ليشاهدوه ، وهو يذكّر ان هناك شبه وحى أو الهام يوحى اليه ويلهمه بكل تلك الموسيقى التي يخرجها للناس ، فهو يكتب فقط ولكن هناك آخر يعمل عليه . وهو يذكّر عندئذ رحلته الى الشرق والامر العميق الذي تركته في روحه تلك الرحلة . وتحييه « فيرا » انها وهى تستمع الى قطعه الموسيقية تسمر كأنها ترى غابة كثيفة ملائى بالاشجار الضخمة . وأن فى هذه الموسيقى علماً كاملاً من أوراق الشجر المتناثرة الميتة والازهار الفاسدة وأنها تنينه يطوف وسط تلك الغابة يحترق من الظلم العديد !

وهى تذكر الايام السوداء التي مرت بها عندما كانت تدمع بالحر والمورفين فيجيبها انها لايجب أن تدمع على تلك الايام ..
فاذا قالت له انها وان كانت فى تلك الايام تحلم احلاماً جميلة . الا انها كانت مريضة وقد شفيت . اجابها :

— لا بد انك كنت جميلة . بشرك المتناثر المهمل وهيتك الثملة الممزقة
فاذا خلا سائر الى زوجته فهى محدنه عن عطفها على لا فيسبلى . وهو لا يشاركها هذا العطف على ذلك النوع من المجانين الذين يصبون الى أكثر مما تحتمل وتطبق طبيعتهم وكفاتهم . لكنه يعطف على نوع آخر . على أولئك الذين نشدت أمزجتهم وعواطفهم إلى حد أن تحتل قوائم العقلي . وهو يخالف زوجته فى اعجابها بتلك المغنية الايطالية لجرد شرفها وطهرها ورقتها . فهى فى نظره فضائل صغيرة بالنسبة للفنانه . ويجب أن تكون فى خلق الفنانه أمور أكبر وأعظم من تلك الفضائل ، ولا مانع من أن يسع ذلك الخلق بعض الرذائل والشرور .. فاذا سأله عن سبب ذلك اجابها :

— فكري في الطريقة التي غنت بها فيرا أمس مساءً ، واذا كرى الحياة التي عاشتها في السنوات الأخيرة

وهو يرمى بذلك إلى أن تلك الحياة العابثة المستهترة قد غنتها بجرثومة العظيمة ، ويلاحظ على زوجته أنها تفضل لو أنه لم يكن عبقرياً ولم يحثم في اعماقه شيطان الابتكار والخلق ، أي أنها تودده زوجاً فقط . حيواناً يهب حياته لها وحدها !

وهي تسكر ذلك وتقول له إنها تود فيه شيئاً آخر . تود نفسه البشرية . ولكنه يجيبها أنه قد تخلص من تلك النفس البشرية عندما كان في الهند . فلم تعد فيه مسائل العطف والتسم ولم يحتفظ الا بنفسه الفنانة ، وهو يذكر أن ذلك التطور هو الذي يجعله يتكلم لغة جديدة ويتنكر أموراً جديدة فيجب لكي يخلق ويتنكر أن يتطهر من كل شيء

وبعد قليل يقبل رجل يدعى فانير Fanères وهو موسيقى هرم له علاقة قديمة بسارثير فاذا سأله عن سبب انقطاعه أجابه فانير :

— إن النصر يخيفني ومنذ علمت أن النصر قد استوطن هنا فأنا أتردد في صعود السلم

وتحدث إلى زميله الشاب عن قطعه الأخيرة فيلاحظ عليها أنها عبارة عن حمى . عن رغبة حادة . عن نشوة ثملة . والعنان يجب أن يعبر عن شيء غير هذا . فاذا سأله سارثير عما يجب أن يعبر عنه أجابه :

— عن المواطف البشرية . عن العطف والحزن والحب . فكل الاعمال العظيمة تفنئها تلك المواطف

فيجيبه سارثير في هدوء :

— واذا كنت قد فقدت تلك المواطف البشرية ؟

ويستمر المناقشة بينهما بعد ذلك . فيقرر فانير أن خلو الموسيقى من تلك

الترعة البشرية يجعلها لا تبكي الرجال . وعندئذ يحبه سارثير أنه يحقر الرجال ولا يبنى بكاثهم والتأثير فيهم . وهو حر حرية مطلقة لا يعبأ بأن يودع في موسيقاه خلجات قلوب الرجال . تلك القلوب المستهرة الفذرة بل هو يبنى حياة أخرى أوسع مدى . حياة الطيبة !

وهو يشرح لزميله ماهي الطيبة فيقول له إنهم في أوربا لا يستطيعون أن يفهموا الطيبة على حقيقتها . وأنه لا يكتب ليسر المائلات . ولا يكتب لاحد قط . وهو يتألم عند ما يرى الجمهور يصفق له . وهو يذكر أنه قوة عمياء تصصرف بلا ضابط لها وفق مشيئتها

وتدخل تيريز في المناقشة فتلوم زوجها على تلك الطريقة التي تعرضه للخطر وتذكر له أنها تتألم من أجله لأنها تحبه . وتطلب اليه أن يعدل عن تلك الافكار الغريبة

وعندئذ يتهم سارثير زميله فانير بأنه أثار زوجه عليه وأوحى اليها تلك الانتقادات التي توجهها له . وهو يريد أن يراها كما كانت شاهدة عيما لما يجربه أمامها . وأن تقرأ أحلامه وتوافق عليها دائماً . ثم يطلب إلى فانير ألا يحضر بعد الآن لرؤيتها مدى بضعة شهور . ويذكر أن تيريز ليست غبية وأنها تفهمه وتقبله كما هو !

ولكن فانير يتعرض على ذلك فتيريز لاتفهم زوجها . وهو يحشى اليوم الذي تفهمه فيه . فاذا سأله سارثير :

— وهل تعرفي أنت ؟

أجابه :

— منذ مدة طويلة

وأخبره أن الذي عرفه به وبإخلاقه هو زميل له رافقه في رحله الى الشرق

ولكن سارتير يرى أن في الطبيعة البشرية أسراراً لا يمكن الاحتذاء بها .
ولا يمكن أن يكون قاتل قد فهمه مادام هو نفسه لا يفهم نفسه !

ونتهى الفصل بهذا الحوار الهادئ :

قاتل — ومع ذلك . .

سارتير (مشيراً إلى الباب الأيمن الذى يفتح) — لا تكلم !

قيرا (داخلة) — تفضلوا إلى المائدة

☆☆☆

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل أعد سارتير لسكناء فى أحد أحياء
باريس الغربية العائنة . وقد تطورت حالة ذلك الموسيقى الشاب فحجر زوجته
واتقاد إلى نوع من حياة اللهو والبسث والعريضة . فهو يستقبل فى ذلك المنزل
أشكالاً مختلفة من النساء يترددن عليه فى كل وقت . ولكنه يقضى معظم وقته
مع فيرا التى اقبلت وأخذت تحادثه فتلومه على نظراته لها . فهى تنقم على رأيه فى
النساء إذ يعتقد أنهن لسن شخصيات حية حساسة . وإنما أدوات من اللحم تنسب
تلك التى تعلق فى حوائط الجزارين ! فالنساء فى نظره عبارة عن قطع من
الماشية أو قبيلة من الصيد الارقاء ، وهى تنقم عليه أيضاً أنه لم يحبها ساعقواحدة
وانها لم تكن لديه الا واحدة من آلاف الاشباح التى يبحث عنها ، وأنه يغريها
على الشراب لكي يراها ثملة . فإذا وثق انها فقدت الوعي شعر سرور عظيم ، إذ
يتلذذ برؤيتها تدهور وتتحطم

ويكاد يتعرف سارتير بذلك وبانها ناحية الترف والزخرف فى روحه فتصبح

فى وجهه قائلة :

— أنت قاتل !

•
فيجيب :

— إن كثيرين من المبكرين قتلة. ولا يمكن الابتكار والخلق بدون
التحطيم والحلم فمن الموت تنشأ الحياة

ثم تسأل عما إذا كان ممكناً أن يكون حباً له كفيلاً بأن يحطه يتكر
أعمالاً فنية. فهي تريد أن تحب وفي حاجة إلى قلب، ولكنه يحبها أنه لا قلب
له. فتيأس وتخبره أنها تود الرحيل بعيداً فهي تشعر أحياناً يقيان أن هناك شيئاً
خفياً في مكان بعيد يجب أن تراه. ولكنها لا تدرى أين هو

ثم يحرضها سارثير على شرب الخمر ويصمد إلى اليناو يعزف عليه كما تعتمد
هي إلى زجاجة الخمر تحبسها. فلذا طلبت إليه أن يشرب باعتذر بحجة أنه يميل
وتستمر فيرا في الشراب حتى تسقط على أحد المقاعد وتشخص إلى سارثير في
حقد هائل وهو يعزف ويستوحى من حلمه ضرورياً من الموسيقى، وتثور فيرا
فتهدده بأنها تريد القضاء عليه. ولكنه لا يعبأ بتهديدها. فتستمر في ثورتها
وتقول له أنه سوف يأتي يوم يسجز فيه عن الكتابة والابتكار. وسوف يبكي
إذ ذاك ككافل. إلا أنه يهزأ بوعيدها ولا يصدق. فتعود الفتاة إلى احتساء الخمر
بشراسة

ثم تقبل تيريز زوجة سارثير فيطلب إلى فيرا أن تغادر البيت ولكنها تأتي
فقد عطلت عليها تيريز فيما مضى وانقضت وها هو قد هوى بها إلى أحط مما كانت
عليه وهي تأمل أن تتقنها تيريز مرة أخرى. إلا أنه ينهبها إلى أنها ثملة وهو
لا يريد أن تصطدم بزوجه. فتخضع وتخرج مترنحة لانكاد تمالك نفسها

وتدخل تيريز وتفهم أنها رأت فيرا وهي تعجب كيف كذب عليها زوجها
عند ما أخبرها أن فيرا قد سافرت مع إحدى الفرق الرحالة. فإذا علمت منه
أنها عادت إلى الخمر والمورفين نارت واتهمته بأنه يقودها إلى الجنون وأنه يقتلها

سارثير — من يدرى ؟

تيريز - آه . تستطيع ان تفخر بهذا النصر ! لقد ابتظت الرذيلة والاثم
في نفس طفلة مريضة واسأت استغلال قوتك ازاء مخلوقة محرومة من الارادة
كما أنها تكاد تكون محرومة من العقل !

وتعلم بعد ذلك أن الذى أخبر تيريز بضوان سارتيه هو فانير فقد كتب اليها
يقول انه يخفى على مستقبل زوجها الذى يحيا حياة خفية فظيمة . وان من واجبه
اخطارها لأنها وحدها تستطيع إنقاذه . وتفهم من حديث سارتيه انه يعلم
بحب فانير لزوجته تيريز ، وببكي تيريز لاصرار زوجها على تلك الحياة العائنة
المستهرة وتنبه الى أن المستهر المنفس فى تلك الرذائل لا يستطيع التفكير ولا
الاناج لانه يصبح عبداً عاجزاً عن العمل فيحيها :

— يقولون ذلك . . ولكن هذا لايجب ان يكون صحيحاً . انتى لم أشتل
فيما مضى كما أشتل الآن

ولسكنها تنكر ذلك . تنكر العلاقة بين العقيرة والرذائل المخزية . فليست
هناك صلة بين أنبل ناحية في كياننا وبين أخط ناحية

وهو يذكر أن الذى أوحى اليه ابتكاراته الاولى هو حبهما . ولكنه لو
اقتصر عليه لما استطاع أن يستمر فى الابتكار . وقانونه الذى يهذى به هو
الرغبة . فليس هناك حب بين الأرض والماء والبخار وإنما هناك رغبة . رغبة
أبدية فى اقتراب بعضها من بعض وفى التجاذب وتحطيم بعضها البعض

وتنتهى المناقشة بأن تذكر له وهى جاثية على ركبتيها أنها وجدت السر الذى
يجعلها سعيدة ، وهو موجود فى صدره كما هو موجود فى صدر كل انسان فاذا
سألها عنه وعن اسمه . أجابته :

— اسمه العس . الحب الالهائى . لقد وجدت ما يمسح الحزى والحجل
ويفتح باب الامل العظيم

وتستمر في وصف ذلك الشيء وتؤكد له أنه سيهتدى اليه مثلها ويقسح بأن
الحب وحده هو الحق ، وهو وحده الذي يبقى

تيريز - إذ ذاك سبكي ! أجل سبكي من السادة والاطمئنان واليقين
سارثير (نافياً بقوة عظيمة) - أبدأ . أسمعيني ؟ هذه الدموع لن أسكبها !

فإذا كان الفصل الثالث فنحن في دار سارثير الأولى وقد تطورت حاله
فقدته حياة الحب والاستمرار الى ما تنبأ له به عارفوه وتبدل ذهنه فلم يعد ينتج
أو يتكرر شيئاً من تلك التحف الفنية النادرة . وأخذت الصحف تتحدث عن
ذلك التبدل وتهمه بأنه أصبح عاجزاً عن الانتاج فقد مضى عليه عامان لم يخرج
للناس فيها شيئاً

ويقبل الناشر « ماهيه » يطلب الى سارثير أن يكتب لشيئاً لينشره فيجيبه
انه ليس في حاجة الى تقود . وبلغ ماهيه ومحاول أن يقنعه بأن خير رد على تلك
الحملات الموجهة له باتهامه بالمجز هو أن ينشر قطعاً موسيقية . ويحيب سارثير
انه لم يوفق بعد الى قطعة تطلق اليها نفسه ويرتاح لها ضميره فهو يحرق اليوم
ما كتبه بالامس . ولا يوافق ماهيه على فكرة إحراق ما كتب فهو يرى وجوب
أن بدع جانباً ما كبه لكي يقبل الناشر وحتي بعد موته على نصر تلك
التروكات الفنية ! وهو ذاته ينشر قطعاً لسوبان لم تكن قد نشرت قبلا وتركها
بعد موته ويعود فيطلب الى سارثير أن يكتب له قطعة لليانو فيرفض قائلاً :

— اتقي لا اعمل تحت الطلب !

وهو يرى أن الفنان المجدد يفضل أن يموت ويقتى على أن يكرر ماسبق ان
أنتجه . ويلاحظ الناشر على ذلك الجواب أنه ما اعتاد أن يحيب به كبار الفنانين
غالباً فهم مسلوبو الارادة يفقدون توازنهم ويبدلا من أن يستقلوا يشربون ويبعثون

وفقدون مواهبهم . والناس يتعرض معهم للخطر . ولذا فخير ما يجب أن يفعله
الناس هو ألا ينشر الالتموسطين الذين لم يصلوا الى درجة البقرة . وينتهي
بالقول :

— لو أنني قد اقتصر على أن انشر للمباقرة الحل في الحراب طاجلا
ولحسن الحظ أن البقرة نادرة !

ويقبل فانير ويخلو الى تيريز زوجة سارتيه فيخبرها ان الطيعة قد تغلبت
على زوجها . والطبيعة لا تكثر في تصرفها بالمباقرة أو الاغنياء . وهو يذكر
الفتاة فيرا فيخبرها أن احد تلامذته رآها في الشارع وأن هذا الصنف من النساء
هو الله عدو لكل رجل يحلم ويتكر

ويعود سارتيه فيخبرهم أنه يحس بجنة تحت جلده . . جنة الشيطان الذي
كان يوحى اليه ويلهمه العمل . ويعترف أنه لم يعد قادراً على الابتكار وتتسائل
تيريز عن سبب ذلك فيجيبها :

— الاتملين ؟ . . . ولكك أنت السبب يا صديقتي المسكينة

ويخبرها أنها حطمت اذ تدخلت في تفاصيل حياته وناقشتها وتحدثت أمامه
عنها . إنها بذلك هكت سر طبيعته ! أي أنها لما لامته واسقده على طريقته في
التفكير والابتكار تركه عارياً مفزوحاً

وتفهم ما يريد أن يقوله وتقول وهي تتور على نفسها :

— هل كنت عيائه اغبة الى هذا الحد ! أما كان يجب ان افهم في صمم !

لم تركني أتكلم ؟

— لم اكن أعلم ان كلماتك قاتلة

— وأنا كنت اعتقد انني سأنقذك بدورك والاطلاعك على حقيقته . . .

آه ما اقبح الحب واكثر شروءه !

وهو يكشف سر محزه عن الابتكار . فقد كان فيما مضى يتكرر بدون أن
(يعلم) ولكنه منذ (علم) لم يعد يتكرر . فقد قامت بين الطليعة وبين نفسه
مرآة يرى فيها نفسه بشكوكها وندمها وخوفها . وتجه بأنه اذا كان من الواجب
لمقبرته ان يعود الى حياة الصبث التي كان فيها فليعد وهي مستعدة للرجل .
ولكنه يرى أنه لا يمكنه الآن ان يعيش بدونها فهو يجب من حطه ! وهي
تعجب كيف أمكن أن يحطمه خائبها واخلصها . فهل الحنان والاحلاص اخطر
من الحقد وعدم الاكرث ؟ فجيها :
— كلا . إن الكلمات وحدها أشد خطراً !

ويتدخل قاتل فيخبره أنه في الوقت الذي يتصور الرجل أنه انتهى وتحطم
قد يصبح أعظم وأجل شأنًا وأن حياته كفتان لم تنته بعد
وتقبل « فيرا » فتعلم أنها كانت في مستشفى للمجاذيب ظلت فيه طاماً ونصف
عام . ويسألها سارثير عما اذا كان الاطباء أخبروها عن سبب ذلك الجنون فتجيبه
عما قاله الاطباء ويترف سارثير بأنه هو الذي قادها الى الجنون فقد اراد أن يحطم
عقلها لاعت لب وقسوة كما كان يظن هو نفسه فيما مضى ، ولكنه فعل ذلك
في نشوة من القوة الثملة . في نوع من الحب القاتل . وهذا لايهم فالنقطة انه هو
الذي أفقدها العقل ! وهو يرى انه لو لم يرتكب تلك الجريمة لما حل به ذلك
الشقاء الذي يعانيه بالعجز عن العمل والابتكار . فهو نوع من العقاب واللعنة
وتجربه فيرا انها منذ فادرت المستشفى شعرت بأن المرض سوف يعاودها .
وان أحزانتها زادت ، وعادت الى كره نفسها وكره الناس والعالم أجمع . وهي تود
الانتحار ولكنها تحين . وزوجونه ان يساعدها على ذلك . الا أنه يستدر بأنه لو
ان لديه نصف الشجاعة اللازمة لانتحر هو نفسه منذ مدة طويلة
فاذا خرجت فيرا وخلا سارثير الى تيريز وفاير اخبرها انه يجب عليه
انقاذ تلك الفتاة

وتتقضى فترة . ثم يقول سارثير انه قد سمع اسمه تتلدى به فيرا . سمعها
تتاديه مرتين وهو واثق من ذلك . ولا بد ان تكون في خطر . ويدخل
الحاجم يندهم ان فيرا قد أطلقت على نفسها رصاصة وهي تهبط السلم فانتحرت .
ويذهل سارثير في بادئ الامر ثم يبدى رغبته في ان يتحدث الى روحها . فانها
ستمهم لفته . ويطلب اليهم ان يدعوه وحيداً معها . ثم يدخل الى غرفة المكتب
ويعلق عليه الباب . وبعد قليل يبدأ في العزف على البيانو . وتهمس تيريز انه
يعزف لفيرا . فروحها بحبابة وتعالى الموسيقى وتصبح أكثر وضوحاً ونقاء .
وتقول تيريز إنها منذ طمأن لم تسمعه يشكر مثل تلك الموسيقى البديعة . فقد
نجا ، ويجب قاتير : « أجل . ان الموت قد بث الحياة ! إنها دائماً نفس المعجزة »
وتبدى تيريز سرورها لاتصار روحها وتطور الموسيقى التي يعزفها الى
موسيقى حب واطفة وغرام في قوة ووحى غني . ويخرج قاتير بعد ان
يودع تيريز ويذكرها بأن فيرا قد دفنت حياتها ممناً لفلك . ويهبط الستار ولا يزال
سارثير يعزف

الفيرة

عن الطائفة الفرنسية جاك برنار

ولا أكتفك قبل كل شيء انى اعتديت على عنوان القصة لجملته « الفيرة »
مع أنه فى الأصل Le Feu qui reprend mal وشتان بين الأصل والترجمة
العربية التى اخترتها والتى لم أجد مناسباً من الالتجاء اليها لأطهر للقارى الموضوع
الذى اراد المؤلف جان جاك برنار Jean Jacques Bernard ان يمالجه فى
قصته . موفق فيه التوفيق كله

ثم أحب بعد ذلك أن أقول لك ان هذه القصة لها قصة هي الاخرى
جديرة بان تعرفها . فؤلمها من الكتاب الشبان الذين يجدون فى المسرح
ولا يمتيهم كثيراً رضى أصحاب المسرح عن هذا التجديد أم غضبوا ولذلك
كان نصيب هذه القصة الى ألحسها لك الرفض من جميع المسرح التى عرست
عليها رغم روعة القصة ودفعتها وتوفيق المؤلف الشاب فى كتابتها توفيقاً أجمع على
الاعجاب به القادالدين شاهدها بعدئذ . ولقد اضطر المؤلف اذاً ذلك الى ان يسطى
قصته الى جماعه من الجماعات المسرحية التى تخرج امثال هذه القصص التى ترفضها
المسرح تمتاً ومصفاً واسمها Le Cercle des Escholiens وهى جمعية تأسست
فى طام ١٨٨٦ واخرجت قصصاً عديدة . ومنذ ذلك الوقت اضطرت المسرح
بعدها الى اخراجها ممترة بمحطتها فى رصها اولاً . ولقد مثلت هذه القصة التى
ألحسها للمرة الأولى بواسطة تلك الجماعة القيدة فى يونيو طام ١٩٢١ على مسرح

انطلوان فقابلها النقاد — كما قلت لك — بكل تقدير وإعجاب وسأقتصر على ترجمة رأى الناقد فرناند جريج في مجلة « كوميديا » اذ قال عنها :

« إنها دراسة للفترة يندر ان اجد لها مثيلاً في غيرها من القصص المسرحية أو القصص العادية وهي صادقة التميز الى حد انها تتخذ مكلاتها بجانب الاعمال الفنية (الكلاسيك) . ويتسم فن جان برنار بطابع الساني يميزه عن غيره . ولا أجد اهل من ذلك الفن الذي اثبت ان صاحبه له ذوق عظيم . ان جان برنار قوة من القوات التي يستد بها في الوقت الحاضر »

☆☆☆

هو مسكن بسيط متواضع في قرية صغيرة من قرى فرنسا صاحبه مدرس في إحدى المدارس الابتدائية يدعى أندريه ميران André Mérin وقد ذهب إلى ساحة القتال ليؤدي واجبه في الحرب العظمى . إذ نحن الآن في نوفمبر عام ١٩١٨ وقد أخذت زوجته بلانش Blanche — وهي شابة تصغر زوجها بمشرة أعوام — تحدث إلى صديقة لها تدعى جان Jeanne فتفهم من حديثهما ان بلانش قد انقضت عليها أعوام لم ترفقها زوجها اندريه ولم تسمع عنه شيئاً وانها عرفت أخيراً بعد اعلان الهدنة أن الاسرى قد فك عقابهم وأن أوتهم إلى الوطن منتظرة من وقت إلى آخر ولو انها لاتدرى على وجه التحقيق ما إذا كان زوجها من بينهم أم لا . وهل مات أو انه على قيد الحياة ؟ وتحس من حديث بلانش انها تحب زوجها الثاني الذي لاتعلم إذا كان الله سيرد غريته أم لا . ولكلك تعرف إلى جانب ذلك انها قد استضافت في أثناء غيابه ضابطاً أميركياً عن وفدوا على فرنسا للاشتراك مع الحلفاء . وقد فعلت ذلك بناء على رجاء صدة القرين واحتذاء لغيرها من الاسرات الفرنسية التي آوت عدداً كبيراً من جنود الجيش الاميركي . وتلاحظ جان ان صديقها تميل إلى ذلك الضابط الشاب ميلاً خاصاً . ولكن بلانش تسكر ذلك انكاراً تاماً ولا تجد جان مناصاً من ان تحبرها بأن تجارها

في الحياة قد علمتها كيف تعرف ما تخفق به قلوب النساء . وهنا تعلم ان جان امرأة متزوجة هي الاخرى ولكنها أحبت شخصاً آخر وخانت زوجها معه وتذكر بلانش ان ذلك الضابط الاميركي انما هو صديق مهندس ذكي . وانه قد فاتحها في أمور عديدة وطلب اليها ان ترحل معه الى اميركا ولكنها فكرت في زوجها اندريه وفي مبلغ الحزن الذي يستولي عليه عند ما يعود فلا يجدها في البيت فرفضت ما عرضه عليها . وتتسامل جان إذ ذاك ساحرة عما حدا بصديقتها إلى التفكير فيما يمكن أن يحدث لو أنها رحلت مع الضابط إلى اميركا وتعلق على ذلك بقولها :

— عند ما يعتزم المراهق ألا يفعل شيئاً فإنه لا يفكر فيه بعد ذلك وينتهي الامر . ولكنه إذا بدأ يتخيل ما يمكن ان يحدث عند ما يفعله فإن هذا يدل على انه ليس مطمئناً إلى انه محق في عزمه الايفعله !

وتخرج بلانش بعد ذلك لقضاء أمر وقبل الاب ميران والد اندريه وهو شيخ في الخامسة والسبعين من عمره ولا يكاد يتحدث الى جان حتى تعرف ان هناك خبراً قد وصل القرية عن عودة بعض اسرى الحرب إلى القرية . وهو كبير الامل في ان يعود ابنه اندريه بعد ساعة

وتتقضى فترة تعود فيها بلانش ويخرج الاب ميران ثم لا يلبث ان يفتح الباب وقد تهلل وجهه فرحاً وسروراً ويدخل ابنه اندريه وهو ممزق الثياب مغبر اللحية ، زرى المظهر ، وتسرع بلانش اليه فيعانق الاثنان ويدوم عناقهما طويلاً ويتحدثان حديثاً شائقاً لذيذاً خونا كنت أود ان أترجملك ، ولسكنى ا كفى بأن أنقل جزءاً منه . فهي تنظر إلى ثيابه القذرة فيقول لها : — لا تلتقي إلى هذه الثياب لقد أعطوني ثيابا اخرى امس مساء ولكنني فضلت المحبى بهذه الثياب لانها هي التي سافرت بها . هنا فظيح ، لا تنظري اليها

— اتى أجبك مع ذلك

— لقد هرمت

— أجل... لا . لم تهرم

— أما أنت فلم تتغيرى تقريباً

— ولسكتى تعذبت كثيراً

ويتبادل الزوجان حديثهما على هذا النمط فيذكران الحرب وأهوالها .
ويفكر اندريه فى غسل يديه ، وتحضر له بلائش اناء به ماء يضع فيه يديه طويلاً
وهو يستعذب العودة الى الجو المنزلى الهادى ، الوديع . ثم يخرج يديه وشجه
الى أحد الادراج فيفتحه ويخرج منه منشفتين وهو يقول :

— ان منشفى لاتزال بجانب منشفتك

وتسرع بلائش فتطلب اليه ان يسدها الى مكانها وهي تقول :

بلائش — انها ليست منشفتك

اندريه — ولكن... .

بلائش — سأحكى لك .. لقد اضطرت ان اسكن ضابطاً أمريكياً .. هيا بنا

الى المائدة (تخرج بسرعة)

اندريه (يقرب فى حركة آلية الى المائدة ويجلس ثم يتناول أدوات الطعام

ولكنه بيدها ثانية ويقف وهو يفكر مضطرباً ويتمتم) :

— ضابط أمريكى

☆☆☆

فانما كان الفصل الثانى فقد انقضت بضعة أسابيع . استقر فيها اندريه تحت

سقف بيته وأخذت تنسب بينه وبين زوجته مناقشات حادة تدور كلها حول

غيرة الزوج من ذلك الضابط الأمريكي التي كانت قد اضافته الزوجة في البيت . فهو يتهمها بأن أموراً لابد أن نكون قد حدثت بينها وبينه . وبأنه لا يصدق أنها ظلت تماشره وحدها في البيت دون ان تحدث تلك الامور ، وهي تسكر ذلك وتبكي ثم لاتمالك نفسها في المرة الاخيرة فتخرج الى الكنيسة مع أن هذا ليس من طقتها . وقبل الاب ميران فيدلي اليه ابنه بالشكوك التي ساوره من سلوك زوجته في أثناء غيابه فيزع الاب لذلك ويؤكد لابنه ان زوجته كانت مثال المرأة الوفية المخلصة . ولكن اندريه لا يطمئن الى ذلك ، فهو يعرف أن والده لم يكن يقيم معها في البيت وانما كان يتردد عليها من وقت إلى آخر . ويغلو في ذلك فيذكر لوالده ان مظاهر النساء تتحدع وأنه عند ما كان في الحرب علم من زميل له أن له عشيقة متزوجة في القرية لا يظن احد مطلقاً أنها يحون زوجها ومع ذلك فقد خائنه وان هذه الزوجة الحائرة يعرفها هو وسرفها والده ويقتلان فيها الطهر والضاف

ويخرج الاب ثم تقبل جان صديقة بلانش فيصارحها اندريه بما يحول في صدره وعندئذ تسرع بالدفاع عن صديقتها . وتؤكد له ان بلانش لو كانت تحمل في صدرها سرّاً خلساً لما استطاعت ان تقاوم طويلا ولافضت به اليه . وهنا يقول لها فجأة :

— جان ! احبيني وانظري بعينيك إلى عيني

فتقبل ويطلب اليها مرة أخرى ان تؤكد طهر زوجته فتؤكد . ويدور بينهما هذا الحديث :

اندريه — ولكن كيف استطيع ان اصدقك ؟

جان — ماذا تريد ان تقوله ؟

اندريه — هل تعلمين ان صديقك « لوبان » قدم مات بين ذراعي ؟

فتفهم جان ما يقصد اليه . فلويان هنا هو عشيقها الذى كانت تخون زوجها معه . وهنا تعلم أنت ان تلك الزوجة التى كان يحدث اندريه والده عنها انما هي جان نفسها وتعرف جان بتلك العلاقة التى كانت بينها وبين لويان . ولكننا نذكر أنها هفوة من هفوات الشباب . ويسألها اندريه عما تقول فى ان زوجها قد ظل يعيش معها سنوات طويلة ينظر إلى عينيها فيرى الطهر والوفاء كما يرى هو فى عيني زوجته مع انها كانت تحمل فى صدرها سرأ رهيماً ؟ ولكننا نحبه بأننا قد أفضت إلى زوجها بذلك السر وتقول وهي ترن كلماتها :

— لا . لا . هل تظن انه يمكن للمرأة ان تكذب الى الابد وهي تعيش مع زوجها جنباً إلى جنب ؟ ان السر الذى يكتبه القلم تفضحه العينان . لم استطلع . . . ومن غيرى يستطيع ؟

وتعود بلانش من الكنيسة وتلقاها اندريه فى حنان وحب . ونسى تلك الشكوك التى كانت تساوره الى لحظة قريبة ويدلي اليها بما دار بينه وبين جان . وما علمه من عشيقها لويان وهو يموت بين ذراعيه فى ساحة القتال فتخبره بلانش بأن جان لا تحب زوجها كما تحبه هي . وفتح لها ذراعيه فيتعانقان ولكنه لا يلبث أن يدفعها عنه ثم يقترب من المدفأة ويجلس على أحد المقاعد فتسأله :

— ماذا بك ؟

فيجيبها :

— ألم يكن يجلس هنا هو أيضاً ؟

— هو ! آه . . . اسكت

— ألم تكونى تطلين منه السكوت عند ما كان يتكلم غنى ؟ (يقف) اما كننا — كما نحن الآن — اثنين فى هذه الغرفة ؟ (يجيل بصره) آه . . . ومع ذلك فان ظله يتبعنى . انه لا يزال هنا . حاضراً معاً . وكأنه يعيش متقمصاً جسديك وهكذا تشتد الغيرة باندريه . ويطلب اليها ان تصارحه بأن ذلك الضابط

الاميركى كان نذلاً ومجرماً وأنه طلب منها أموراً رفضتها وأبتهـا عليه . ولكنـها تحبـه بانـه لم يـكن نذلاً ولا مجرماً

وتقبل جان اذ ذاك ويخرج اندريه . وتناولها جان رسالة اخنتها من ساعى البريد معنونة باسم بلانش . ولا تكاد الاخيرة تلقى نظرة على الرسالة حتى تعلم انها من ذلك الضابط الاميركى . وتعلن رغبتها فى ان تذهب وتعطى الرسالة لزوجها حتى يكون ذلك دليلاً على وفائها . ولكنها ترددهـى لانهـا لاتعلم ما تحتوى عليه الرسالة . وتتسائل :

بلانش — جان . . جان . . ألا يحسن ان امزقها ؟

جان — ماذا اقول لك ؟

بلانش — لادرى . هل اريه الرسالة . ماذا يظن . . (فجأة) لا

جان — احذرى

(ودون ان تحجب تنظر بلانش الى باب الفرفة ثم الى الرسالة وفجأة تفضها وتبدأ فى القراءة)

فاذا كان الفصل الاخير فقد اشتد النفور بين بلانش وزوجها . وانت تعرف ذلك — كما عرفت معظم حوادث القصة — من حديث يدور بين بلانش وصديقتها جان . بل ان هذا النفور قد وصل الى حد ان الزوجة قد بدأت تفكر فى هجر زوجها واللاحاق بصديقتها . فاذا لامتها جان على ذلك اجابتهـا بأنها كانت فى اثناء غياب زوجها فى الأمر تشعر بأن واجبهـا يقضى عليها بالوفاء له . ولكنها الآن وقد رجـع لم يدهـو اندريه التى كانت تعرفه من قبل . كما تعرف من هذا الحديث ان رسولا حضر امس من قبل ذلك الضابط الاميركى واتفق معها على الموعد الذى يمكن ان تلحق صديقها فيه

ويقبل اندريه ويفاحىـه زوجته بأن هناك عدة شهود رأوا عشيقها الاميركى

يمر في الطريق الذي فيه البيت ولسكنها تنكر ذلك . فيؤكد لها انه قد سم
رائحة الدخان الذي اعتاد الأميركيون ان يدخوه وهو يصعد سلم البيت . ولا يجد
بلاش مناصاً امام ذلك من ان تعترف له بأن رجلاً أميركياً قد حضر إليها
مرسلاً من ذلك الضابط ، فيثور اندريه ويهجم عليها وهم بضربها فتصارحه
بأنها اعتزمت الرحيل لتلحق بمشيقتها في أميركا ويدعش الزوج لذلك طائفة الدهشة .
ويظن انها تهزل ويتهما بالكذب كما كذبت عليه طول الشهرين الماضيين ! .
وتعود اذ ذاك فتذكر له انها لاتود الرحيل ويظل هو معتقداً انها خاتمه مع
غيره فتقول له :

— أقسم لك بأعوام الحب والمناه التي قضيناها معاً . وبكل ما كان عزيزاً
علينا . وبذكرى والدي اللذين احبتهما ، أقسم بكل ذلك يا اندريه على اتقلم
أ كن عشيقة !

وبلين الزوج بعد ذلك . ويدور بين الاثنين حوار بديع فيه ثورة وعتاب
ولوم وحان . ويصارحها بأنه يستطيع أن يقهرها على البقاء ، فتعترف بأنه
اقوى منها وانه يستطيع قهرها ولكنها تنسأل عما تكون عليه حياتهما بعد
ذلك ، وتذكر في هذه اللحظة تلك الايام الماضية . ايام الحب والعلش والساب
ايام كان يقهرها بالقوة على اتيان امور تثير في نفسها اليوم اعز الذكريات ؟
ويقرب منها اندريه وهو يقول :

— اسكتي . . اتقلم احبك

ويقبل الأب ميران ويكرر امام ابنه ما سبق ان ذكره عن شقا بلانش مدى
اربعة اعوام قضاها زوجها بعيداً عنها . ويتأثر الزوجان لذلك . وتقول بلانش
انها لا يستطيع الرحيل الا بعد ان تستوثق من الطريقة التي سوف يعيش بها
بعدها . وتنتهي القصة بهذا الحوار البديع :

بلانش — هل سوف تبقي هنا وحيداً في لبالي الشتاء التي لانتهي ؟

أندريه — اسكتى . اسكتى
بلاش — هل سوف تقضى أيام الاحد وحيداً بين هذا الالاث الذى رآنا
معاً متحدين فى حياة واحدة
أندريه (يحجب وجهه فى يديه) — اشفق على !
بلاش (تتقدم إليه وقد ضمت يديها) — لقد جريت هذا . انه فظيع !
أندريه — بلاش ! . . بلاش !
بلاش (ساقطة على المقعد بجانبه امام نار المدفأة) — آه ! كيف تريدنى
ان ارحل ؟

سيجفريد

عن الكاتب الفرنسى جان جيرودو

قصة فضحة رائنة ولا شك ! ولقد استهلانى فى الواقع إلى قراتها اسم مؤلفها جان جيرودو Jean Giraudoux فهو من اعظم كتاب فرنسا ، ان لم يكن من أعظم كتاب العصر الحاضر . ولكنه لم يكن إلى حين ظهور هذه القصة قد حاول الكتابة للمسرح . بل كان كل انتاجه الادبى مقصوراً على اخراج قصص للقراء يقسم بها للجيل الادبى الجديد نوعاً حياً « أصيلاً » من أنواع القصص الحديث . الا انه لم تكذب تظهر قصة سيجفريد Stegfried على مسرح « الشاتر البريه » فى مايو سنة ١٩٢٨ حتى أيقن الققاد ان جيرودو لا يقل روعة فى محاولته المسرحية الجديدة الموفقة عنه فى انتاجه القصصى العابر . واعتبروا ظهور « سيجفريد » حدثاً فى تاريخ التطور المسرحى العالمى ، وأجمعوا على أنه منذ ان مثلت قصة « القديسمجان » التى كتبها المؤلف الانجليزى العبرى برناردشو لم تمهد المسارح قصة تعرض للباحة السياسية من علاقات الافراد والشعوب خيراً من هذه القصة التى ألخصها لك . ويكفيها فخراً أنها دعوة نبيلة حارة الى انكار الحروب ولسيان الفوارق الجنسية والتوفيق بين دينك الشعبين المتدينين المابيا وفرنسا . وقد صاغ جان جيرودو تلك الدعوة الاسانية فى قالب قصصى كله روعة وابتكار وتجديد وشعر

هو مكتب أعد كقاعة من قاعات الانتظار في منزل المستشار سيجموند أحد أقطاب الدولة الألمانية في عام ١٩٢١ ومن كبار زعمائها في البرلمان الذين يدعون الى بعض الآراء السلبية المعتدلة ويرون اعطاء الولايات الألمانية حقها من حكم نفسها حكماً ذاتياً داخل الدولة الألمانية المتحدة . وهو يعيش في هذا المنزل القائم في مدينة « جوتا » مع صديقة المانية تدعى ايڤا Eva . وأنت تفهم من حديث يدور بين ايڤا وبين زعيم آخر من زعماء البرلمان الألماني يدعى زيلتين Zelten أن الزعيم سيجموند ليس له ماضٍ معروف . وأنه قد وجد منذ ستة أعوام أثناء الحرب العظمى جرحاً في إحدى المخطات القريبة من الحدود وقد أصيب بتلك النكبة التي أصيب بها الكثيرون من ضحايا الحرب وهي فقد النكبة . فلم يكن يمي شيئاً من ماضيه بل إنه لم يعد يذكر اسمه أو أسرته أو وطنه أو لفته . وقد عثرت به « ايڤا » فمطقت عليه وتمهدتبعنايتها الى أن استطاع التحدث باللغة الألمانية في مدى قصير . ثم لم يلبث بعد ذلك أن اندمج في سلك الحياة العامة فنجح نجاحاً باهراً . واستطاع بقدرته وكفاءته أن يتقلب على خصومه السياسيين وأن يحظى بثقة الملايين من أفراد الشعب الألماني كما تفهم من ذلك الحديث أن زيلتين هذا يعارض سيجموند في سياسته وأنه قد أبدى معارضته في الجلسة الأخيرة عند الاقتراع على أحد القوانين التي طرحها سيجموند . وأن أساس اختلافهما في الرأي يرجع الى أن زيلتين يرى وجوب اتحاد المانيا اتحاداً وثيقاً تحت راية واحدة ولا يعترف بتلك الآراء الاشتراكية أو الجمهورية التي تجمل المانيا شبه شركة مساهمة ١

ولا تكاد ايڤا تخرج من القاعة حتى تعرف من حديث زيلتين الى الخادم أن هناك مؤامرة سياسية مدبرة لاسقاط سيجموند . وأن زيلتين قد استدعى اثنين من الفرنسيين ، رجلاً وامرأة سيظهرانه في منزل سيجموند باعتبار أنهما من

فرنسي كندا . وسدعى المرأة أنها مربية كندية حتى يخفى أمرها على الجميع
ثم تعلم بعد ذلك أمر ذيك الفرنسيين المتآمرين مع زلتين على الابتاع
بسيجفريد فاحدهما يدعى روينو Robineau والاخرى تدعى جنيف
Geneviève . وتبدى الاخيرة خوفها من القدوم الى تلك البلدة الالمانية البعيدة
عن باريس ، مدينتها ومسقط رأسها . وتذكر قصة غرامها الاول بأديب فرنسي
كان يدعى جاك فورستيه Jacques Forestier وقد ذهب ليؤدى واجبه فى
الحرب العظمى ثم لم تعد تعلم عنه شيئاً . اذ انقطعت أخباره وقد بكته بالدمع
السخين ولا تزال تبكيه

وقبل زلتين ولا يكاد يرى صديقه القديم روينو حتى يشند بالاثنتين التائر
فهما لم يلتقيا منذ أعلنت الحرب اذ اندمج كل منهما فى جيش أمته . وهما
يتذاكران أيام السلم والحرب . ويقول روينو لصديقه الالماني انه قد حدث عدة
مرات أثناء الهجوم فى المعارك أنه كان لايسكاد يفكر فيه حتى يرفع سلاحه
ويطلق النار فى الهواء !

وتعرف بعد ذلك السرفى دعوة زلتين لصديقه الفرنسي وجنيف فهو يدبر
خورة يريد أن ينيرها ضد سيجفريد وضد النظام الذى يدعو اليه . وهو يعلن الى
روينو ان هناك كاتباً فرنسياً يدعى جاك فورستيه كانت آراؤه تنابه آراء
سيجفريد مشابة تامة ! ويدهش روينو لذلك ويخبر زلتين بان ذلك الكاتب
الفرنسي كان صديقاً حميماً لجنيف ! ويحب زلتين بان سيجفريد قد وجد منذ
سته أعوام عارياً بين رهط من الجرحى وقد فقد ذاكرته ولفته وان صديقاً له
كان يحاور سيجفريد فى المستشفى الذى نقل اليه يؤكد بأنه ليس الالماني . وانه
راى بجانبه ورقة تدل على أن اسمه جاك فورستيه ! وهو يطلب الى روينو أن
يدعو صديقه جنيف ليدلي اليها بهذا النبأ العجيب . ولكن روينو نبه الى

انه من الخطر على ذلك النوع من فاقدى الفأكرة والوعى أن ينادوا باسمهم
جأة فقد يكون هذا سبباً فى قتلهم . إذ يجب إعادهم لتلقى ذلك تدريجياً
وتقبل جنيف وتدرج زلتين معها فى الحديث عن صديقها القديم جاك
فورستيه وبحبرها بانه لم يمت وإنما احتفى فقط . وينتهى الى مصارحتها بانه من
الجاثر أن يبط الدرج ويظهر أمامها الآن !

ويسمع صوت سيغفريد من الخارج وهنا تقول الفتاة الفرنسية :
— ما هذا ؟ ماذا تريد أن تقول ؟ ولكن هذا صوت جاك ! (يسكت
الصوت) من هو صاحب ذلك الصوت ؟

فيجيبها :

— صاحب المنزل . المستشار سيغفريد

وعندئذ تنهب جنيف الى جهة الدرج وتصبح :

— جاك !

ثم تعود الى حيث وقف الرجلان وتستوضحهما الامر . فيخبرها روينو
بأن زلتين يعتقد بان ذلك الزعيم سيغفريد الذى وجد فاقد الوعى بين الجرحى
منذ أعوام إنما هو فورستيه

وبقبل سيغفريد مرتدياً ثياباً على النمط الالماني ويحيى جنيف على الطريقة
الالمانية ويتفق معها على أن تلتقه اللغة الفرنسية ، ويطلب اليها أن تلتقى عليه قطعة
من القطع الثرية الادبية . فتبدأ جنيف فى القاء قطعة تذكر فيها شيئاً عن
تاة كانت تصطحب صديقها الى قهوات باريس . وتتفنن فى وصف ذلك بلغة
شعرية رائعة، وهي تشرح حياتها الفارة مع جاك فورستيه . وينصت سيغفريد
اليها وكأنه لا يعبى شيئاً ويقول لها انه يفهم الكلمات ولكنه لا يفهم المعنى !
ويحييها ثم يهم بالانصراف على أن يلتقيا فى اليوم التالى . وينتهى الموقف هكذا :

جفيف (مستمرة) - جاك

إنفا (تظهر على الدرج) - سيجفريد !

سيجفريد - اهتم يدعوتى !

✱ ✱ ✱

فإذا خلت جفيف الى سيجفريد فى اليوم التالى فهما يتحدثان فى بادىء الامر حديثاً طائفاً عن كدا وعن الثياب وعن اللغة الفرنسية وعن التلج الجفيف المتساقط . ثم تذكر له انه كان لما خطيب قتل فى الحرب وان حياتها قد وقفت منذ بدأت حياته هو ! ويقترّب منها سيجفريد ويشخص اليها وهو يعتذر عن ذلك . ويذكر لها انه يكاد يستطيع ان يتخيل ماضيها وهى طفلة تلعب بالجل ثم وهى فتاة تقرأ على ضوء المصباح ، ثم وهى على حافة نهر ، ثم وهى امرأة تصلى بجانب قبر خطيبها ! ويسألها عما اذا كان خطيبها يكره ألمانيا ؟ فتجيبه بأنه كان مسلماً فى آرائه وأنه كان يتنبأ بهزيمتها وكان يعد نفسه لى يوليها عطفه وحبّه بعد الهزيمة ! ويطلب اليها ان تصفه له فتصفه بنفس الصفات التى تطبق عليه هو ذاته ! ويسألها عما اذا كانت تحمل صورته فتتردد قليلا وتحيى بأن صورته معها . ولكن يسمع فى تلك اللحظة صوت جرس يدق فيخرج سيجفريد

وتعلم بعد ذلك ان قواد الجيش الموالين للزعيم سيجفريد يستدعونه للبحث معه فى أمر الثورة التى أثارها زبنتين ، إذ أعلن عليهم الحرب الاهلية

وتتقضى فترة ويعود سيجفريد الى جفيف فيتحدث اليها حديثاً كله رقة وحنان وهو يطيل النظر اليها وسحب لى يديها ويذكر لها انه يكاد يرى أنها تغيرت عما كانت عليه منذ برهة . ثم يتركها بعد حديث شمى رائع كنت ود ان اترجه لك ولكن من البعث تلخيصه

✱ ✱ ✱

ويمكن انتصار الزعيم الالماني من اخذ الثورة والقبض على زيلتين وإبداعه السجن وتعرف أن المحاكمة العسكرية قد أسفرت عن اذانة الناصر والحكم عليه بالاعدام . ولكن سيغفريد يحضر الى السجن ويقابل خصمه السجين ويبدى رغبته فى العفو عنه والا كفاه بنفيه . ويتطور الحديث بين ذينك الفرعين فيلجح زيلتين العاصى لسيغفريد انه وجدت معه أوراق تدل على انه كان جنديا فى جيش أجنبي . ولا يفهم سيغفريد ما يرمى اليه خصمه ويصيح الحاضرون بزيلتين ان يسكت ثم يخرجونه . ويتجهون الى زعيمهم فيسألونه عن القطعة التى يرى ان تعزفها الموسيقى وهي تقدم الجيش أثناء دخوله المدينة فيجيبهم :

— سؤال غريب ... نشيدنا .. النشيد الالماني الوطنى !

ولا يكاد يخلو سيغفريد الى صديقه إيفا حتى يسألها :

— هل أنا ألمانى يا إيفا ؟

— ماذا تقول ؟ ألمانى ؟ !

— هل أنا المانى يا إيفا ؟

— أستطيع ان أحييك ومن صميم نفسى . أجل ياسيغفريد . انت ألمانى

عظيم !

وعندئذ يسألها عما إذا كان المانيا عند ما عثرت عليه ملقى بين رهط من الجرحى فتجيبه بانه طلب اليها بالألمانية أن تقدم له جرعة من الماء . ولكنه لا يقع بذلك ، فقد كان كل الجنود الذين ذهبوا الى الحرب العظمى يعرفون اسم الماء فى لغة أعدائهم . ولا تتمالك إيفا بعد ذلك نفسها من أن تعترف أمامه بانها لم تستطع إذ ذاك لاهى ولا مدير المستشفى الذى نقل اليه أن يتينا شخصيته ولا جنسيته

وتقبل جنيف فتنخر سيغفريد أنها منذرته أمس ترغب فى معرفة الكثير

عن ألمانيا وعن تاريخها وحياتها وعن هذه المدينة التي تعيش فيها الآن . ولها
فكرت في أن تلقى على يديه اللغة الألمانية في مقابل تلقينه الفرنسية ولها تعزّم
البقاء .

وسمع إذ ذاك صوت النشيد الألماني فتقف جنيف ومجبب سيجفريد
لذلك فتجيب بلتهاجي نشيد أمة الموسيقى

ويذكر لها بعد ذلك موجز الحديث الذي دار بينه وبين إيفا . ويتعصر
غاية الحسرة لأنها أهملت عند ما عثرت عليه في البحث الدقيق عن جنسيته .
ويعلن أنه يكرها من أجل ذلك كرها شديداً !

ويدخل أحد الجنود ومعه قائمة باسمه النوار الذين صدر الامر باعدامهم
ويتبين سيجفريد من بينهم أسبه أشخاص من جنسيات مختلفة، ويفكر في ملاقاته
الامر بالمفو عنهم ، ولكن الجندي يخبره بان الامر قد نفذ وسقطت جثثهم
تحت وابل الرصاص . ويتبادر الى ذهن سيجفريد أنه ربما كان بذلك قد أمر
باعدام شخص من بني وطنه وتنالم لذلك غاية الالم ، ولكن جنيف لا تكاد
تلاحظ ألمه حتى تصبح به :

— كلا . إنك لم تقتل أحداً من مواطنيك فأنت خطيبي . أنت جاك
فورستيه وأنت فرنسي

وتدخل إيفا إذ ذاك وتعرف ما حدث فتخبره بأنها لو كانت تعلم أن القدر
سيكشف عن جنسيته لما أعطته جنسيتها ، وتذكره بان الملايين من الألمانين
ينتظرونه في الخارج، ولكن جنيف تنشب به فقساً لها إيفا عما إذا كانت له
أسرة أو ذرية أو بيت أو أرض في فرنسا فتجيبها سلباً وتخبرها بأنه لم يترك
أحداً ينتظره في فرنسا ولكنه ترك شيئاً واحداً . . ترك كلباً أبيض . وتلفتت
إليه ثم تقول له :

. إن هلك ينتظرك يا جالك

وتتطرق الى ذكر أشجار فرنسا وأثمارها وطيورها ثم تقول له :
— إن كل شيء ينتظرك في فرنسا ماعدا الرجال . أما هنا فلا شيء يعرفك
غير الرجال . . .

وتطلب اليه جنيف أن يختار بين ألمانيا وفرنسا . وتمود « ايفا » فتذكره
بالملايين الذين يصبحون في الخارج ينتظرون كئنه فيطيعونه ويخضعون له وتطلب
اليه هي الأخرى أن يختار فيجيها :
— وهل للأعمى أن يختار ؟

✱ ✱ ✱

فاذا كان الفصل الأخير فنحن في محطة صغيرة من المحطات القائمة على
حدود فرنسا وألمانيا وقد أقبلت جنيف وأخذت تتحدث إلى ناظر المحطة
الفرنسى . وبعد قليل يقبل سيجريد وقد لحق به زملاؤه وأنصاره من قواد
الحيش الألمانى يحاولون أن يشوه عن عزمه وسودوا به إلى ألمانيا ولكنه يصبر
على وجوب الرجل ويقول لهم :
— إن منغاي هو وطنى !

فاذا يئس أولئك الانصار منه عادوا أدراجهم في القطار الناهب إلى قلب
ألمانيا . وبدأ سيجريد في التحدث الى موظف الحدود وعندئذ يلمح جنيف
ويدهش من أنها تبته . ويتحدثان حديثاً رائعاً ينتهى بأن يضمها الى صدره ضماً
قوياً . وتذكره بأمور حدثت يوم قبلها أول مرة باعتبارها مربية كندية فيذكرها ،
ويذكرها هو الآخر بالطريقة التى كانت تتبعها فى تلقيه اللغة الفرنسية . وتنبه
جنيف الى أنها لم تدعه مطلقاً باسمه الألمانى وأنها أقسمت ألا تنطق به قط
وتنتهى القصة بهذا الحوار :

سيجفريد — لقد كنت مخطئة . انه اسم جبل . . والآن ؟
 جنيف — والآن .. اقرب
 سيجفريد — هأنا
 جنيف — أسمعنى يا جاك ؟
 سيجفريد — إن جاك يسمعك
 جنيف — سيجفريد ! سيجفريد !
 سيجفريد — لماذا نعلقن اسم سيجفريد ؟
 جنيف — سيجفريد ! انى أجك !

الحيان

عن الطبيب الفرنسى لونورمان

ولعلك اشتقت معى الى قراءة شيء فذلك المؤلف العبرى الثابفة ؟ ولعلك لا تضجر إذا قدمته اليك بين آونة واخرى فى هذا الكتاب فقد سبق أن لحصت له ثلاث قصص من قصصه الخالدة « إنما الحياة حلم » و « السن الحمراء » و « وحياة خفية » وها أنا الآن ألخص لك قصة « الحيان » Le Lâche وهي إحدى قصصه الرائعة ، ذلك لاني أعتقد أن لونورمان H. A. Lenormand من الكتاب الذين يلد للقارىء أن يصادقهم ويطلع على كل ما كتبوه واتجوه ، فهو من أئمة المؤلفين الذين جددوا المسرح الفرنسى وقلبوا نظمه رأساً على عقب ، أو هو كما يسميه النقاد فى فرنسا رئيس (مدرسة) مسرحية جديدة . ذلك أن كل قصة من قصصه تدور حول حالة نفسية معينة (Cas psychologique) يحللها ويدرسها على ضوء علم النفس الحديث ، ولقد سبق أن قدمته لك فقلت انه لا يعنى فى أثناء هذا البحث بالقواعد التقليدية التى استبعد لها معظم مؤلفى المسرح الفرنسى ، فلا يهمه أن تكون القصة ثلاثة فصول أو أربعة أو خمسة ، ولا يعبأ بأن يحيل الفصل منظرآ واحداً أو عدة مناظر ، ولا يهتم بان يطلق على بعض أشخاص القصة أسماء من أسماء الاعلام أو يكتفى بتقديمهم الى الجمهور من غير أسماء فيكون وصفهم فى نسخة القصة الأصلية آتسة ، طيب ، استاذ وهو حريص مع ذلك غاية الحرص على أن يعطى القصة روح الجوف الذى

حدثت فيه تماماً ، بل إنه في هذه القصة بالذات قد احتار لها احدى مدن
الاستشفاء الفرنسية ووفق التوفيق كله في وصفها لانه مرض في عام ١٩١٥
وقضى مدة مائتي تلك المنطقة ورأى عن كسب آلام النفس البشرية في تلك الفترة
من الحرب العظمى

ومثلت قصة « الحيان » للمرة الاولى في ديسمبر سنة ١٩٢٥ على مسرح
الفنون بباريس بعد أن سبق اخراجها قبل ذلك بمدة في مونت كارلو ، وقابلها
النقاد - كما اعتادوا أن يقابلوا كل قصص مؤلفها - بمباراة الاعجاب والتقدير،
وكتب أود أن انقل اليك بعض ما كتبوه عنها «ولسكتي أكتفى بان أترجم
لك فقرة من مقال شارل ميرييه رئيس جماعة المؤلفين المسرحيين اذ قال:
« كان يجب أن تتوفر عبقرية رجل مثل لونورمان لبحث هذا الموضوع
ودراسته حتى النهاية، ولكن مؤلف قصة «سيمون» موفق في دراسته
واكتشافاته ، وليس هناك شيء يغريه أكثر من سر النفس والقلب ، انه رجل
الموضوع الجريء »



نحن في بلدة سيلفاس Selvas بسويسرا الشرقية عام ١٩١٥ . وفي احد
الفنادق المرتفعة عن سطح الارض المدة لمعالجة المرضى الذين يعانون آلام السل
وغيره من الامراض المستعصية ، وقد اجتمع في هو الفندق بعض المرضى
يتحدثون وحديثهم كله دائر عن درجة الحمى التي يعانونها كل منهم وعن طريقة
العلاج التي يتبناها الاطباء معهم

وتلاحظ من بينهم رجلاً فرنسياً في الثامنة والعشرين من عمره يدعى
شارلييه Charlier وآخر ألمانيا يدعى الاسناذ هيرتز Hirtz يبدو عليه أنه من
العلماء الذين قصروا جهودهم على خدمة العلم والانسانية غير ناظرين الى أي
اعتبار آخر ، كما أن من بينهم آنسة فرنسية مريضة هي الاخرى مثلهم ولكنها

نائرة على فرنسا . توقف أن وطنها عنيد لانه انهزم أمام جيوش المانيا ومع ذلك
 فلا يزال يكابر وينكر الحقيقة الواقعة ، وهي أيضاً نائرة على طريقة العلاج في
 الفندق تنتمز الانتقال الى مصحة أخرى قريبة يديرها شخص يدعى
 الطيب ميوتا Muotta ، وهي لانبأ بما يقوله الحاضرون من أنه طيب لاضمير
 له ، وأنه يوقع المرضى تحت تأثيره النفسى ، وسودهم على تهاطى حقن المورفين
 والكوكايين لسكى نفسوا آلامهم ويستسلموا لارادته ومشيئته فيبتز أموالهم .
 وقبل في أثناء هذا الحديث شاب فرنسى يدعى جاك Jacques صناعته الرسم
 والتصوير مع زوجته تيريز Thérèse ويظهر لاول وهلة أن جاك قد حضر
 الى الفندق لمعالجة نفسه من مرض السل ، ولكنك تطلع بعد ذلك على الحقيقة
 إذا ما سمعت حديثه مع زوجته فهو من جنود الجيش الفرنسى الهاربين الذين
 جنبوا عن مواجهة الموت في ساحة القتال ، ولقد أقبل الى ذلك الفندق وادعى
 المرض لسكى تطلى حيلته على السلطات الفرنسية ، وهو مسرور اذ استطاع
 أن ينجذع الطيب فإذا خسيت زوجته أن تأتى نتيجة تحليل البصاق بعكس مائنه
 الطيب أجابها بان ذلك التحليل ان هو الا إجراءات شكلية لا قيمة لها ، وان
 الطيب يرى في التحليل ما يريد أن يراه ، لا ماهو أمامه . . .
 وأنت تحس من حديث ذلك الرسام الفرنسى أنه يحب الحياة وتحشقا ،
 فهو يتغنى بهذه الحياة ويمحاسنها وبهجتها أمام زوجته وهو يعترف بانه يضحي
 أعز ما يحرس عليه الرجال في سبيل التمتع بدقائق من الحياة
 وتخلو الأنسة الفرنسية الى شارليه فتعرف من حديثهما أن تلك الأنسة
 مضمرة به وان شارليه رجل عابث مستهتر يتعرف الى النساء ثم يتركن بعد أن
 أن ينال بغيته منهن . وقد لحظت عليه انه بدأ يتودد الى تيريز زوجة جاك الرسام
 الفرنسى وهو لا ينكر ذلك ولكنه بعدها بانه سوف لا يفعل أكثر من ذلك
 ثم يقبل الاساذ هيرتر ويحبرها بان أميركا أعلنت الحرب على المانيا . وان

صيدلى المصحة قابله وأسر اليه أن ذلك الرسام الفرنسى ليس مريضاً فقد أثبت تحليل البصاق أنه خلو من أى ميكروب وأنه يدعى ذلك للتخلص من الخدمة العسكرية . وثنى الاستاذ على مقدرة جاك الفنية . ولكن شارليه لا يبالك نفسه لدى سماعه ذلك فيقول :

— هذا لا يمنع . . انه حيان

ثم تستاقى الأنسة الفرنسية على أحد المقاعد وتستغرق فى النوم . ويصود جاك فى أثناء نومها ويدق بمصاء على الارض فتستيقظ وتجره إنها رأتها خلال الحلم فى ساحة القتال فيسألها مهتاً :

— هذا عجيب . وماذا فعلت ؟ أعطيت ظهري للعدو ووليت الادبار !

فتسخر منه وتحييه بأنها رأته يلقي بنفسه الى وطيس المعركة . ويسر جاك بتلك السخرية ويشرح هى ذلك فتدلى اليه بما سمعته من أن التحليل اثبت انه ليس مريضاً وأنه هارب من الجيش وتحضر تيريز وتلاحظ ان سحنة زوجها متغيرة ، وتصارحه بذلك فيعترف بان أعصابه متعبة مضناة وتصحبه بوجوب عرض نفسه على طبيب . وهو يبدى ألمه وحسرتة من نظرة الناس اليه واحتقارهم الصامت له لهربه من الجيش ويذكر ما قالته له الأنسة الفرنسية ، ولكنه يعود فيقرر بانه يتلذذ من ذلك العار الذى يضره ويلونه . . وان احتقار الناس له يبحث فى نفسه نسوة لا يقل عن نسوة الحب والفن وبدل على ذلك بانه كان يسر من قبل بانه منقل بالدين نحو أولئك الذين ماتوا وجرحوا فى ساحة القتال وجبن عن اللحاق بهم . ولكنه الآن يحس بان دينه قد خف بعد أن علم الناس بالعار الذى ارتكبه واصبحوا يحتقرونه من اجله . ثم يقول :

— مادمت لم أف دىنى بدمى كما فعل الآخرون فما أنا فى واضعى شرفى

بدلاً عن دى

وبعيس جاك بعد ذلك فى هذا الجو من القلق والحيرة ، فاذا بدأ بحية شخص

ولم يحبه فسر ذلك بأنه يحترقه ويزدره ، وهو يخبر زوجته بعد أيام بأنه يحلم حلماً غريباً ، يحلم بأن جندياً يتبعه وأنه يريد ان يفهمه بأنه صديقه ولا يجب ان يقتله ولكنه لا يستطيع ومحاول الجرى فيتبعه الجندى ويضربه بسيفه فيحترق صدره ، وان هذا الجندى القاتل ... فرنسى وهو يذكر أنه حلم ذلك الحلم مرتين قبل ذلك ، ولكنه للمرة الاولى يحلم به فى البقطة ، وتشعر زوجته بمبلغ الضيق الذى استولى على زوجها عندما اتباه ذلك الحلم فتصحبه بان يمرض نفسه على طبيب ويتنفس هو تنفساً عميقاً بعد زوال الحلم ، وينتهى الفصل هكذا
 تيريز - أترى انه لم يكن شيئاً يذكر ؟

(يتنفس فى عمق مرتين)

جاءك - آء .. ما أجمل الجو ! ما أجمل الجو

✽ ✽ ✽

فإذا كان الفصل الثانى فنحن مازلنا فى ذلك الفندق السويسرى فوق قمة الجبل ، وهو فصل طويل ذو مناظر متعددة ، ولكنه يتعرض لتفصيلات مسهبة وأحاديث شتى لاداعى لان ألحصالك . ويمكن ان تعلم بأن هناك حفلة تقام فى الفندق بمناسبة أحد الاعياد يشترك فيها المرضى وبعض الموسيقيين والمدعوين . ويتحدثون عن الحرب . فيذكر الأستاذ هيرتر أنه ليس ألمانيا ولا روسيا ولا فرنسا وإنما هو أوبى . هو مواطن ينتمى الى (العالم) من غير اعتبار للجنسيات المختلفة . وهو قلق لا يتردد رغم كونه ألمانيا عن ان ينادى بسقوط ألمانيا ! ويضحك للمدعوين ويمرحون ويفرط جاك فى الشراب . ويحتلط الجميع ورقصون على نغمات الموسيقى ويتنزه شارليه فرصة خروج الموجودين فيختلج برجل غريب قدم مقعاً يرتدى ثياباً خضراء . ولا يكادان يتبادلان بضع كلمات حتى تفهم ما كان خافياً عنك . فشارليه هذا جاسوس فرنسى ادعى المرض لسكى يدخل الى ذلك الفندق السويسرى ويحتلط بالاوساط المختلفة .

وهذا الرجل المقنع ذو الثياب الخضراء رئيس أحد مكاتب الجاسوسية الفرنسية قدم ليتناول من شارليه تقريره . وهو يطلب اليه أن ينشطف صمغاً حتى يضاعفوا له الاجر ويسأله عن المصور الفرنسي وعما اذا كان يمكن الاستفادة منه بشيء ويبدى شارليه رأيه في جاك . فهو يرى أنه عبد أعصابه . ولكن الرئيس يشير عليه بأن يستفيد من جاك في استطلاع سر الاستاذ هيرتر . ويرسم له الخطة التي يجب عليه انتهاجها من تهديد جاك بأنه معرض لاعادة الكشف عليه طياً وإرساله بعد ذلك الى جبهة القتال . وأنه خير له ان يعمل هنا في الهدوء . من أن يعود الى الجبهة !



فاذا كان الفصل الثالث فنحن في غرفة جاك بالفندق وقد اشتدت ازمنة النفسية . وزادت اعصابه تمباً وضخفاً . وبدأ يستقد انه مصاب بالسل . . فليس بعيداً على شخص وسط ذلك الجو الممتلئ بالجراثيم أن تقتل اليه العدوى وهو يشكو ألماً في ظهره وعظامه . ويتألم لان الخادمة حدثته عن شخص ايطالي هارب من الجيش بلهجة فيها استمزاز وازدراء . وهو يتطرق الى مصارحة زوجته بأنها هي نفسها قد بدأت تحب من انتسبها اليه . فقد تعرفت في الليلة الماضية بشخص أجنبي جلست معه الى مائدة منزلة تتحدث طويلاً ومع ذلك خجلت أن تقدم اليه زوجها . وهو يسألها عن موضوع ذلك الحديث فتجيبه أنه كان يتحدثها عن الحرب ، وعندئذ يثور جاك ويقول لها إن ذلك الرجل لا يد قد أسهب لها في وصف بطولة التجارئين وأوسمة الشرف التي نالوها . ومظاهر الشهامة والشجاعة التي ابدوها . فتتصرف له بذلك ، ويأن الرجل قد أخبرها عن رأيه في الحرب . فهو يعتبرها نكبة ووبالا من الوجهة الفلسفية ، ولكنه لا يحد من نفسه القوة على مخالفة المجموع . وهو يرى أنه اذا خالفه وامتنع عن اداء واجبه الحربي فان ضميره يمرض ويردى . فتصرف له بذلك . وبأنها اقتضت بما

قاله ذلك الرجل وهنا تصد ثورة جاك وبتهما بأنها هي التي جعلته يتخلف عن اداء واجبه نحو وطنه . فقد ظلت تحرضه وتستغزوه ضد الحرب إلى أن جعلت منه مالم يكنه قط من قبل جعلت منه جباناً ! وأنها سيطرت عليه واصبح عبداً لارادتها وافكارها وكلماتها . ولتها أبعدته عن العالم ودفست به الى وسط المرضى وها هي نفسها بعد جلسة مع رجل غريب تفكر لحظة ثم تقول : إنه على حق فيما قاله لها كأن الامر يتعلق بثوب أو رداء ! !

وهي تخبئه بأنه قد نسي الحقيقة والواقع فقد كان على وشك الانتحار عندما أخذ الى النكسة العسكرية . وأنها لما رأته في تلك الحالة اليائسة ثارت على الحرب ولستها . مع أنه لو قبل ورضى باداء واجبه كغيره من الرجال لرضيت وتركته كغيرها من النساء ثم تقول له :

— تقول اني جعلتك جباناً . هذا ليس بحق . فقد كنت دائماً جباناً . أنت تقضي حياتك في تخيل الاخطار . وها أنت هنا لانك تخاف من الموت . ان الخوف هو أساس كل تصرفاتك

وفكر جاك قليلاً ثم يجيب في هدوء كبير :

— هذا صحيح .. أنا لا أستطيع ان أتحمل مسئولية تصرفاتي أو عواطفني . يجب ان أضنها على كاهل شخص ما . فقد قدمت الى هنا لانتخلص من الحرب . لقد قلت حقاً . . . وإذا كنت أحملك مسئولية جبنى فذلك لاننى لا أحتمل فكرة إتني جبان . . . لماذا أنا جبان ؟ ربما كان هذا راجعاً إلى عهد طفولتى .. والداى ربيانى على الخوف من الحوادث والأمراض (يقف وبتسم) ها أنا أبحت أيضاً لى أضع حمل على عاتق أشخاص آخرين . . . لقد أحسنت جداً بمصارحتى بالحقيقة

وتجبره تيريز بعد ذلك أنها تحبه كما هو وكل ما ترجوه أن يبقى لها .

وهنا يذكر انه رأى ذلك الحلم الخاص بالجندى الذى يطلعه فى صدره بالسيف .
رآه مرتين بعد المرة التى أخبرها بها

ثم يقبل شارليه ويتحدث الى جاك فيفهمه انه مطلع على سره . وان وزارة
الحربية الفرنسية تبحث عنه وتعلم انه يدعى المرض للتخلص من الخدمة العسكرية
وانها ستعرضه على طبيب للكشف عليه . ثم يهدده بانه إذا لم يقطع أوامر الوزارة
فستكون النتيجة مصادرة امواله المودعة فى فرنسا . والحكم عليه بالاعدام رماً
بالرصاصة . ويخاف جاك لدى سماعه ذلك ولكن شارليه يرسم له طريق النجاة
ويطلب منه ان يساعده فى التجسس على الاستاذ هيرتز ويخبره انه رئيس الجاسوسية
الالمانية . وان تقنيه بالسلام والوثام المالى إن هو إلا حيلة خيثة . وتردد جاك
فى قبول هذه المهمة فهو يأنف من أن يستقل ثقة الاستاذ هيرتز به لى
يسرقه . ولكن شارليه لا يزال به حتى يقنعه أن الحرب لا تعرف المجاملات
ولا ائثار العلىا . وأن المانيا تفعل كل شئ فى سبيل تحقيق غرضها . ويرسم
لجاك الحطة التى يتبعها لسرقة مستندات هيرتز . وهي أن يدخل إلى غرفته
ويتحدث اليه عن الحب والفتى . ويكون شارليه إذ ذاك قد استدعى الاساذ
هيرتز فى التليفون فيسرع جاك بسرقة التقارير السرية التى كتبها هيرتز . وقبل
حاك ذلك أخيراً . وينفضى اليه شارليه بأسرار الجاسوسية الفرنسية وأسماء أعوانه
وعناوينهم . ويحفظها جاك عن ظهر قلب إذ يعلم من رئيسه أن كتابة أسماء
الأعوان أمر محظور

فاذا كان الفصل الاخير فنحن فى غرفة الاستاذ هيرتز وقد أخذ جاك بمحاذاة
فى مواضيع مختلفة وهو ظاهر الاضطراب ينظر إلى الاوراق الزرقاء الموضوعة
على مائدة الاستاذ الالمانى . ثم تقبل الحادمة تدعو الاساذ لتحدث فى التليفون
مع شخص يطلبه لامر مهم . ويدهس هيرتز لذلك ويخرج حذ أن يترك جاك

في غرفته . وسرع جاك الى سرقة بعض الاوراق . ولكن سرعان ما يعود هيرتز وتفهم أنه لم يذهب الى التليفون وأنه رأى جاك يسرق الاوراق . ويعترف الشاب الفرنسي بأنه ليس جاسوساً وأنه بفعل ذلك للمرة الاولى وأنه مكلف من قبل شارلييه . ويهدده الالماني بأنه سيبليغ البوليس للقبض عليه إن لم يساعده في جمع المعلومات اللازمة لوضع كتاب يهتم تأليفه عن السياسة السرية للدول العظمى وهو في حاجة الى معرفة نظام الجاسوسية الفرنسية . ويرفض جاك في بادىء الامر ولكن الآخر يهدده ويفهمه بأن ما له السجن . ويحاف جاك ويفكر في الافضاء له بما يريد ولكنّه يحشى أن تعلم وزارة الحرية الفرنسية بذلك . ويعلمه هيرتز فلن يعلم أحد بسرّه . . . وعندئذ يعترف جاك بكل شيء ويفضي الى الالماني بأسفه الاعوان وعناوينهم . وما يؤدونه من الخدمات . وهي المعلومات التي استقاها من شارلييه ويدونها هيرتز لديه

وتتقضى أيام ويعود جاك الى مزاوله عمله الغني بنشاط . وكأن الحياة التي ارتكبها قد أعادته الى مصافه بين الرجال وكأنه يعتقد أن ارتكابه تلك الحياة قد أثبت أن لديه هو الآخر شجاعة معينة !

ويستفيد هيرتز من المعلومات التي أدلى بها اليه الرسام الفرنسي . ويلفها الى السلطات المختصة فقبض على الاعوان الذين يساعدون الجاسوسية الفرنسية ويتضح لشارلييه ورئيسه الذي رأيناهم مقعماً بنباب خضره في الفصل الثاني أن جاك غدر بهم وختمهم فيحضران للاقتصاص منه ويتفقان على الطريقة التي يسلمانه بها الى السلطات الفرنسية لاعدامه . وهي أن يدعوا للخروج معها في سيارة . وسد أن يزوراه فعلا ويدعوا للخروج يسأذن الرسام زوجه تيريز فتسمح له وهي توصيه أن يأخذ معطسه خسية البرد . وترجوه له نزهة بديعة سارة وتطلب اليه ألا يتأخر في العودة . ويقلها جاك مرة ومرتين .

فتضحك ويغادر الرجال الثلاثة المنزل في طريقهم إلى التزعة وقد وضع الرئيس
ذو الثياب الخضراء يده على كتف الرسام الفرنسي وهم لا يزالون يتحدثون
مرحين وقد أخفت تيريز شخص الهم وتنتهي القصة هكذا
تيريز (تحرك يدها مودعة) ... لا تمد متأخراً .. لا تمد متأخراً ..
ثم يذق جرس أحد الفنادق من بعيد ويهبط الستار

طريق المرايا

عن الطائب الفرنسي هنرى برنشتين

عجيب أمر هذا الكاتب معي ومعك ! فهو بلا شك أكثر مؤلفي المسرح الفرنسي حظاً لدى المترجمين والملمخين في مصر . ولقد حصلت له عدداً كبيراً من القصص التي نعت ، ولم أشأ أن أضاعها في هذا الكتاب لأنها ليست من المسرح الجديد ، في شيء . حصلت له كثيراً حتى كنت أعتقد أنه من الخير بعد ذلك تركه وعدم الرجوع الى شيء من قصصه . ذلك لان غرضي من هذه الملاحظات هو — كما قلت في مقدمة الكتاب — أن أعطي القراء فكرة عن كتاب المسرح الاوربي الحديث بقدر ما يسمح هذا الحيز ولعل في تلخيص أربع أو خمس قصص لكاتب واحد ما يكفي لاعطاء تلك الفكرة ... لذلك كنت قد فكرت في ألا أعود الى برنشتين . فهو كاتب له طريقة واحدة لا تكاد تتغير ، تنحصر في تغذية المسارح بقصص غنيغة يدور معظمها ان لم يكن كلها حول المشاريع المالية والمصارف الكبرى والسندات والاسهم ، وما يمكن أن يكون لهذه الامور المادية البحتة وتقلباتها في البورصة من أثر في عواطف الرجال والنساء وميولهم وفي اتجاه سير القصة وتصرفات الاشخاص الذين يحيون فيها . كاتب تلك طريقة هنرى برنشتين منذ نشأ . ويمكنني أن أقدر هنا أن العدد العظيم الذي قدمه ذلك المؤلف الناجح الى الجمهور حتى ظهور قصته « طريق المرايا » La Galerie des Glaces كان ينتمي الى تلك الطريقة ولا

مجدد عنها إلا بالقدر الذى يتلاقى معه ملل الجمهور وسأمه

ولكن التطور الحديث فى المسرح الفرنسى لم يعد يقر بالأفضلية لتلك النوع النبى من الفن المسرحى . بل ان هذا التطور كان منحصراً فى قضية (الحكمة المسرحية) والمواقف المريضة المقتلة فى سبيل النهاية بتحليل الشخصيات تحليلاً مبنياً على نظريات علم النفس الحديث . ولقد كان لنظريات العلامة « فرويد » النفسية أثر هام يصبه الانقلاب فى طريقة التأليف المسرحى فى فرنسا ولذا شعر برنشتين بأن فنه السابق يجب أن يتطور ويتخذ شكلاً جديداً ، وعمد فعلاً الى « فرويد » فاستوحى منه هذه القصة التى ألخصها لك

ولقد تسألنى ما الذى يعنيه برنشتين بهذا العنوان « طريق المراهبة » . وأنا أعترف لك بأننى لا أعرف مانا يعنى أو اتى أعرف ولا أجد الصلة قوية بين العنوان وموضوع القصة فلا أجد ما يدعونى الى أن أكتب نفسى وأتبعك فى تفسيره !

ولبرنشتين سوابق فى اختيار عنوان لا يتسق مع موضوع القصة . وهو معذور فى ذلك لكثرة ما كتب للمسرح وأنتج . . ولكن ما يعنينى أن هذه القصة إنما هى نثر جديد لا يمت بأذى صلة من السبى الى ما سبق أن أخرجه مؤلفها المعروف . وهى دليل قاطع على ان التجديد فى المسرح الفرنسى قد انتصر آخر الامر . وأنه لا مجال بعد اليوم لغير الأسس العلمية (السيكولوجية) الثابتة



نحن فى منزل ليونيل فاسور Lionel Vasseur باريس . وهو ناقد من كبار النقاد الفنين فى فرنسا يبلغ من العمر السابعة والثلاثين يعيش مع زوجته آجنس Agnès التى تصغره بنحو أربعة أعوام . وأنت تفهم منذ بداية الفصل

مبلغ الصداقة الجميلة التي بين ليونيل ومصور يتردد على منزله يدعى شارل بيرجيه Charles Berge أشهر بروسه التي اعتبرت تحفاً فنية في بعض المعارض التي عرضت بها . . . وبلحيته التي أبي أن يزيلها واحتفظ بها رغم ارادة العصر وأنت تعرف من حديث ذينك الصديقين أن ليونيل له عسيقة تدعى جاكلين . وانه منيم بها لا يستطيع عنها بدءاً . وهو لا يصبأ زوجته وبما يمكن أن يكون لهذه العلاقة الالائمة من جرح لعزتها وكرامتها . بل هو يتلف على إجابة دعوتها ويبتذر الى صديقه شارل عن اضطراره الى تركه . ثم يرجو منه ان يحل عمله في اصطحاب زوجته الى حيث يشاء

فأذا خلت آجنس الى شارل فهي تنى على صورته الاخيرة التي اسمهاها « رأسى » وتعجب بما في تلك الصورة من فتنة وشعر وهو يذكرها بيوم معين صحتبه فيه الى احدى التزهات ويصف لها الثوب الابيض البديع الذي كانت ترتديه يومئذ . ويلمح الى انه استوحى صورته من ثوبها ونظرتها . . . نظرتها الضالمة للمتلكة حينئذ وشوقاً

ويتطور الحديث بين ذينك الشخصين فتشعر بأن هناك عاطفة تمتد فتصل قلسيها في رفق ولين ! فهي تذكر بأنها بدأت تطمئن الى الصداقة التي كانت تنكرها من قبل ، فطلما نألت من موقف زوجها ليونيل الذي فقدت الامل فيه . وهي تسأله عما اذا كان قد شعر بغيره من الحب نحوها ؟ وأب تلحظ مبلغ اضطراب شارل أمام هذا الموقف الدقيق . فهو يريد أن يكون وفيّاً غاية الوفاء لصديقه ليونيل . وهو مع ذلك يحس ويوقن بأن آجنس مغبونة وانها اقرب الى روحه الغنية من أى شخص آخر

وقبل لبويل بعد ان يرمدى ثياب السهرة استعداداً للذهاب الى موعد عسقه وعندئذ يطلب اليه شارل أن يسمح له بكلمة ولا يكاد يفعل حتى يعاجله صديقه المصور بمحبر غريب ، ذلك انه اعترف الرجل بعيداً عن باريس فهو يعتقد انه على

خلاف مع نفسه ! وأنه لا سبيل لملاجه إلا القيام برحلة والتمس الوحدة والهدوء
ويدهس ليونيل من هذا العزم المفاجيء ولكن شارل يقول له :

— ليونيل . ان آجنس تحبك . .

فإذا قال له ليونيل :

— هذا خطأ

أجابه :

— إنها تحبك دون ان تود الاعتراف بذلك .. تحبك من قلب ممتلئ بالانصب
ولا يكاد شارل يغادر البيت حتى تلتفت آجنس الى زوجها وتبدي له رغبتها
في الطلاق فهي لا تطيق الحياة معه بعد ما فعله بها . وهو يسخر من رغبتها ويدكر
لها انها تحبه ، ولكنها تكرر ذلك وتقول :

— انى لا احبك . اتى احب شارل بوجهه .

وضحك ليونيل لدى سماعه هذا القول ضحكة مقتصة ويدكر ان شارل
هو الذى يجيها جأ قصصياً خالياً من الامل فى صمت وسكون ! وهي تتعرف
له بأنها مطلب الطلاق لسكى نعين مع شارل وتزوجته وتبعته الهنا والسادة الى
نفس الحزينة القلقة . ولا يستطيع أن يضبط عواطفه طويلا فيثور عند ما يراها
تأهب للخروج وينبها الى انها زوجته ولكنها تحيه قائلة :

— ان حياة المرأة قصيرة . . فكر فى مبلغ الازدراء والاهمال اللذين تنظر
بهما الى امرأة فى الاربعين من عمرها ! انى لم يبق لي الا بضعة اعوام قليلة أمتع
فيها بالحياة حتى لو وفقتى الظروف وتحقق أملى الذى لا اذ كره الاواما ارتعد .
ان ماضى حزين كاللوت ولا اظن انك تسعد الى سلب ما بقى لي من الحياة
وتحطيم فرص السعادة الوحيدة المتاحة لي ؟ .. انك لسب محرماً ! ..

وهو يتعرف بدونه الى اقترافها ولكنها لا يتصور كيف يمكن أن يعيش
بدونها فتقول له :

— انك تخفى أن تفقدنى ولسكنك لا ترغب فى أن تبقى !

ثم تذكره بملح الشقاء الذى طاقه فى حياتها معه . وكيف كانت تقضى ليالى
ياكلها تقف امام كل مرآة من مرايا المنزل ترى شحوبها وآثار التعب البادية
عليها وهي تنتظر قدومه . وتنتص الى صوت المصعبين الآتونة والاخرى يحمل
الحيران الى منازلهم وهي وحيدة .. تألم وتتحسر .. !

ويحس ليونيل بذلك كله فيستغفرها ويطلب منها العفو والصفح ويؤكد لها
انه سيتغير تماماً ويعود كما كان فى تلك الايام الاولى السيدة التى قضياها معاً .
وينتهي الفصل وهو لا يزال يقول :

— قد يبدو أن مثل ذكرياتنا هذه تنسى وتزول الى الأبد .. ولسكن
سرطان ما يتبين ان شيئاً منها لم ينس وانها باقية ! أكررك أنتى أجمرت فى
حقك . إئتى مجرم كبير ..
وبينما هو يجمع كلماته الضائعة تكون آجنس لاهية عنه تائهة فى شبه ذهول .
ثم يبدأ الستار فى الهبوط

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى منزل شارل وقد انتقلت اليه آجنس بعد ان
تركت زوجها ورفعت ضده دعوى الطلاق وتعلم انهما يمدان المعدات للقيام برحلة
طويلة حول العالم تستغرق ستة أشهر . ويتحدث شارل إلى صديق طيب تدعى
فيكتور Victor فيذكر له انه معزم القيام برسم صورة لآجنس ثم يحلو الى
آجنس فيتأحيان حديثاً عن الحب والمأطفة . وهي ترمق كتاباً على مكتبه فتناولوه
وتجد انه ديوان من الشعر . ثم لائلت ان تقرأ قصيدة فيه . وتجب غابة
الاعجاب بهذا الجزء منها :

« واقصر على انا وحدى فكرك وعينيك حتى إذا ابتعدت عنى ظل قلبك
منلثاً بروحى وشخصى »

وتكرر في نموة قوية هذا البيت :

« حتى إذا ابتعدت عنى نزل قلبك ممتلئاً بروحي وجسدى »

وتماثلان ثم تخرج اجنس ولا يكاد شارل يشعر بنفسه وجداً حتى تقلص عضلات وجهه وتطفيء ابتسامته ويبدو عليه القلق والحول

وبعد قليل تقبل سيدة تدعى مادلين Madeleine تعرف بمد قليل أن شارل قد استدعها وإنها كانت فيما مضى عتيقة مدى ستة أعوام . وإن القلق والثورة النفسية الحائرة قد دفعت به الى دعوتها لكي تهديه وتشير عليه بما تراه . وهو يذكر لها حبه القوي لآجنس ولكنه في الوقت نفسه يرى أنها لم تزل تحب زوجها ليونيل وإن مجرد ذكره تلهيها ! وهو يذكر أنها ضاقت ذرعاً بسلوك زوجها وثارت مرة ثورة طائفة لم تتجاوز برهة موجزة . وكانت النتيجة ان انفصلت عنه وبدأت حياتها معه هو ! . فإذا قالت له مادلين انها سمعت من أصدقائه آجنس انها تحب شارل وإنها سيادة بحياتها معه .. أجلبها انها تكذب على أولئك الاصدقاء كما تكذب على نفسها . تكذب بكل نفسها المحروقة وكرامتها المحطمة . وهو يشعر بأنه ليس بالرجل الذي ترغب فيه النساء . ويعترف بأنه ليس شاباً وليس جيلاً فاتناً مغرياً كثيراً . وهو يعتقد ان هذه الصفات كلها متوفرة في ليونيل . فهو يستطيع أن يأسر المرأة بنظرة واحدة ..

وتفهم مادلين حقيقة الحالة النفسية التي يعانيها شارل . فتذكره بالسنة الأخيرة التي عاشها معاً . وكيف انه كان يشار من زوجها الحالي الذي كان يتودد اليها إذ ذاك وهي لا تحبه . بل ترى لحاله وتمطع عليه . وكيف ان شارل كان يكرر أمامها نفس الاقوال والكلمات التي يكررها الآن وكيف كان يقول عنه كما يقول الآن عن ليونيل : « ان لديه كل المزايا التي حرمت أنا منها » . وتصارحه بأنه هو الذي نهىها الى مزايا زوجها الحالي . وهو الذي دفعها الى ذراعيه وهنا يطمئن شارل الى حديثها فيقول له :

— اقسى لى . . اقسى اىى ممكى ان اأب كآ أرىء ان آهى هى
قسمم له على ذلك وىؤكء له انه رآل كمىره من الرآل . وانه فان معروء
آهافء الساء على البوءء الىه . وانه يسطىع أن يلهب أولئك الساء آأواءطفة
وعراما كما معل عىره

وآمرآ مائل وهى مكر رقولها له
— كى سعءاً باشارل . كى سعءاً ..

فىموء شارل الى صوره اآس يقبلها . وسوء الأمل فىملاء صءره . وسط
أسارره . ومعك المرأة فىطر اليها وصلآ من هءامه . ويسكب رآآة المعطر
على رأسه . ويسءعى الخاءمه فىأمرها أن آآصر العمام له ولاآس من أءء
المطاعم الفآآرة . وآلا آورع عن أن رآل المعطاء لآسم المعطم . وأن آآصر مميها
مآقة فىها عءء هائل من الارهار الآى آآها آآس

ويقل لىوبىل سعء قليل . ومآهى شارل فى ناءى الامر معة هءه المقابلة
ولسكه لآلب أن رى لىوبىل رآياً رآومه أن رآر آآس بأنه لىس إلا
رآلا مسكياً لا يسعى أن معصب مة ومآءء علبه . وهو سأل سارل عما اءا
كان يعلم شىئاً عن علاقة عسقه آاكلن معص السان فىؤكء له شارل بأنه
لا يعلم شىئاً عن ذلك . ثم فىموءان الى ءكر آآس فىسأله شارل أن نصارآه
عما اءا كان لم يعلم مرة مامكان طلاق آآس ورواآها مرة أخرى مة هو
ورآومه أن معص بكل صراآة . وبكاء لىوبىل معرف بأنه آآاً قء فكر فى
ءلك الاحمال . وعءءء بطمش شارل وسروالى لبوسل العصل فى هاءه مامام
قء فكر فىه قلبه . ولسكه لا ككاء بطمش من هءه الاءآة آى فىورعلى لبوسل
وبهمه أنه مآءء من كل كرامة وأنه لولا ذلك لما قسم الىه فى المزل الءى مة
روآه السافآة . وسعء الى طرءه من البآ فىءآل آآس فى هءه اللآآة
وتصرح .

— شارل —

فأذا خلا سارت الى آحس فهو يحلمها بأنه قد خدع نفسه وأنها لا يمكن أن يبدله الحب كما يشتهي . وهي تؤكد أنها تحبه . ولكنه لا يصدق ذلك ويحتو على ركيته ويوصل إليها ألا تسجعه على المعنى في محطيم هائلها ومستقلها تتوريطها في علاقة حب لا تحسن به . وهي تدهش من اصراره على اتهامها بأنها لا تحبه وتحاول اقناعه بعكس ذلك ولما لا يفلح يكي وهم بالخروج ويستوقعها . وتتهمه هي بأنه لا يحبها فيقول لها

— اني أحبك أكثر مما أحب نفسي —

فدترب منه ويقول

— اى أريد أن احبطك .. انهم . لا يستطيع أن افقدك اني أقل كل ما تريد أن أحتمله وأعانيه . اني اقلك حراً ساورك السكول وتؤكد له بعد ذلك بكل قوتها أنها تحبه وبعدة وبسبب الفصل هكذا آحس — اني لك (يطيلان الطر الواحد الى الآخر) ناحتي شارل — اذا كان حقاً أنك تحبني هكذا

آحس — نعم ان

(مع شارل على شفى آحس قلب عددده فجدده اليها بما يهبط اسدر)

٢

فأذا كان الفصل الآخر فقد انقضى فلم على ما حب وعاد شارل من رحه وهما مع آحس حول العالم . وبهم من حذب دور من آحس والطب فمكور " سارل مد عوديه قد يعرب أخلاقه ولما عليه نوع من حول فهو نالاً في صمت وسقى شدة حفا وهي بعد أنه ماى

مرضاً ما . وبقراها الطيب على ذلك ويحبب نوسلها بأن يعمل كل ما في وسعه على انقاذ صديقه المصور

وتدخل الخادمة حاملة بعض الصحف التي لا يكاد شارل يطلع عليها حتى يذعر اذ يقرأ خبراً عن موت صديقه القديم ليونيل فاسور في حادثة انقلاب سيارة . وتقابل آجنس الخبر في تأثر هادئ . متند لم يكن متغزراً . هي لا تصرح ولا تولول بل تلقى بضع كلمات نغمر بها عن حزن عادي

ويحلو فبكتور الى شارل ويصارحه بما ذكرته له آجنس عن ألمه وشغائه فيصرف بذلك ولسكنه يحبره بأنه شفى من ذلك الألم بعد ما رآه من موقف اجنس حيال العاجزة التي اصابته ليونيل . فقد تلقت ذاك الخبر بهدوء لا يدع مجالاً للتردد في الحكم بأنها أصبحت لا تفكر إلا في الحياة معه . وانه أصبح يوقن بذلك يقياً بابتاً الى الابد . لقد كانت هذه العاجزة الالمة سبباً في اكتشاف حبه لها

ويصارحه الطيب بحقيقة حالته النفسية فهو مصاب بنوع من الشعور بالذلة والعجز . الشعور بالاشمزاز من نفسه ! وانما كان قد أزال السك من جهة حب آجنس له فلا يبعد أن يحل محله النك في الحب ذاته ! وهو يؤكد له أن هذا الشعور مرض يمكن مقاومته بالتمسك العظيمة والمجد واقناع نفسه بتلك العظيمة وذلك المجد . ويكاد شارل يقتنع بذلك فهو يحس احياناً أنه فان له قيمته . ولسكنه يسأل الطيب عن شيء .. ذلك أن خبر اعماله الغيبة قد انتحها وهو حزبن مريض . فهو لا يستطيع أن يسوحي للروح والسرور شيئاً من عمله قط . فيجيبه بأن السك الذي يسم به اذا كان حظه من جهة فهو لا يمل من قدره كعنان من جهة أخرى أي ان النك يخلق وينسك ؟

وتكون آجنس قد أقبلت إداك فتؤكد له أنها سجي الى جابه

وسمينه بكل ما فى وسعها من شجاعة ودعة وحنان على الانتاج والغفوق .
وهى تذكره بذلك الحديث الذى دار بينهما يوماً على ظهر البأخرة أثناء رحلتها
اد قال لها ان كلا منهما ليس الا عدة صور مختلفة لانهية لها ولكنها لم تفهم
فذاك ذلك الكلام الخيالى المضطرب ثم تقول :

— انظر الى .. انى تلك التى تراها عينك فى هذه اللحظة .. عينك
الوديعتان اللتان تبثان الثقة والطمأنينة . ولا يستطيع أن اكون الا تلك ..
صديقك آجنس التى تضمها بين ذراعيك .. صديقك يا حبيبي شارل . صديقك
الوفية طول الطريق .. رفقتك الى الابد
شارل — احبك ..

اجنس — اذكرك ذلك العمر الجميل
شارل — « حتى اذا ابتعدت عنى ظل قلبك » ولكتنا لن نفترق ابداً
اجنس — لن نفترق أبداً برضانا . ولكن يا شارل .. « حتى اذا كنت الى
جانبي ظل قلبك ممتكاً بروحى وجسدى »
ووسط الحنان والحزن اللذين يسودان هذا الموقف بهبط الستار مؤدباً
بانتهاء القصة !

البطة المتوحشة

عن الطبيب النرويجي هنريك ايسن

أنتقدم الى ايسن وقلبي يضطرب ! فأنا أعلم ان قصص ايسن ليست من القصص العادية التي يحوز فيها التلخيص أو الترجمة المشوهة وانما هي (قطع سائدة) تحتوي عنصر الخلود ، ومن الاجرام ولا شك أن تقدم الى القراء في غير الصورة الرائعة التي تمخض عنها عبقرية مؤلفها العذ ! ومع ذلك فأنا أقرأ ايسن على الدوام واعب في فيه . وأشعر في أثناء هذه القراءة أن من الواجب على أن أتحدث الى القراء عما أقرأ وأن أوجز لهم في هذه الصفحات القليلة شيئاً من قصصه وأن تحمل في سبيل ذلك أمام ضميري مسئولية تلك الحرية التي أشرت اليها

وقصة (البطة المتوحشة) Le Canard Sauvage التي ألخصها لك هي من قصص هنريك ايسن Henrik Ibsen التي تبهر تمام التبهر عن فنه وتفكيره . بل انه — كما يرى السكونت بروزور Comte Prozor الذي ترجمها الى العربية كما ترجم غيرها من قصص ايسن — لا يوجد عمل من أعمال ايسن تظهر فيه خاصية عبقرته ويميزاتها بوضوح وجلاء كما يظهر في هذه القصة

ومن المستحيل أن أتحدث لك عن فن الرجل في هذه المقدمة الصغيرة — فقد وفيت الرجل حقه في كتابي (صحاحات جديدة) الذي ظهر منذ عامين — ولكني يكفي أن أقول أن ايسن لم يكن ليكتفى بأن ينقل ! شخصيات قصصه من الحياة نقلاً (حرفياً) وانما كان يستولد من خياله الخاص ، من حله الشخصي ،

تلك النماذج الآدمية ، بل تلك الشخصيات الأكثر حيوية من الأحياء أنفسهم
وهنا تتجلى عبقرية المؤلف الفنان ، إذا أضف من خياله الخالص أنبياء إلى الطبيعة
والعجيب ان تلك الشخصيات التي اسدعها ابنس ، كلها في الغالب شخصيات
أقارب ينمون إلى أسرة واحدة . كما ترى في القصة التي ألحسها لك اليوم . وهو
يرسمهم بطريقة تمكنك من أن تميزهم وتشير اليهم حتى لو وصعوا بين آلاف
من الناس غيرهم . أى ان الذى يرى رجال ابنس وساءه مرة واحدة يعرف
عليهم ويتبينهم في كل مكان ، ثم انه لم يكن يعنى بجمال الحادثة المسرحية ، فحوادث
قصصه من نوع جاف . أى انه يقدم للظاهرة صورة خشنة من الوقائع ويستر
المعنى المقصود برموز مادية وشخصيات محازية تظهر على المسرح كبطلة مكسورة
الحاج كما ترى في هذه القصة . أو كبناء يقع من على (سقالة) كما في قصة «رئيس
البنائين»

وابنس يكميه شيء تافه كهذا ليرز من خلاله أعقد الآراء وأروع
المواظف البشرية والآن فلأختصر هذا الطريق الوعر الذى لن ينتهى إلى
خاتمة ! ولألخص لك القصة ذاتها



نحى في قصر أحد كبار أصحاب المصانع في الترويج المدعوى ويرليه Werle
وقد أقيمت حفلة كبيرة احتفاء بعودة ابنه جريجوار Grégoire من السفر إذ
كان في ناحية نائه يشرف على ادارة مصانع والده ومواجهه . وتهمهم حديث
خادمين أن سيدهما ويرياه له علاقة سيدة يدعى مدام سوربى Soerby هي
إحدى المدعوات إلى القصر في هذا المساء . ويتحدثان أيضاً عن رجل هرم
يدعى إيكدا Ekdal يستغل نساخاً في مكتب صاحب القصر فتعلم انه كان
صاعداً في الجيش ثم اشترك مع ويرليه في مشروع تجارى فشل فيه فلما صاقت
به الحال أعانه ويرليه بأن جعله يسح بعض الأوراق في مقابل آخر ملو

ثم تلم بعد ذلك ان بين المدعون شاباً يدعى هيلمر Hjalmer يشتغل بالتصوير هو ابن ذلك الهرم المدعو ايكيدال . فاذا خلا الى جريجوار ابن صاحب القصر فهما يذكران أيام صداقة قديمة كانت قائمة بينهما منذ الطفولة وهيلمر يشكو الى صديقه القديم سوء حاله ، فقد نكب والده في ثروته وأصبح مديناً لويرليه بمبالغ ضخمة واضطر هو الى هجر المدرسة والكفاح ليعول والده . وهو يذكر لجريجوار شيئاً آخر لم يكن يعلمه . ذلك أنه تزوج فتاة تدعى جينا Gina كانت خادمة في قصر وويله عندما كانت زوجته أم جريجوار في مرض الموت

وتبدأ الحفلة ويختلط المدعون وتعالى ضحكاتهم . وبين هذا المرح العاصب يفتح باب المكتب ويخرج ايكيدال الهرم والد هيلمر وقد بدا عليه الاضطراب فيرتجف وويله لدى رؤيته وتخرج منه رغماً منه صرخة خفيفة ويظهر الحجل على هيلمر . ويلحظ جريجوار ذلك فيطلب اليه ان يسمح له بزيارته في منزله ولكن هيلمر يتنذر بان منزله لا يابق به وانه مستعد للتحديث اليه في الخارج وتبدى مدام سوربي رغبتها في الاحسان إلى ايكيدال الهرم بشيء فيحقق وكيل اشغال وويله رغبتها ويسطيه زجاجة كونيالك . ثم يخلو وويله إلى ابنه جريجوار فاذا بالابن يلوم أباه على تركه اسيرة ايكيدال في تلك الفاقة التي تعانيها ، ويتمه بانه كان سباً في نكبتها وإذا بالآب يدافع عن نفسه بان ايكيدال قد شاركه في ذلك المشروع وانه عندما فصل وحقت الحكومة في الامر حكم على ايكيدال بالسجن ويريء هو وليس له في ذلك ذنب ومع ذلك فهو يعهد اليه في نسخ بعض الاوراق ويدفع اجراً أكثر مما يساويه عمله . ولكن جريجوار لا يتسع بذلك كله ويتطرق إلى موضوع آخر . ذلك هو زواج هيلمر ايكيدال بالفتاة جينا التي كانت خادمة في القصر ، فهو يجب كيف ان والده لم يرسل

أبيه وهو في السفر بتفاصيل هذا الزواج ، وبنقلو قيتهم والده بأنه كانت له علاقة آتمة بتلك الفتاة في أثناء مرض والدته ، وسأله هذا عن أدلى اليه بذلك فيجيب بأنها والدته نفسها التي أفضت اليه بسر تلك العلاقة . وتفتد المناقشة بينهما فيقرر ويرليه بأنه لاجحة بهما إلى أن يظلا معاً فهو يطلب إلى ابنه أن يدير محل التجارة على أن يتفرغ هو إلى ادارة المعامل نظراً لأن بصره قد ضعف وهو مصاب بهذا الضعف البصري منذ مدة . ولكن جريجواري يرفض ذلك ، ويذكره بأنه يريد التخلص منه ليتزوج مدام سوربي ولا ينكر الأب ذلك فهو شيخ وفي حاجة إلى شخص يظل الى جانبه ليعتق به ويستمر الابن في اتهامه بأنه لا يحترم ذكرى والدته التي سبب في موتها تلك الحبايات التي كان يرتكبها مع أمثاله حيناً ويقرر ويرليه بأنه أميل الى الاعتقاد بأن هناك فاصلاً هائلاً بينه وبين ابنه فيقره الأخير على ذلك ويطن رغبته في مفادرة المنزل فقد عثر أخيراً على غرض يرمي إلى تحقيقه في الحياة . ثم يخادر المنزل فمالا

فانما كان الفصل الثاني فنحن في منزل هيلمر ابكيدال المصور وقد اقبل رب البيت من الحفلة التي كان مدعواً اليها في قصر ويرليه واخذت ابنته هدويج Hedwige — وهي فتاة في الرابعة عشرة من عمرها — تعلق بأبها طالبة اليه أن يعطيها الهدية التي تنتظرها منه عند عودته إلى البيت . ويخرج هيلمر قائماً بالطعام الذي تناوله في الحفلة ويدفعها إلى ابنته فهي كل ما يستطيع أن يقدمه لها ! اذ يمكنها ان تقرأ ما فيها وهو يشرح لها اصناف الطعام ! ونحدثون إذ ذلك عن بصر هذه الفتاة هدويج فهو ضعيف رغم حداثة سنها والطبيب يأمر بالاعتطيل لقراءة لئلا يهد هذا البصر بالممى التام . .

وتجلس هذه الأسرة الصغيرة البائسة الى المائدة وتنقضي فترة ثم اذا بالباب يطرق وإذا بالقادم هو جريجواري ويرليه فقد عاد ريب أبيه نهائياً . وتسمر أمت من طريقة لقاء حيناً لجريجواري اتسا وجلة خائفة ولكنها تتجهد فحجيه ، اد

سألهما إذا كانت تذكره ، بأنها تذكره جيداً . ويعود الجميع الى التحدث عن ذلك الضيف الذى يتأب بصر هديج فيذكر هلمر أبوها بأنه ربما كان وراثياً ويرتفع جريحوار لذلك كركلة (ورائى) . ويستمر (حيا) قائلة ان والده هلمر كان بصرها ضيقاً . ثم يقبل ايكيدال الهرم من غرفته ويدهن فى بادى الامر لدى رؤية جريحوار ولكنه يطمئن عندما يعلم سبب قدومه وتسر من حديث الرجل أن النكبة التى تزلت به زعزعت عقله وجملته يعيش فى شبه حلم من الذى كرى المضطربة . فقد كان فيما مضى من كبار الصيادين المهرة الذين يقضون وقتهم فى الغابات . وهو يسأل جريحوار عن أخبار تلك الغابات فيجيبه بأنها تعرضت بعض الشيء وقطعت أشجارها وعندئذ يحفض ايكيدال صوته كأن الخوف غلبه ويقول :

— ان من الخطر ان تقطع تلك الاشجار . فلماذا عواقبه . ان العابة تنتم . ثم تسر من حركات ايكيدال انه يريد ان يرى جريحوار شيئاً فى المنزل ولكن هلمر يرغب فى تأجيل ذلك الى مرة أخرى فبلح الشيخ فى تنفيذ ارادته ويقود جريحوار الى مخزن الحبوب فاذا فيه دجاج وحمم وأرانب . ولكن يتصح بعد قليل ان الشيخ لم يكن يريد أن يريه ذلك بل كان يريد شيئاً آخر هو بطة من النوع التوحش الذى يعيش فى بحيرات الغابات . واذا بك تعلم أن هذه البطة قد اصطادها ورليه ثم ظلت عنده مدة وبعد ذلك أمر خادمه ان يقتلها ولكن ايكيدال علم بالخبر فسمى حتى أخذها . وان الرصاص الذى نفذ الى جسمها قد أصاب جراحها فلم تعد تستطيع الطيران . ثم يتحدث جريحوار مع هلمر عن الغرفة الحالية فى منزله وعلى استمداه لاستئجارها فيقبل عن طيبة خاطر وتعرض زوجته حيا بأنها لا تليق بجريحوار فلا تتجح فى اعتراضها

ويخرج جريحوار ويحلو هلمر إلى زوجته فيبدى دهشة من انها كانت تسمى تأجير الغرفة الحالية فلما جاءها مستأجر لم يسر ، فتحبه بأنها كانت ترجو ان

يكون مستأجرها شخصاً غير جريحوار خشية أن يظن أبوه أن زوجها هو السبب في خروج ابنه من البيت . كما تحصى أن يقطع الأجر الذي يدفعه لا يكندال الشيخ ، فلا يعبأ هيلمر بهذا الاعتراض وتثور فيه مرة عزة وكرامة فيدكر لها انه يتنى أن يحدث ذلك اذ أنه من المحجل المذل لرجل مثله أن يرى والده يستل كالحمار ، ويكون ايكندال اذ ذاك غارقاً في نومه على المقعد فيلتمت له وتقول :

— أيتها الاب الهرم المسكين ! انك تستطيع ان تعتمد على ابنك هيلمر فله كتمان عريضان ، كفان قوتان على أى حال . سيأتى يوم سيقط فيه . .
(تلفت الى حينا) لملك لا نسكين فى ذاك ؟
حينا (تقف) — بكل تأكيد كلا . ولكن يجب قبل كل شىء ان نحاول وضعه فى المرائ

هيلمر — ها (يحملان الشيخ فى حذر)

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فتحى لأرال حيث كنا فى الفصل السابق وقد استقر جريحوار فى المنزل وأصبح أحد أفراد . وأخذ يتحدث الى هدويح . فهو سألها عن البطة المتوحشة وهي نجيحه بأن هذه البطة لها وحدها دون والدها ولسكها سمح له بالبدو منها كلما أراد أن يعنى بها . وهي سهى فى الكلام عن تلك البطة وعن طريقة حياتها فى الليل والنهار حتى يلقى جريحوار على ذلك نقوله :

— فهمت . ان البطة المتوحشة نحتل المكان الاول ها

فتجيبه هدويح :

— بكل تأكيد

ثم سمع صوب طلقات مارية ويقبل هيلمر فقد كان يصطاد بعض الأراب فى محرن القمح . ويتحدث إلى جريحوار عن الكساف يريد الوصول " . .

مهنة (الفوتوغرافيا) وبأنى أن يشرح له التفاصيل . ثم ينتقل إلى ذكر السدس الذى كان يصطاد به الارباب فيذكر أنه لعب دوراً فى فاجعة اسرة ايكندال إذ أراد والده بعد أن حكم عليه بالسجن أن ينتحر به فين ولم يستطع . وأنه بعد أن ماتت والدته رغب فى أن تخلص من الحياة فصور فوهته الى صدره ولكنه قلب على نفسه واستمر حياً

ثم يقبل طبيب يدعى ريلنج Relling يسكن البور الذى تحت هيلر ويجلس مع الجميع الى المائدة فيذكر جريجوار أن هواء المنزل ليس نقياً . وتؤكدها أنها تجدد هواء المنزل يومياً وعندئذ يقوم جريجوار من المائدة . ويقول :
— إن الرائحة الممتة التى اتحدث عنها ليس فى مكتكم أن تطهروا المنزل
منها !

ويكاد يشعر الطبيب ريلنج وهو رجل متقف ذكى أن جريجوار يرمى الى غرس بعيد قد يعنى تحقيقه الى قلب كيان هذه الأسرة الصغيرة فيقول له :
— اننى أشك كثيراً فى أنك تعمل فى قرارة حيك . . طلب تحقيق المثل
الاعلى . .

— اتنى احتفظ بهذا هنا فى صدرى . .
وعندئذ يطلب اليه ريلنج فى حدة أن يحتفظ به حيث شاء ولكن على شرط الا يطالب به هناك مادام هو موجوداً ، فيرفض جريجوار وبصر على وجوب تحقيقه ويشدد المناقشة بينهما . حتى يهدده ريلنج بأنه سوف يقذف به على السلم . .
ثم يسمع طرق على الباب فاذا به ويرليه قلم يبحث عن ابنه . ومخرج الجميع ويتركونه مع جريجوار فيقول له :

— مادمت قد أقمت مع اسرة ايكندال فأتى أميل إلى الاعتقاد بأنك ترسم
خطة فيها اساءة لى

جريجوار - ان الحطة التي لدى هي أن أفتح عيني هيلر إيكندال . فلابد ان يرى مركزه كما هو . . . هذا هو كل شيء .

ويعود جريجوار فيرفض ما يمرضه عليه ابوه من العودة الى بيته . وعندئذ يخبره ابوه انه مادام قد اعتزم الزواج من مدام سوربي فهو يرغب في أن يعطيه ما يخصه من ثروته . ولكن الابن يرفض هذا أيضاً . يرفض كل عرض . يتقدم به والده . فقد تشبعت نفسه بأن هناك ظلماً وقع على اسرة إيكندال ، وأن من واجبه تحقيق العدل وتحقيق المثل الأعلى وسيظل ضميره قلقاً مضطرباً الى أن يفوز بذلك . .

ويخرج ويرليه بعد أن يودع ابنه يائساً . ويطلب جريجوار الى هيلر أن يخرج معه فليدبه حديث يريد أن يعرض به اليه . ثم يسبقه الى الخارج . وعندئذ تطلب حينا الى زوجها الا يتبعه . وينضم اليها الطبيب ريلح في ذلك فهو يرى أن جريجوار مستوه مجنون . وتذكر حينا أن والدته كانت تنبأها أمثال هذه الازمات النفسية التي تهز كيبتها كله . ولكن هيلر لا يتقنع بكل ذلك ويتبع صديقه الى الخارج . ويحلو ريلح الى حينا فيخبرها أن جريجوار ليس أكثر جيناً من باقي الاحياء وانما هو مصاب بمرض في جسمه وهو يسمى هذا المرض (حمى تحقيق العدل) وهي حمى حادة . واسكبها عير قاعة للمدري

فانما خرج الطبيب فالعصل ينتهي بهذا الحوار

حينا (مضطربة تدور في العرفة) - آه ! ان جريجوار ويرليه كان على اللوم نذير شؤم

هدويج (تسخر اليها في ابتهاه . واقفة بجانب ابنته) - كل هذا في غاية المراه

فانما كان الفصل الرابع فقد عاد هيلر متحرراً عن موعده وطهرت عليه

أمارات قلق واضطراب . فهو لا يطيق أن يتحدث إليه أحد عن شيء . لا يطيق أن يتحدث إليه حيناً عن شئون المنزل أو العمل الذي يقاتل منه وهو الصبور ، ولا يطيق أن يتحدث هذوع عن البطلة المنوحسة ، بل هو ينور في وجهها ويبدى رغبته في أن يقطع عنق تلك البطلة . وسأل ذلك بأنه لا يحتمل أن يرى تحت سقف بيته كائناً قادماً من منزل ويرليه

ثم يطلب الى ابنته ان تخرج ويحلو الى زوجته فيجلبها بالحقيقة الهائلة التي عرفها من جريجوار . يسألها عما اذا كانت بينها وبين ورليه علاقة عندما كانت في منزله فتعترف بعد قليل بأن ورليه قد أغراها ونال منها كل ما يريد . فيسألها ولم أخفت عنه ذلك فتجيبه بأنها كانت تحبه وتريد ألا تهمد هناها بنفسها . وعندئذ ينور هيلمر . قائلاً :

— هاهى أم ابتي هذوع ! إن كل ما يحيطى . . . (يخط المائدة بيده)

كل منزلى ادين به الى ذلك الرجل

ثم يستمر في ثورته فمجبب كيف عاشت معه تلك المدة الطويلة وهي تكذب عليه دون ان يؤنبها ضميرها . وتظلم الدنيا في وجهه ويستند لناؤمه . فهو يائس من تمام ذلك الاكتشاف الذى كان يطلق عليه مستقبه . وهويتهم زوجته بان ماضيها هو الذى قضى على الاكتشاف وقتله

ثم يقل جريجوار ويعلم أن هيلمر قد كاشف زوجته بالامر ، وهو يجبب كيف تغير صديقه هذا التبر . فقد كان يظن أنه بعد ان تتجلى الحقيقة وتبتد السكذب تقوم حياتهما الزوجية على أساس ثابت من الصدق والحق . وهو يدعو هيلمر الى ان يستمر في حياته على هذا الاساس الجديد وان يسفو عن زوجه فليس هنالك في العالم خير من السفو عن المحطة

وتدخل حنا وتظهر ألمها لجريجوار فقد كان بسطيع أن يتركها تمر في طريقها دون أن يتعرض لهاها

أما الطيب ريلنج فيكاد يشعر بما حدث في البيت عندما يرام على تلك الحالة المضطربة فيسأل جريحوار عن الداعي الى قدومه فيجيبه :

— اتى أريد ان اوجد رابطة زوجية صحيحة

وعندئذ يرجوم ان يفعلوا ما يشاهون بأنفسهم على ألا يتعرضوا لهدويع الصغيرة فقد يقع الشقاء على رأسها هي . ثم تقبل مدام سوبن فانها هي تعلن اعترامها الرجل مع خطيبها ويرليه . واذا بها تذكر انها كانت لهاعلاقب الطيب ريلنج فيما مضى فيسألها عما اذا كانت اعترفت لوالده بذلك فتجيب بانها اطلعت والده على كل شيء يختص بماضيها قبل الزواج . وتبدي مدام سوبن لهلمر ان لحسابه مبلغاً من المال في مكتب ويرليه ولكنه يرفض الذهاب لتسلمه بل ويطلب ايها ان تحظر خطيبها انه سوف يدفع كل ديون والده وبفائدة خمسة في المائة

فاذا خرجت هذه المرأة فيلمر ينار من ويرليه الذي سوف يتزوج على أساس من الصراحة والصدق ويرى في ذلك الرابطة الزوجية الصحيحة . ولكنه يعود فيشعر ان أصبح القدر تنظم العالم . فان ويرليه سوف يفقد بصره عما قريب ، سوف يسمى كما أسماء من قبل . وجعله يتزوج حيناً غناً وخديعة . ثم تدخل هدويع وفي يدها مظروف فاذا فتح فهو خطاب من ويرليه . ويطلب هيلمر من هدويع ان تقرأه . فتقرب الفتاة من البور وتقرأ . ويتم في صوت خافت :

— هاتان العيان . آه هاتان العيان ! ثم هذا الخطاب

وتشعر من ذلك انه بدأ يسك في نوة هدويع له . وتعلم ان ويرليه قدكذب الى هدويع بأن جددها لم تعد به حاجة لان يجب نقه في الذهاب الى المكتب بل عليه ان يتوجه في أول كل شهر ليقبض مرتبه . على ان تنتقل هذه الهبة الى هدويع بعد وفاة جددها . ويزيد شك هيامر في تلك الاحفلة اذ يرى كيف يسي ويرليه

بأن يوفر المال لهدويج فيعمد الى تمزيق الخطاب . بعد أن تخرج الفتاة . ثم يسأل حيناً :

— ستجيبينى . هل هدويج ابنتى و... ؟

حيناً (تنظر اليه فى برود) — لا أعلم

هيلمر — لا تعلمين ؟

حيناً — كيف تريدنى أن أعلم ؟ امرأة مثلى ... ؟

هيلمر — فى هذه الحالة ليس لى ان استمر على العيش فى هذا البيت

ثم يأخذ قبعة وهو يصيح بانه لم يبق أباً لاحد . وتدخل هدويج على هذا الصباح فيدفعها بعيداً عنه ويخرج

فاذا خات الفتاة إلى امها فهي ترغب فى معرفة سبب هذا التغير الذى طرأ على أبيها . فتجيبها بانها لاتزال صغيرة . ونسك فى انها ربما لم تكن ابنته ثم تقول :

— ومع ذلك فهو يستطيع ان يحبني . بل ويحبني اكثر مما لو كنت ابنته . لقد تلقينا البطة المنوحسة هدية ايضا ومع ذلك قانا احبها كثيراً

ويقرب جريجوار منها وقد خطرت له فكرة يستعيد بها هيلمر إلى أسرته . فيطلب الى هدويج ان تضحى تلك البطة . ذلك الشئ العزيز لديها عن طيب خاطر من اجل ابها . فقد ينفع ذلك فى تحقيق ما تريد وتبدى الفتاة استمداها لذلك وتقدم الى جدها ايكيدال المجوز فترجو منه ان يقل البطة مادام فى ذلك رضاء ايها

، ، ، ،

فاذا كان الفصل الاخير فحن لا تزال فى منزل هيلمر . وإن كان هو عايد عنه وقد اخذت حيناً وهدويج تتحدثان إلى ريلج الذى ذهب اليه هيلمر

ونام عنده . وهما يستفهمان عن حالة هيلمير فيخبرها أنه مستلق على المقعد لا ينطق حرفاً واحداً

ثم يقبل جريجوار فييدى له الطبيب ان حالته معقدة فهو مريض بالرغبة في كشف الحقيقة وتحقيق العدل . كما أن هيلمير مريض . ولقد كان دائماً يسأل به بايهامه بأشياء لاحقيقة لها . من ذلك انه أفهمه أنه عبقرى . ثم يقبل هيلمير أشعث الشعر منتصب الصينين . وتحاول هدويج التعلق به فيدفعها بعيداً ويطلب إلى حيناً ان تبعدها فهو لم يحضر الا ليرحل اذ اعتزم الخروج من المنزل مع والده السجوز ثم يبدأ في جمع ثيابه ورسائله وأمتعته . وتساعده حيناً على ذلك . ويدور في المنزل لجمع أشياءه فيظهر الامتناع كلما رأى هدويج في طريقه . وتخطر للفناء فجأة فكرة البطلة المتوحشة التي حدثها عنها جريجوار فتعبد إلى الرف وتأخذ المسدس وتنفذ الى مخزن الحبوب ثم تطلق بابه عليها . ومحضر حيناً شيئاً من الطعام له وترجونه أن يتناول قليلاً منه فيفضل . ويتحدث عن اكتشافه القديم فيذكر ان رينج قد خدعه عندما أفهمه أنه عبقرى وانه يستطيع اكتشاف شئ لم يمتد إليه أحد من قبل . ثم يقبل جريجوار وينحدث اليه هيلمير عن هدويج فأنها به يرى انها السبب في طلام الحياة أمام بصره . فهو يشك في نسبتها له . ويسك في انها شعرت يوماً ما بحب له . وعندئذ يحبيه جريجوار بأنها ربما استطاعت ان تبنت له هذا الحب بالدليل المقنع . ولكن هيلمير لا يدري ما يمكن أن يكون عليه هذا (الدليل) بل هو يميل الى الاعتقاد بأنها بفضل الغير عليه . ولو سأها يوماً : « هدويج . هل تقبلين ان تضحي حياتك من أجله ؟ » فلن تقبل ذلك . وهنا يسمع صوت طلقة نارية في مخزن الحبوب . ويصيح جريجوار فرحاً : « هيلمير ! » ثم يخبره بأن هذا هو (الدليل) الذي حدثه عنه . فقد أراد هدويج أن تضحي من أجله أعز شئ لديها وهي البطلة المتوحشة لكي تفوز بحبه وعندئذ يسرى الفرح في جسمه ويسر بأن حياة جديدة تقبل عليه .

ويظهر الأب ايكندال على باب غرفته فيدهش الجميع اذ كانوا يظنون انه هو الذى أطلق النار على البطلة ، ويسرع هيلمير الى مخزن الجيوب ثم يصيح فقد رأى هدويج ملقاة على الأرض بعد ان أصابتها الرصاصة وتتم ايكندال بصوت خافت مذهول :

— ان الغابة تنتقم !

ويظهر الملح على وجه هيلمير وهو مسدد بجانب هدويج يرجو من الله لها الحياة

ولكن رينج يقرر بعد أن يراها ان الرصاصة نفذت من صدرها ولا أمل في حياتها وتبكي حيناً ويطلب هيلمير الى الطبيب ان يحياها دقيقة واحدة لكي يقول لها انه لم يتمتع يوماً عن حبها . ويندم على انه دفعها بعيداً عنه بينما هي تموت من أجله ! ثم ينظر الى السماء وينطق بضغ كلمات تدل على ثورة كافرة فتقول له حيناً :

— لا تقل مثل هذه الكلمات القذيمة اذ يبدو لي أنه لاحق انا في ان نحفظ بها عندنا ثم تطلب حيناً ان تنقل الفتاة الى غرفتها الصغيرة وترجو زوجها ان يساعدها فيفعل ويقول لها اذ يحملها

هيلمير — آه ! حيناً ! حيناً ! انستطيعين ان تحملها ؟

حيناً — هانحن نعاون في حملها . اتنى اعتقد الآن انها لكينا

القبر تحت قوس النصر

مأساة مرمية عن الحرب العالمي - للكتاب الفرنسى بول رينال

مأساة رائعة تتكون من ثلاثة فصول .. وثلاثة أشخاص .. كتبها المؤلف الفرنسى الشاب بول رينال Paul Raynal وسماها « القبر تحت قوس النصر » Le Tombeau sous l'Arc de Triomphe وظهرت على مسرح الكوميدي فرانسيز للمرة الاولى فى أول فبراير سنة ١٩٢٤ .. فأحدثت ضجة هائلة فى فرنسا ، وثارت ضدها زوبعة عنيفة من السخط اثارها نقر من الذين لم يتقدموا الى حمل السلاح والدفاع عن ارض الوطن فى ابان الحرب السطمي .. ثم تخضعت تلك الزوبعة عن لاثى .. فقد تقدم القادالمسرحيون بظهورون للعلل أن المؤلف الشاب بول رينال قد فتح فى المسرح الفرنسى فتحاً جديداً .. وان « القبر تحت قوس النصر » انما هى مأساة عصرية تدل دلالة اكيدة على مقدرة مؤلفها وشاعريته الفياضة ثم انتقلت القصة بعد ذلك الى خارج فرنسا فنالت نفس النجاح الذى نالته على مسرح الكوميدي فرانسيز

والواقع ان هذه القصة التى ألخصها لك اليوم ليست من النوع الذى اعتاد النظارة ان يشاهدوه . فهى قصة مسرحية خالية من الحبكة و (العقدة) والحركة التى يدأب المؤلفون دواماً على أن يبنوا عليها قصصهم .. وبكفى ان تعلم أن عدد شخصياتها ثلاث لاغير لتبين انها قصة حوار ومعنى وتحابل أكثر منها قصة عمل وحركة

ولقد تمسك المؤلف ان يكسب قصته ثوباً شعرياً رائعاً مهيأاً . . بل هي في الحقيقة أقرب الى ان تكون قصيدة طويلة عن المثل العليا التي يدعو اليها المؤلف .. ولقد ترددت كثيراً قبل ان أقسم على تلخيصها لك . . فن الصير ولا شك تلخيص قصيدة طويلة تقع في اثنتين واربعين صفحة من القطع الكبير جداً .. ! ولكنني مع ذلك ضمنت بهذه القطعة الخالدة السيرة ان يمر بدون ان يعرف عنها القراء شيئاً، خصوصاً بعد ان اجمع النقاد على ان « القبر تحت قوس النصر » هي انجم واروع ما تمخض عنه التفكير القصصي الذي حام حول الحرب المظلمى . ويسكنني ان انقل اليك رأى احدهم وهو « اندريه لانشج » ناقد صحيفة « ليكلير » اذ قارن بينها وبين قصة « هرناني » لفكتور هيجو وانتهى الى قوله: « إن هذه القصة معركة . معركة بدون جيوش . معركة بدون استفزاز عابث

وأردية دامية . معركة في السميم . معركة في النفوس والارواح » .
واتى لا أشك لحظة في أن ماذهب اليه هذا الناقد هو عين الصواب . فلقد كنت أشعر وأنا أقرأ القصة انها حياة كاملة ودنيا صاحبة قائمة بذاتها . . وأنا أوقن اليقين كله ان الاسلوب الفخم الذي استعان به المؤلف والاحساس الطاهر النبيل الذي أفاضه على القصة ، والمواطف العالية الملهبة التي تجلّت في شخصياتها الثلاث والمعنى النقي الزاخر الذي يبعث في كل سطر من سطورها — كل ذلك انما هو شعر خالد يمت بأقوى صلة الى شعر هيجو ، ويسجز الكثيرون من كتاب المسرح الحاضرين ان يوفقوا الى مثله

نحن في منزل باحدى القرى الفرنسية اثناء الحرب المظلمى . وقد جلس رجل هرم في الستين من عمره مع فتاة في العشرين من عمرها تدعى أود Aude ومع شاب يرتدى الثياب العسكرية . وسرعان ما تفهم ان هذا الجندي هو ابن الهرم وخطيب الفتاة . وانه قدم من ساحة القتال ليرى أسرته وليقوم

بعقد زواجه على خطيته « اود » . فقد حصل من اجل ذلك على اجازة أربعة أيام . ولا يكاد الحديث يدور بينهم حتى يعلم من أبيه السيخ أن خطيته قد تكلفت اظهار السرور بعد أن غادرها ونهب الى ساحة القتال . وأنها فعلت ذلك لكي ترضى والده . ولكنها بعد ذلك أخذ القلق يساورها فبدأت تستفسر عن نساء ابنه القائب وعن طفولته وشبابه . كأن في ذلك عزاءها في غيته . ويسأل الجندي عما اذا كانت قد وصلت رسالته باسمه الى المنزل فينكران أولاً ثم يحضران له الرسالة فاذا بها من مركز القيادة التابع له وفيها بأمره قائده بأن يلغى اجازته ويعود الى خط القتال إذ يقول فيها : « عد سريعاً » . ولا يكاد يقرأ تلك البرقية حتى يضحك كما لو كان قد فوجئ بمفاجأة سارة . ثم يسأل خطيته :
— لماذا لم تجربني بمجرد حضوري ؟

— لقد كنت مبتهجاً

فيذكرها بالواجب الملحق على عاتقه ، وكيف أنه قد استشهد من فرقته الفان ، وأنه لا بد ان يكون قد صدر أمر بهجوم جديد . ويبدى عزمه على السفر في أول قطار يقوم في المجر إذ أن قائده لم يسمح له بالسفر إلا على شرط الرجوع بمجرد استدعائه اذا جد في الامر شيء . وأن هذا القائد عند ماسمح له بذلك كان يقدر الخدمات التي أداها للوطن كجندي باسل ولا يكاد الابن يذكر مسألة الزواج التي قسم من أجلها حتى يسدى الاب النسيخ اعراضه وتقره « اود » على ذلك فزيارته قصيرة لانسمح باستبقاء اجراءات الزواج

ويخرج الجندي ويحلو الاب الى « اود » فيذكر لها انه واثق من ان ابنه لم يكن ليفكر في الاخطار الكبيرة التي كان معرضاً لها بقدر ما كان يفكر فيها

هي . وفي تلك السعادة الجميلة التي قضت الظروف مجرمانه منها . فتساله :

— وماذا أفعل لكي أعيش ؟

— سأعينك

— أتحبني من الشجن والسقاء ؟

وتطور المناقشة بين الاثنين . فتذكر له العروس الشابة ان واجبه نحو ابنه قد انتهى . وان عاطفته نحوها إنما هي استمرار آلي لما كان يشعر به عندما كان ابنه لا يزال طفلاً . أما هي فواجبها لم يكد يبدأ بعد . وعندئذ يقول لها في تأنيب خفيف :

— انه ابني

فتجيب بكل روحها :

— إنه حياتي

ثم تنبه الى انه مادام قد حضر فن القحتونكران الجبل ان يدور الحديث على شيء آخر غيره . وان واجبها الا وحدها ان تجبه وتذكره بالضحكة التي ضحكها عندما قرأ البرقية الواردة باستدعائه وكيف ان هذه الضحكة الرهية قد ارعدتها . وهي تشرح ذلك فتقول إنه يحمل طابع الحرب على شخصيته . ولقد احست هي نفسها بكل هول الحرب عندما رأت كيف تقلصت عضلات وجهه المحبوب واستحال الى عتف مخيف بمجرد ان نظر الى البرقية

وبلاحظ الاب الشيخ أنها لم تعد تتحدث الا عن خطيئها ، وان ابنه لا يتحدث الا عنها . ويبدو له لهما يتعمران بأنه ليس بين الاحباء سواهما . وهو يحس لذلك بتضاؤة على نفسه ، ويشعر بشيء من الفيرة اذ يسيطر الشباب هذه السيطرة على منزله . ويتحداه كما كان الظافرون يتحدون خصومهم المتلويين بالسيوف فيما مضى ! وهو يخشى ان يكون عقبة بين ابنه

وبينها . وتلمش « اود » لذلك وتصارحه بأنه جد مخطف . اذ يفكر في ذلك كله ولكنه يقول رغم هذا :

— ما أسعد هؤلاء الشبان ! ان الحرب لم تغير كل شيء ! مهما حدثت على الارض فلا يوجد دائماً الا مصيبة واحدة . تلك هي الشيخوخة !

ثم يعود الابن في ثياب ملكية ويخرج الاب بعد ان يحاول استصحاب الفتاة معه فيرجو منه ابنه أن يتركها له قليلا ولا يكاد العروسان يختليان حتى تلمس منه « اود » ان يصفح عنها ، فلذا سألها عن اى شيء تطلب الصفع ، اجابته عن أنها استطاعت العيش بعده . ثم تقول له

— انك تمثل لناظرى كل الامور . اتنى لا أملك من حطام الدنيا الا التفكير فيك . انه غذاء كيانى . ونار نفسى ، وهدف عيى وطابع صوتى ، ومحبرى دى . انه كل شيء ، انه أنا !

ثم تذكره بمنشأ علاقتها به ، وكيف انها طالما زهت وفاخرت بمعرفته وكيف تمت ان تكون زوجته ، فانما قال لها :

— ستكونين زوجتى يوما ما

اجابته بعد مجهود كبير :

— كنت اود ان اكون زوجتك هذه الليلة

فيذكر لها أنه ليس من حق أحد في فرنسا أن يكون سميذاً هذا العام ، وأنه يود أن يدعو كل أصدقائه وزملائه في الجيش الى حضور حفلة زواجه ، ويشرائهم جميعاً ينمضون اليه ، ويمدون اليه أيديهم الرقيقة سواء منهم الاحياء والاموات

هي — الاموات ؟

هو — أصدقائى الذين استشهدوا والذين لوبقوا لكاثوا هنا الآن . أين هم ؟

اننى أدعوم . فلو ظلوا احياء لكانوا الآن فى مرا كزهم بساحة القتال . ولكنهم
ماداموا قد ماتوا فى مكثهم الحضور ، اننى انتظرهم . سيظهرون . ليحضروا
فسوف لا أتمتع بكل بهجى وسرورى بدوتهم . اننى اناديهم
ثم يبدأ فى مناداة اسدقائه من المحاربين الاموات . الى أن يصل الى اسم
صديق تعرفه خطيبته « اود » فيذكرها كيف ان ذلك الصديق قد سقط مضرراً
بدمه فى أحد الحصون وكيف انه طلب اليه ان يرفع تمثاله الصادقة اليها . وأن
آخر كلماته له وهو يحتضر بين يديه : « كونا سعيدين » وتعجب « اود » بهذه
المغلة التى تتجلى فى شخصية خطيبها . وتسمر أن نفسها عاجزة عن مجاراته فيها
فتقول له :

— اننى بجانبك أحس فى نسوة بعظمتك وفى اضطراب بشقاى .. أنت توقن
بأنك عظيم

فيجيبها فى حزم وزهو :

— اجل

— هذا ظاهر ! ان هذه الروح التى لا تتجلى إلا فى جبهة القتال جعلتك
مختلفاً عنا وأسمى منا ، اننا لا نستطيع أن نفهمك

ثم تطلب اليه ان يرفعها الى مرتنته وان يسموها الى درجة البطولة . أن
يرفعها الى تلك السله التى تحضبت بدم الشرف الحربى فيقول لها :

— ان من يطلب ذلك بهذه الالهة فلا شك أنه يحصل عليه
— كلا

— امك اسم تلك البطلة التى ترغبين فيها

ثم يطمئنها بعد ذلك ويجبرها أن الحرب قد وضعت أوزارها وأنها لن
يندلع لها بعد . ويتجاذبان أطراف حديث قصير . ثم يهبط الستار وهما يضحكان

فإذا كان الفصل الثاني فتحن في غرفة العرس التي قضى فيها العروسان
 ليلتهما . وها يتحدثان عن تلك الليلة فتفهم أن «أود» قد وهبت خطيبها الجندى
 أعز ماتملك الفتاة المذراء ! وهي تذكر له أن هناك أشياء كثيرة لايزالان يحبلانها
 ومن بينها ماهو في منتهى البساطة . وهي تمطى مثلاً على ذلك أنها لم تره قط
 وهو مغمض العينين . ولنا فهي تطلب اليه أن يغمض عينيه . فيفعل . ثم يخبرها
 أنه قد فهم ماتريده من وراء ذلك فإن عينيه المغمضتين تذكراتها بموته ! فتسكن
 ذلك في ضحك . ولكنها تعود فتسأله ثانية عما إذا كانت الحرب قد انتهت حقاً
 كما كان قد أخبرها . وتلح في سؤالها إلحاحاً شديداً وعندئذ يصارحها بأن الحرب
 لم تنته وبأنه لا يزال أمام الصر التهاى مدة طويلة . وهي تدع من هذا النبأ .
 وتلومه على أنه أطاعها وصارحها بالحقيقة . وتجبره بأنه ما كان يجب أن يعبأ بالحاح
 امرأة مفتونة ! وهو يلحظ مبلغ وقع النبأ عليها . وكيف انها احست بشبه خيبة
 في حبها له . فسوف تضطر مرة أخرى الى انتظار مدة طويلة . وهي تتوسل
 اليه ان ينق إلى جانبها ، ولكنه يجيبها أنه وحده دون باقى زملائه في التكنة
 قد استطاع الحصول على إجازة . وان قائده قد اشترط عليه وجوب العودة
 بمجرد استدعائه . وها هو قد استدعى . ولاند أن يكون الجنس في خطر .
 فقد أخبره قائده أنه لن يستدعبه إلا إذا كان هناك خطر دائم وهو بناء على
 معلوماته وعد ورود تلك البرقية أصبح يوقن بأن المعركة الفاصلة ستدور رحاها
 يوم الاحد القادم ولنا فيجب الرحيل عند العجر . وهو ننقل بعد ذلك فيا في
 كلامه كما لو كان ينطق بلسان كل جبود الحيس المرئى . فبذكر لها كيف
 يجب أولئك الجنود نساء فرنسا . وكيف يمومون وهم يذكرونهن ويمثلون
 ابتساماتهن الساحرة . وتملكه فجأة نوبة يأس وأسى فيخبرها أن هذه الحرب
 لا عدو أن يكون كسابقاتها من الحروب . لا لكاد صعب أوزارها حتى يكتفى

الشعب بأن يلبس الحداد في استهتار وعدم اكتراث مدة ما . وتلقى بعض الحطب بجانب التماثيل القائمة للشهداء . ثم سرعان ما ينسى كل شيء . ويمود الجميع الى السرور والمرح والبهجة والبث . وهو لا يفار من السعادة التي سوف يفوز بها الذين سيقون بعد موت اولئك الشهداء ، فهو يعلم أنه يقضي حياته لسكى يمهده السعادة للباقيين ولكنه يرجو على الاقل أن تحتفظ فرنسا بذكريات أولئك الشهداء ، وهو رباً بذلك المثال الذي شادوه من حطام الآلام واحزانهم أن يدفن في رمال الاجيال والقرون ، وهو يرى أنه يجب على فرنسا أن تستمر على مرفقهم وأن ترى لهم ، وترحم عليهم ! وتنصت « اود » الى قوله في صمت ثم تؤكد له أن الاموات من جنود الوطن يسمونه ، فيناديهم بأسمائهم ، ويخبرها أنه قد تبين أصواتهم فقد أجابوه وقالوا له جميعاً : « كونا سعيدين »

ثم تطلب اليه أن يندنو منها وهي تقول له في لهجة شعرية رائعة أخاذة .
— دع شقي حتى أستطيع أن أحدثك ... ضع لك بقرعاً تماماً . لا اعطى إياه . آه ! كم كنت أود أن أتمكن من اعطائك قبلاقي وكلقي في آن واحد ! أغض عينيكَ كما أغضهما أنا . أطلقى هذا الضوء الشرير (يطلق المصباح وعندئذ تظهر على زجاج النافذة بشائر الفجر ، الفجر الفطيع الرهيب الذي تحد لرجل الجندي العاشق . ولكنهما لا يزالان مغضين عيونهما فلا يريان) اتى اذ اكون لك انسى العالم . خذ منى كل ما في من شباب . اننى أعطيه لك . إنه لك . لك وحدك . لك دائماً الى الابد . أنت وحدك الذي سوف يعرف حرارة جسدى اننى أذوب في حياتك

ثم تذكر الفجر فتفتح عينيها وتقول وهي مضطربة :

— انظر ! لا تنظر ! انه هو . كلا . إنه ليس هو . قل إنه ليس هو .

انه ليس الفجر !

فيقف ويحيها في جرأة وإقدام :

— إنه الفجر

فتمسك به وهو على حافة الفراش وتقول :

— ليس هذا هو الفجر

— لا شك أنه هو !

ويتأثر الجندي الشاب لذلك الحنان العجيب الذي تظهره « أود » فيذهب

إلى النافذة ويسدل عليها الستائر . وهو يقول :

— انه ليس الفجر ما دمت تريدني ذلك

— وماذا تساوى إرادتي ؟

— ما دمت هنا فهي التي تسود العالم

— اذن فلا تسافر

— حسناً . سأبقى

ثم يطلب اليها أن تنام لتسترخ فتبدي له خوفها من أن ينادر المنزل وهي نائمة . فيؤكد لها أنه سيبقى . ونשמع أنها جدد سيدة اذ تراه بجانبها يتحدث اليها وهي في الفراش . فهذا أبعد من سماع الموسيقى . فالموسيقى تدلل الجسد أما الحديث فهو وحده الذي يدلل الروح . وتلتمس منه أن يقسم لها بأنه لن يتركها فبقسم وعندئذ تنتم :

— اتني سيدة

وتتقضى فترة ثم يسألها :

— أتمامين ؟

(تحييه هامة : « أجل » فيذهب إلى النافذة ويزيح الستار . ثم يرى « أود »

نائمة فتخونه شجاعته ويقطع الترفة ذهاباً وإياباً في تهيج واضطراب . ويلبس

فها باصبه ليتا كد من نومها وهو يتم) : « أتأمين ؟ »
فأذا وثق من انها نائمة وضع رأسه على المائدة وأخفاه ثم أخذ يبكي وقد
بدأ ضوء الصباح يضر الترفة وهو يحاول جهد طاقته ألا يوقظ أود . وبكى
وبكى . . مع انه لم يكن يعرف البكاء من قبل !

فإذا كان الفصل الثالث فتحن في غرفة أخرى من غرف المنزل اجتمع فيها
الاب الشيخ بابنه الجندى وخطيته أود . وأنت تفهم منذ بداية الفصل أن
الجندى قد عدل عن الوعد الذى قطعه على نفسه أمام خطيته واعتزم الرجيل
من جديد العودة الى ساحة القتال . وهو يذكر ذلك لوالده وبلغت نظره
في سخرية الى أن هذا الرجيل سوف يتيح له — أى للاب الشيخ —
الفرصة للاستمتاع بذلك النظام اليومي الذى اعتاده في حياته مع « أود » .
سوف يعود الى تلقى قلبها في المساء قبل أن تذهب الى فراشها . والى سماع صرير
المفتاح فى باب غرفتها . والى التلذذ بالسكون العاتر يسود جوار المنزل . وأنت تحس
بأن الاب الشيخ يحوم حول معرفة ما فعله الشابان فى الليلة الماضية . وهو يرغب
فى معرفة ذلك . فهو يذكر انه لم ير ضوءاً فى غرفتهما عند ما أغلق نافذته فى
منتصف الساعة الرابعة ويتساءل عن سبب ذلك . وهو يستشف من خلال
اجابتهما ما يثيره ويستفزه فهو مهاجم ابنه اذ اجتراً على تلويث فتاة عذراء كانت
تحت حمايته هو !

وأنت تحس من طريقة الغاء ذلك الشيخ ولهجة أنه يفار من ابنه غير
لا يكاد هو نفسه سمر بها . هى غيرة نستل فى عقله الباطن . ويتجاهل
أن تلك الفتاة انما هى خطية ابنه وحليله . وهو لا يستطيع أن يضبط غيرته

من الشباب الذى يمثل فى ابنه وخطيته . وشعر الابن الجندى بنك ومجاهد أباه به . وينكر ان للابوة حقاً فى أن تعرض لمثل ما تعرض له أبوه . فلا يمكن أن يحكم على تصرفات جندى الامن عرض حياته للقاء فى ساحة القتال . وشور الابن فيصارع أباه بأنه إنما يتقدمه لانه لا يريد أن يحرم من التمتع بملك النظام الذى اعتاده فى حياته مع « اود » أثناء غيبته فى الحرب . ثم يقول بتمتهى الصراحة :
— إنه عما يضيقك أن أظل حياً !

ويدهش الاب الشيخ لملك ولكن الابن الجندى يملل هذا بما سبق من أن أباه يفار منه دون أن يشعر بملك الغيرة . وهو يحس الآن بأن غيرته قد جرحت بعد الذى علمه عما دار بين الخطيبين فى الليلة الماضية . وشور الابن على شيوخ العالم ويقول :

— إن الشبان قد احتفوا فى هذه الحرب وطرد الشيوخ الى احتلال مكاتهم كرجال وشبان من جديد

ويتم والده بأنه يكرهه . وهنا تطلع « اود » والده خطيبها على ما ذكره لها خطيبها من أن الحرب ستطول وأنه أخفى عليهما ذلك . ويدهش الاب لملك وتحشى « اود » أن يموت خطيبها فى تلك الحرب ! وعندئذ يقول الجندى لها :
— اذا مت فأتى أمانع فى بقاءك هنا — ثم يبدى رغبته فى أن يصطحبها معه الى باريس ، فتمانع فى ذلك ، ويظن الاب الشيخ أنها تمنع من أجله فيسكرها . ويلج الجندى فى ذلك ويطلب اليها أن تختار بينه وبين أبيه ويدور بينها وبين الشيخ هذا الحوار العجيب !

هى — سيرحل ؟

الشيخ — هل طرده أحد !

هى — سيذهب ؟

الشيخ - ليذهب

هى - سيعود الى وطيس المعركة

الشيخ - فليؤد واجبه

هى - انه يواجه الموت

الشيخ - يتوهمون ذلك دائماً !

وفى تلك الاثناء تسكون أود بجانب الشيخ فيظهر عليها الاشمزاز منه
وتراجع وهى تنظر اليه فى احتقار وازدراء وتقول فى صوت قوى :

— انك ترعبنى !

فيصح الشيخ : « أود ! »

ولكنها تلتفت الى الجندى وتقول : « خذنى ! »

وتصارح الشيخ بأنها تشمئز منه وانها لا تريد البقاء . وتؤكد لخطيئتها
لم تفكر فى أحد غيره . وانها له وحده . تفخر وترهو بأنها زوجته أو بأنه
جملها زوجته ! ويسألها الشيخ عما اذا كانت لم يسر بحبه لها أو بحبها له .
ولكنه ينتبه الى وجوب التزام الوقار والحكمة ! وتلتفت الى خطيئها فتعاهده
بأنه اذا مات مستشهداً فى ساحة القتال فسوف لا تعرف فى الحياة بعده الا
ذكره .. وينصح لها الشيخ ألا ترتبط بمنزل ذلك التمهيد فتسخر منه وتكرر
قسمها بأنها سوف تقع بذكري خطيئها الى أن تلتحق به ... فاذا عاد الشيخ
الى نصيحها غالت فى قسمها وعاهدت خطيئها على أنه اذا مات فستلتحق به .
ثم يشتد بها الضجر من الجواب الذى يحيطها فتطلب الى خطيئها أن يأخذها معه
فيتوسل الشيخ الى ابنة قائلا :

— اتركها لى

وعندئذ تلتفت اليه وتقول :

— اتوجه اليه الكلام !

الشيخ (للجندى) — قل لها أن تبقى . .

وتسخر منه اود فيترف بأنه وهب قلبه لها للمرة الاولى فى حياته .
فتنبه إلى انه يجب أن يبه لابنه وحده . ثم تسأله :

— هل تعرف شيئاً عن الحرب ؟

الشيخ — أعرف اليوم للمرة الاولى . .

ثم يسترف بأنه لا يمكن للشخص معرفة الحرب الا بعد أن تدميه وتمزق
قلبه . وما هو شعر بقلبه يتمزق ! وعندئذ تشير إلى الجندى قائلة :

— اذن انظر اليه الآن !

الشيخ (بنسم) — يا صغرى المسكين

وتطلب اليه ان يحبه ويستغفره فيتقدم الشيخ الى ابنه وسأله الصفع وهو

يقول :

— ان البطولة أيها الشبان من حقكم الطيعى . اتى أتوسل اليك أن تنفو
عما ارتكبته من حطة وضعة . لا أطلب شيئاً آخر . . . سافرا . . السيانى
(لابنه) ولكن لا تسافر قبل أن تقول لى لك عفوت عنى . فهنا والىك اجنو
تحت قدميك . عفوك

فتأثر الابن الجندى وبغفو عن أبيه ثم يقول :

— انه لشيء جميل أن يكون رجل هرم مثلك بهذا الحنان . . لا تأسف
على ما شمرت به من الالم . فاذا تألم الشيخ أصبح شاباً . لا وسيلة غير الالم لى
تقرب منا نحن الشبان

وهذا هو فى الواقع محور القصة كلها فقد وفق المؤلف توفيقاً تاماً إلى
الغرض الذى يرمى اليه . إذ كان واجب الابن الجندى أن يرفع خطيئته ووالده

الى مستوى البطولة وأن يسمو بهما الى المثل العليا السيلة التي وصل اليها حماة الوطن من جنود الجيش الفرنسي أثناء الحرب ... وها هما قد ارتقعا وسمت نفسهما الى السماء ... وها هو الابن يعرض على أود أن تنفى مع والده بعد أن صفعه فيأبى الوالد هذه المرة ويرفض . ولكن الابن يلح فيقبل الشيخ في خجل وحياء أن يحصى زوجة ابنه . وبلغت الحننى الى خطيئته فبطلت لها ألا تفذ ما قالته له من أنها ستلحق به إذا مات في ساحة القتال فهو لا يريد ذلك . بل هو يتوسل اليها أن تبحث لها بعمه عن شاب يكون قد حاص عمار الحرب وأدى واجبه القومى . ويحب عليها ألا تترفع عن حبه إذا نادى بها هو الحب

فاذا وصل شخصيات القصة الثلاث الى هذا الحد من السمو والتعظيم اقترت أود من خطيئها وهي تقول :

— أحك —

ويقول الوالد لانه في صوت قوى :

— ابقى حيا —

ويظهر الاس الرضى والاطمئنان ويتقدم الى الباب وهو يقول :

— حساً —

وتنتهى القصة هكذا

السبح — عد اليها ناجياً

هي — احك

السبح — اننى في حاجة الى يدك لكى نغمص عينى

هي — احك

السبح — أريد أن أراك واقفاً بجانب فراش موى

هي — أحبك

ويكون الجندي إذ ذاك قد وصل الى الباب فليفت اليهما ويقول في لهجة
مفهمة بالحب :

— كونا سيدين

ثم يحتفى ويسمع صوت الباب الخارجى وهو يفلق ثم صوت العربة وهي
تبتعد وتظهر علامات الالى على « أود » فتسقط على أحد المقاعد ويشارك
الشيخ والشابة فى البكاء والابين

الزوجة المبترسة

عن المائتين الفرنسيين أميل وأوبى

ولهذه القصة المسرحية قصة هي الأخرى ! فؤلفاها دينيس اميل Denys Amiel وأندريه أوبى André Obey كاتبان شابان لم يكن قد ظهر لهما قبل هذه القصة شيء يذكر . وكل ما عرف عنهما أنهما كانا قد اشتغلا بكتابة بعض مقالات في النقد المسرحي وقصص قصيرة للعطالة . واجتمع الاثنان في باريس رغم أن أحدهما من أقصى جنوب فرنسا والآخر من أقصى شمالها ! وكتبنا هذه القصة التي الحصل لك والتي تصرفت في ترجمة عنوانها بعض الشيء . إذ أنه في الأصل الفرنسي La Souriante Madame Beudet أى (زوجة بوديه المبترسة) وحاولا فيها أن يعالجا فكرة (تراجيدية) جديدة ، وأن يحللا بضع شخصيات رقيقة تحليلا صادقا بطريقة مبتكرة . ثم عرضا القصة على المسارح الباريسية فلم يوفقا قط الى واحد يخرجها لهما . ! واطلع أحد كبار المتصلين بالمسرح الفرنسي على القصة وأعجب بها الاعجاب كله وأحس بأن من الحسارة البالغة أن تدفن تلك التحفة الفنية ولا يتمتع بها النظارة . ولكنه لم يوفق هو الآخر الى اظهارها في بادئ الامر ولم يجد طريقة الا نضرها تباعا على صفحات جريدة (الانفورماسيون) وبظهر أن هذا النشر كان سبباً في لفت أنظار أصحاب المسارح التي تهتم باخراج قصص الشبان من الكتاب الفرنسيين ، فظهرت قصة (الزوجة المبترسة) على المسرح الجديد في ابريل سنة

١٩٢١ وتلقاها النقاد بدعاية واسعة لمؤلفيها الشابين حتى أن الناقد المعروف روبرت فليز رئيس جماعة المؤلفين المسرحيين إذ ذاك كتب عنها يقول :

« ان المؤلفين في هذه القصة ذات الفصلين قد أظهرنا الرفق الفرنسي كله. فالطريقة التي تشرح بها مدام بوديه (بطلة القصة) وتفكر والطريقة التي يسجز بها بوديه بطل القصة عن الشعور والتفكير لآتحصلان الا في قرية لا يتجاوز عدد سكنتها ثلاثين العا . اتى أهله المؤلفين في حرارة إذ استطاعا أن يظهر ان في فرنسا منذاً أخرى غير باريس يتجلى فيها الحب والغيرة والسعادة والشجن ويكون هذا التجلي بشكل آخر يختلف شيئاً ما عن نظيره في باريس »

وقال الناقد والمؤلف المعروف شارل ميره :

« هاهى - بدون أدنى تهويل أو دجل - القصة الاولى لاتتبع من المؤلفين الشبان قد استطاعا بها أن يصلوا في أول محاولة الى الكمال . ان التوازن الذي في هذه القصة يدعو الى الإعجاب وهى غنية بالسانيتيا وروح الصدق التي تتجلى فيها . وهى غنية أيضا بشيء له أهميته القصوى وهو المنطق »

والواقع أن قصة الزوجة المبسمة محاولة موفقة للتجديد في الفن المسرحى وهى جديرة بأن تلخص لك في هذا الكتاب !

☆☆☆

نحن في احدى قرى الريف بفرنسا . وفي منزل أحد تجار الافشة والمنسوجات بالجملة يدعى بوديه Beudet وهو رجل في الحمين من عمره . مرح ، طيب القلب ، ولكنه سرس فظ ، وعلى شيء من الاثرة وحس السيطرة الذين هما من خصائص أمثاله من القرويين الذين وفقوا في حياتهم التجارية وأثروا بعض الشيء . يعيش في هذا المنزل مع زوجه مدام بوديه . وهى امرأة تدعى مادلين تبلغ من العمر الثامنة والثلاثين . حيلة طويلة القامة .

فهي فتنة وحنان ، وبدل خلقها على نوع من التفكير الحزين الذي هو نتيجة التعلق ببعض المثل العليا في الحب والمأطفة والملاقات الزوجية . وأنت تشعر منذ أول عادثة تدور بين الزوجين أنهما ليسا على وفاق . وإن خلقهما مختلفان كل الاختلاف . فهو رجل تاجر لا يفكر إلا في تجارته ولا يعنى بأن يتلمس ميول زوجته فيرضيها . بل يتكلم حينما اتفق ويقترح من الأشياء ما يروقه هو لا ما يروقها هي ! فهو يحجز مقصورة في أحد المسارح لمشاهدة فوست مع أنه يعلم حق العلم بأن زوجته لا تميل إلى سماع موسيقى تلك القصة ، وهو يعلن ذلك ويوجه قارص النقد إلى القطع للموسيقى التي تختارها وتزفها على البيانو

وتقبل في أثناء حديث الزوجين فتاة تدعى مرجريت Marguerite هي صديقة لمدام بوديه فيطلب إليها بوديه أن تعمل على تغيير أخلاق زوجها اذ هو يرى أنها لو استمرت على ذلك فلا بد أن تنتهي حياتها الزوجية بمأساة . ونلح مدام بوديه هنا بأن تلك الحياة قد بدأت بمأساة ؟ فقد نزوجته منذ اتى عصر عاما كما تنزوج كل نساء الأرياف بدون أن تبحث عما إذا كانت ميول الزوج وعاداته تتفق معها أم لا

وتخلو مدام بوديه إلى صديقتها مرجريت فتذكر لها شيئاً عما ينقص عيشها من فعال زوجها . فقد داعب الخادمة جابريل Gabrielle وهما على المائدة مداعبة خارجة عن حدود الأدب واللياقة حتى أن جابريل لفرط خجلها لم تستطع إلا أن تخفي وجهها . وقد جاء منذ برهة يقص عليها تفاصيل تلك المداعبة ليسليها ، ونذكر أيضاً أنه طالما قص عليها وهو يدخن « البية » أخبار عشيقاته في المدرسة والحيث غير ناظر إلى ما يمكن أن تتركه تلك التفاصيل في نفسها من أثر . وهي تنتهي من ذلك إلى أنه يفكر تفكيراً يحلّف عن تفكيرها . ويفهم الأمور فهماً يتباين مع طريقة فهمها لها . ثم تتور فتقرر أن حياتها عبارة عن مشهد من قصة

مسرحة ليس فيه شيء من الجمل ولا المظلة ولا الفكاهة ولا الحزن ! وهي
نشاهده منذ مدة وترغب الآن في ان تصاهد شيئاً آخر . . . وتقول :
— لقد حاولت أن أرى بمعنى بوديه . ولكن عينيه لا تبصران شيئاً . . .
بوديه ١٠٠ هـ . يا مرجريت . . بوديه . . ! تقف برهة ثم تستمر في اشمئزاز
وتقزز ! بوديه . . !

وهنا يعود بوديه فرحاً وفي يده رسالة يقرأها فإذا بها من أحد عملائه بلندن
يطلب منه « عينة » من الأقمشة . ثم يسهب في الحديث عن أقننته ومنسوجاته غير
طلبة بما إذا كان هذا الحديث بين زوجته وصديقها أم لا . وقبل بعد ذلك
شخص آخر يدعى لوبا Lebad هو شريك بوديه في تجارته ومعه زوجته مدام
لوبا. فقد دعاهما بوديه للذهاب معه الى المسرح لمشاهدة قصة « فوست » وتحدث
الجميع عن سيدة متزوجة يعرفونها ويذكرون أن لها عشيقاً . وأن زوجها قد
اتصل به خبر ذلك المشيق . وعندئذ يسأل بوديه عما فعل زوجها بعد ذلك
فيجيبه لوبا :

— لا شيء . . لماذا تريد أن يفعل ؟ الطلاق . .

ولكن بوديه لا يقنع بهذا الجواب بل يجلس الى مكتبه ويخرج مسدساً من
أحد أدراجة ثم يحرك زناده وهو يقول :
— هذا ما كان يجب أن يفعله

ويضحك الجميع ويشاركهم بوديه في الضحك . ويذكر لوبا أنه قابل
في الطريق شاباً يدعى دوزا Duzat من وكلاء النائب العام وقد دعاه الى
مرافقتهم في مشاهدة « فوست » وأنه قادم الآن الى المنزل . ويقرب بوديه من
زوجته ثم يطلب اليها أن تسرع فترتدى ثيابها ولكنها تعتذر وتوصل اليه ألا
يلح فهي متعبة . وليس أشد ازعاجاً لها من فكرة تلك المقصورة التي يدعوها

اليها . فهي تفضل البقاء في البيت . ولكن بوديه يعود فيطلب اليها أن تذهب الى غرفتها وترتدى ثيابها وهو يلقى هذا الطلب في لهجة الامر متسائلا عن له حق الامر والنهي في المنزل ؟

وتدخل مدام لوبا في الامر وتنبه بوديه الى أنه من حق زوجته أن ترى في موسيقى (فوست) مالا يروقها . ولكن بوديه لا يقتنع بذلك فندق الجرس ليستدعى الخادمة جابريل حتى إذا ما أقبلت طلب اليها أن تحضر قبعة زوجته ورداها الخارجى وكل ما يلزمها للخروج . فهو يحتم أن تصحبه الى المسرح لا لسبب سوى أن المبدأ الذى يجب أن يسود هو وجوب اصطحاب الزوجة لزوجها في الذهاب الى المسرح

ويكون الشاب دوزا قد أقبل إذ ذاك وشعر بما أصاب كرامة مدام بوديه من جرح فيقرب منها ويواسيها في لهجة غاية في الرقة ويبدى لها اهتمامه العميق بأمرها ويدكر لها أنه قد فهم مأساة حياتها . فهو أيضاً قد عانى وشقى من جراء عجز الآخرين عن فهمه وإدراك كنه أخلاقه وميوله

وتقبل الخادمة جابريل معها ملابس سيدتها فيتناولها منها بوديه ويتجه الى زوجته فيضع القبعة على رأسها في خشونة ووحشية بينما تظهر على مدام لوبا ومرجريت علامات الذعر والرعب . وتكتفى مدام بوديه بأن تنزع قبعتها وتضعها على المائدة التي بجانبها . وينتهى هذا الموقف بان يتفق الجميع على الذهاب الى المسرح وترك مدام بوديه في البيت ما دامت تريد ذلك ويخرج بوديه ومعه ضيوفه بينما تنظر اليهم مدام بوديه في ابتسامة هادئة . وبعد بوديه قبل خروجه الى (اليانو) الخاص بزوجته فيطلقه بالمفتاح دون أن يسر هي بذلك ويضع المفتاح في جيبه . . .

فإذا خلت مدام بوديه الى نفسها استولى عليها نوع من التفكير الحزين .

فتمتع الى مرآة صغيرة وتطيل النظر اليها . وتمتحن لون شعرها على صفحة
المرآة ولا تكاد تفعل ذلك حتى يبدو على وجهها النعير فتصرخ وتراجع الى
الوراء وكأنها تتجو بنفسها من خطر هائل وتسير في الغرفة بضع خطوات ضائعة
مضطربة ثم تستدعي جابريل وتسألها عما اذا كانت قد شاهدت في رأسها أثناء
سريعتها تلك السمرات البيضاء التي بدأت نشيع فيه ؟ ثم تعود الى النظر في
المرآة وهي تقول في لهجة حزينة بينما ترفع خصلة من شعرها :

— آه ! رياه . . . رياه . . . رياه ! انها كارثة . . . هنا وهناك

ثم تسأل الخادمة اذا كان هذا الشعر الانيب قد مضى على ظهوره وقت
طويل . علم أو أكثر ؟ وتأتى معها بحركات عدة كأنها تحاول أن تنسى حاجزاً
منيعاً بينها وبين شيء فطيع آخر . . . وتستم :

— انتهى . . . انها بداية النهاية . . . رياه ما أقطع هذا !

ويتطور الحديث بعد ذلك بين تينك المراتين . فالخادمة تستأذن سيدتها في
أن تغيب عن المنزل في اليوم التالي لان خطيبها قد عاد الى بلده وهي ترغب
في رؤيته . وسألها مدام بوديه عن عمر خطيبها فتجيبها أنه سيبلغ الخامسة
والعشرين في شهر مايو وأنها تكاد تكون في نفس عمره . ثم سألتها عما ينوبان
عمله عند ما يلتقيان . وعن التزهات الخلوية السرية التي سوف ينمان بها بعد
تلك الفية الطويلة التي كان فيها ذلك الخطيب المحبوب يؤدي واجبه كجندى في
الاسطول . وتحس انت بملحج التأثير الذي يسيطر على أصحاب مدام بوديه وهي
تخيل منظر ذينك الشابين العاشقين وهما يتعانقان ويتحدثان . ويسيران معاً وسط
الحقول الخضراء النضرة . ويصل هذا التأثير بها عند ذكر الحب الى حد البكاء
فهى تبكي أمام خادمتها ولسكنها سيدة اذ استطاعت أن تجمع بين عاشقين
يتحابان . . . !

وتخرج الخادمة وتحمل مدام بوديه الى نفسها مرة أخرى فيعادوها
البكاء وتتمسك الى منظر الربيع الذى يبدو من خلال النافذة وتأخذها نشوة
غريبة فتعتمد الى (قطعة) من الموسيقى تضعها على (البيانو) وتحاول أن تفتحه
وهي تشعر أن تلك الموسيقى ستكون الوسيلة الوحيدة لتهديته أعصابها النائرة
وارضاء عواطفها ورغباتها ولكن سرطان مايتين لها أن (البيانو) معلق بالمفتاح
فتثور وتهتم على صورة زوجها المعلقة في الحائط وقد انفرج وجهه عن ابتسامة
وتهدهد بقبضة يدها وهي تقول :

— وحش ! آه وحش ! هذا الرجل آه هذا الرجل .. اتنى اكرهه !
(تفكر بكل قوتها ثم تقول بصوت رهيب) ليمت .. ليمت .. (تنظر الى المكتب
بسرعة . ثم تتم) سوف تقع حادثة . أجل . أجل . حادثة مفاجئة (بهدوء)
هذا فظيع

ثم تتجه الى المكتب ونضى الصباح الاخضر وتفتح الدرج وتخرج المسدس
ثم تمحسوه بالرصاص بعد أن كان خالياً منه وترفعه في يدها ثم تحركه قليلاً كما
لو كانت تقوم بتجربة . ونضعه ثانية في الدرج . ثم تقف منتصبه القائمة وتعتمد
ييدها على المكتب وهي ننحصر الى صورة زوجها من جهة ومنظر الربيع خارج
النافذة من الجهة الاخرى وتقول بينما يهبط الستار :

— أنتهم ... اتنى أريد أن أعيش .. أريد أن أعيش .. ستكون مأساة .
أجل مأساة مفاجئة



فأذا كان الفصل الثانى فنحن مازلنا حيث كنا وانما في اليوم التالى من
حوادث الفصل السابق . وقد أقبلت مرجريت وأخذت تذكر لمدام بوديه
كيف ان زوجها قد اعتذر أمس عند ذهابهم الى المسرح عما فعله معها . وكيف

نه أبدى أسفه الشديد لذلك . وهي تعيد الى ذاكرة مدام بوديه سيرة تلك الايام الماضية التي كانت تعيش فيها تحت كنف الحب مع بوديه . وتأثر الزوجة لذلك وكأنها تدمع على ماقضته أمس من حشو للمسند ومن التفكير فيما فكرت فيه اذ ذاك من قتل زوجها

ولا تكاد مرجرت تخرج حتى تسرع مدام بوديه الى المكتب وتبحث عن مفتاح الدرج الذي أودعت فيه المسند لكي تصلح خطأها وترفع الرصاص منه بعد أن أقنعتها صديقتها بصفاء قلب زوجها ولكنها تسمع اذ ذاك طرقاتاً على الباب فتضطر الى الابتعاد عن المكتب

ويدخل بوديه بعد قليل وهو ينفى ثم يقبل لوبا ويتحدث الاثنان عن شئونهما التجارية ويسأل بوديه عن الخادمة جابريل ولا يكاد يعلم أنها متغية عن المنزل باذن من زوجته حتى يثور ويخمد فهو يرى انه وحده يجب ان يكون الأمر الناهي وانه لاحق لزوجته في التصريح بمثل تلك الاجازة ثم يسك باحدى القطع الموسيقية الموضوعة على البيانو ويسخر من ذوق زوجته في اختيارها . ولكن لوبا لا يقره على ذلك بل يذكر له ان زوجته مدام بوديه امرأة غير عادية . ففي خلقها شيء من التعقيد وهي دائمة الابتسام حتى ان أهل البلدة أطلقوا عليها اسم (الزوجة المبتسمة) ولكن الابتسام ليس معناه الضحك ! فابتسامتها جزء من نظام حياتها . . . تبسم كما تتمطر أو تترين . ولكنها لا تمزح ولا تمزح في صدق واخلاص . وينبه لوبا صدقه الى حقيقة أخرى اذ يقول :

— هناك شخصيات مثلك ومثل زوجتي . ومثلي .. لا أهمية لها وليس من الواجب ان تنعاهم معاً . . . ولكن توجد أيضاً الى جانبها شخصيات مثل مدام بوديه لها خطورتها وأهميتها لانها . . لانها معقدة بعض الشيء . .

ويذكر لوبا بمد ذلك ملاحظه على الشاب دوزا وكيل الثيابة من انه
يفازل مدام بوديه . وكيف انه دافع عنها أمس دقاعاً حاراً في رقة وأدب
وظرف . . ولا يكاد يخلو بوديه الى نفسه حتى يتهمها بالتباوة والسحق . ثم
يأمر باستدعاء زوجته ولا تكاد تحضر حتى تنبهه الى انه اذا كان لديه ما يريد
أن يفضي به اليها فكان واجباً أن يحضر اليها في غرفتها لا ان يستدعيها بواسطة
الخادمة . وعندئذ تعاود الزوج غطرسه وكبرياؤه فيرفض قبول ذلك المبدأ
الذي يصر اليه زوجته . ويصارحها بأنه لن يتساهل معها بمد اليوم . ويلومها في
عنف وقسوة على أنها سمحت للخادمة بالتتبيب بدون اذنه فتعده بأنها ان
تعود الى ذلك في المستقبل . ثم يعتمد ان يذكر دوزا ويثمه بالسحق والتباوة
ويكرر ذلك عدة مرات فتقره ولا تعترض عليه . وعندئذ يصيح بها وتبهما .
بأنها كاذبة مرائية وانها تريد من صميم قلبها ان تدافع عن دوزا . وانها لم تقره
الا لكي تزيل شكوكه وظنونته . ويصارحها بأنه قد فهم كل شيء فهو ليس
غيباً ولا غراً . وان لديه الوسيلة التي ينأربها لشرفه المتلوم . وعسك بالمسدس
ثم يصوبه الى زوجته وهو يقول:

— دوزا وانت . . ا

وعندئذ تصرخ الزوجة فيضع بوديه المسدس على المكنب ويخيل اليه ان تلك
الصرخة التي صدرت من زوجته انما هي دليل قاطع على علاقتها بدوزا . ويقرب
منها وهو يقول :

— انني أرى ذلك بوضوح الآن . . لماذا ترتمدين ؟ لماذا تغيرت هذه
السحنة فجأة ، دوزا عشيقك .. انني أعرف ذلك . ألا تريدان الاجابة ؟
فتجيبه وهي منتصبه القائمة مسندة الى اليانو :

— ليس لي عشيق . ليس لي عشيق ولم يكن لي عشيق أبداً . . أبداً . .
أبداً . . .

ثم نعتد المتاقصة بين الزوجين وينادلان بعض الكلمات الجارحة . وتعرض
عليه وجوب الانفصال عنه . وتصيح به قائلة :

— اتركى . اتى أكرهك . اتى أكرهك

وعندئذ يسك بالمدس ويذكر لها انه سبق أن نبها الى الطريقة التى
يرى ان يعمد اليها عند ما تخونه زوجته ويصوب المدس اليها معتقداً انه لا يزال
خالياً من الرصاص ويقول :

— لو انك ختتى لفعلت هكذا

ثم يضبط على الزناد فتطلق رصاصة منه وتصيب زجاج احدى النوافذ
فتحطمه وتحدث فرقة ضخمة فنصرخ مدام بوديه ويذعر بوديه اذ يظن أن
الرصاصة اسابتها فيسرع اليها وقد بدا عليه مبلغ اهتمامه بها . وحنوه عليها .
ونسقط الزوجة على أحد المقاعد وقد اخضت وجهها بيديها وعندئذ
يقرب منها ويسألها فى حنان :

— أنت ؟ هل أنت التى وضعت الرصاصة ؟ ولكن لم فعلت ذلك ؟ قولى
لى سريماً .. سريماً

وتقضى فترة سكون يحاول فيها بوديه أن يهتدى الى السبب الذى حدا
بزوجه الى حشو المدس ولا يتصور قط انها كانت تفكر فى قتله بل يخيل اليه
شئ آخر فيقول لها :

— آه .. آه .. كنت تريدان أن تنتحرى ! .. أن تنتحرى !

وهنا تزج الزوجة بيديها عن عينيها متأثرة بهذه السذاجة الطاهرة التى
تجلت فى خلق زوجها . فيستمر بوديه فى قوله :

— آه .. يا زوجتى المسكينة العزيزة

ويتجه اليها يحاول أن يعانقها ولكن الندم يشد بها اذ ذاك فتلقى
بنفسها تحت قدميه ويقول :

— عفواً .. عفواً .. اتى امرأة تسة .. تسة !

فيحيها وهو يريت على كتفيها :

— ولكن كلا .. ولكن كلا يا صغيرتي ولكن كلا .. انهضى . (يجلسها) آه .

آه اهل كنت تسة .. تسة الى هذا الحد ؟ ولستى لم أكن اعلم (فى صوت متحب) لم اكن اعلم .. لم أكن استطيع ان افهم عن هذا

ويزول كل ما كان بين الزوجين من نفور . ويشعر يوديه بما كانت تسانيه زوجته من شقاء وعناء . ويذكر انه لم يكن يؤمن بان فى الحياة شيئاً اسمه الحب ويشكر لذلك المسدس الشرير تلك النتيجة الجليلة التى اتى بها وتعاقد الزوجان وتنتهى القصة هكذا :

مدام يوديه — (جائبة على ركبتيها) آه عفواً يابول ... أنت طيب ...
أنت طيب ... لم أكن اعلم انك بهذه الطيبة

يوديه (ينهضها ويقول با كياً وقد استولى عليه الحجل) — ولكن | .
كلا .. انت تبالين .. اتى شخص ككل الناس .. شخص .. ككل الناس الآخرين

التعلب الازرق

عن الكاتب المجرى فرنسوا ارزيج

وأنا أعيد هنا ماسبق أن قلته من اتى ارمى عن طريق هذه الملخصات إلى إعطاء القراء فكرة عن المسرح في امم العالم المختلفة وعن كتاب المسرح في تلك الامم مهما تباعدت وتباينت ثقافتها وألوان تفكيرها . ولست اشك في ان القراء لا يعلمون الكثير عن المسرح المجرى ! فلم يتعود مترجمونا بعد أن ينقلوا شيئاً عن كتاب المجر ولقد عثرت على هذه القصة « التعلب الازرق » Le Renard Bleu ماوهى لمؤلف مجرى له قدره وقيمته في بلاده وخارجها هو فرانسوا ارزيج François Herczeg وقرأتها فراقبتى كثيراً . رغم ما أدخله عليها الكاتب الفرنسى رنيه سونيه René Soumier عندما اقتبسها للمسرح الفرنسى . اذ أنه لم يقتصر على ترجمة القصة من اصلها المجرى ترجمة حرفية امينة كما يجب أن يفعل كل مترجم . بل عمد إلى (اقتباس) القصة وتغيير جوها المجرى إلى فرنسا . واستدعى ذلك الاقتباس طبعاً تغييراً آخر فى (نفسية) الشخصيات وطريقة تلونها ونحتها . وهذا الاقتباس فى رأيى إجرام فى حق المؤلف . فالعمل الفنى يجب إذا نقل إلى لغة أخرى أن يبقى كما هو ويكفبه انتقاصاً أنه سيفقد روعته بتغيير اللغة التى كتب بها . أما نصير أسلمه الانشخاص والاما كن مع المحافظة على فكرة القصة وجوهرها فأمر كسانيه على كتابنا فى بدء نهضتنا المسرحية عندما كانوا يقتنون قصص دوما وسودرمان .

واوسكار وايلد ولايتحرجون عن اعطائنا مواضيع أولئك النوايع تحت ستار
من أسلم محمد وعيوشه ١٠٠٠

قصة «التطلب الأزرق» اذن قصة مسرحية وفق مؤلفها المجرى غاية التوفيق
في صكاتها . ولقد ظهرت في بلاده منذ خمسة عشر عاماً وترجمت الى معظم
لغات العالم فلاقت نجاحاً باهراً يتفق مع مكانة فرنسوا ارنيم في عالم الادب
والسياسة الى أن اقتبسها رينيه سونيه وظهرت على مسرح (بوتينيير) في مايو
سنة ١٩٢٨ فقابلها النقاد في فرنسا بالاعجاب والتقدير . ولو أنهم - كعادتهم مع
كل مؤلف أجنبي يظهر له عمل ناجح في باريس - لم ينسوا أن يغمزوا فرنسوا
أرنيم بأنه متأثر بفن الكاتب الفرنسي هنري بيك . وخاصة بقصته (الباريسية) !

☆☆☆

فرنسوا دوجلي François Dugley عالم من علماء الاحياء المائية
يبلغ من العمر الاربعين ويعيش مع زوجته سيسيل Cécile التي
تبلغ من العمر السابعة والثلاثين في منزل ريفي بدعي بناحية سان كلو القريبة
من باريس . وفرنسوا رجل طيب القلب ، ودعي حسن الظن بالناس يهتم أثناء
اقامته في ذلك المنزل الريفى بوضع كتاب عن العلم الذى تخصص فيه وظهرت له
فيه بحاث قيمة ، وهو يفاوس بعض الرسامين المعروفين في رسم الصور اللازمة
للكتاب الذى ينتظر له مؤلفه الكبير ضجة في الاوساط العلمية

وأنت تعلم الكثير عن حياة فرنسوا انا سمعت حديثه مع العاملة الى
تكتب ابحاثه ومقالاته على الآلة السكاتية وهى فتاة في التاسعة عشرة من
عمرها تدعى بولت Paulette رشيقة لموب . لها ولعها بالاحياء العلمية
التي يهتم بها استاذها فرنسوا كما تعلم أن سيسيل زوجة العالم لاتنق مع زوجها
في ميوله ومشاربه . ولا تنطق أن يجلس الى المكب ساعات طويلة لكي

تتهدى الى حل موفق لمسألة عليّة . وهي تفضل النزول الى باريس والمروور على محال بيع الفراء لكي تتهدى الى فراء ثعلب ازرق من النوع النادر تترين به وترهو على غيرها من النساء . وهما يتحدثان أيضاً عن شخص يدعى رباتو Rialto كان صديقاً للأسرة ثم بدا من سيسيل ماحظه ينسحب ولايجرؤ على التردد على المنزل بعد ذلك . وتفهم من خلال الحديث أن رباتو هذا كانت له حظوة خاصة لدى ربة البيت . وأن نفس فرنسوا نقتابه الشكوك مما كانت بينها وبين ذلك الصديق القديم ولكنه لا يستطيع أن يحزم بشئ .

وفيما هما يتحدثان يقبل جان دي فيليير Jean de Villiers وهو شاب موسيقى فى الثامنة والثلاثين لانتلب أن تتبين سرياً مبلغ صداقته لفرنسوا وزوجته . فهو صديق الأسرة الحميم الذى يترك له مقعد خاص ينتظره حتى يقبل . وهو يسرد على رب البيت أخبار رحلته التى قام بها فى أنحاء سويسرا وعاد منها أخيراً دون أن يخطر أحداً بموعده عودته . كما أنه يذكر رغبته فى شراء تلك السيارة الحمراء الرشيقة التى يملكها رباتو ولكنه يسر الى صديقه فرنسوا خبراً غريباً . . . ذلك أنه أثناء بحثه رأى سيارة رباتو يقرب شارع ادوارد الثالث ولمح داخلها ساقى امرأة تلبس حذاء بلون ممين يصفه له ! وهو واثق من أن رباتو كان يقضى ساعة سعيدة مع تلك المرأة

ويجلس جان الى البيانو ويعزف قطعة للموسيقى المعروف جريج ويدخل سيسيل اذ ذاك ولا تكاد ترى جان جالساً الى البيانو حتى تنير الى زوجها بالآ بنبه ثم تخطو الى حيث تقف خلفه فتلصص أمت أنها تلبس حذاء من نفس النوع واللون الذى ذكره جان عن المرأة التى رآها فى سيارة رباتو !

وبداً سيسيل فى انسداد السمع الذى يتسق مع الموسيقى التى يعزفها جان . ولا يكاد الاخير ينتهى من عرفه حتى يقف ومحجى سيسيل تحيه حارة . دون أن

يلحظ في بادئ الامر لون الحذاء والجوارب ولكنه لا يلبث أن يكتشف ذلك حتى يبدو عليه الحزن الشديد ويذكر بعد قليل رغبته في السفر والرحيل فهو يريد أن يعود الى الرحلة التي لم يكده ينتهي منها ! وتلاحظ سيسيل التغير الذي طرأ على جان وتكاد تحس بأن سبب ذلك الزم الذي أعلنه إنما يرجع اليها ! وتشعر أنت بما بين ذينك الاثنين من علاقة .. جان وسيسيل متحابان يلعبان دوراً في غاية الخطورة وهي تخفى اقتضاح أمرها أمام زوجها . فتوم ذلك الزوج بأنها تتكلم عن عشيقه لجان تدعى لولو Lulu ولوانها في الواقع تقصد الكلام عن نفسها ..

وتهم جان بأنه يريد الرحيل لانه شك في عشيقته ولكنها تطلب اليه أن يترى من الظلم أن يرحل دون أن يتثبت من قيمة ذلك الشك ودون أن يطلب الى تلك العشيقة إيضاحاً وبياناً .. فاذا قال لها جان :

— مادام لي عينان فأتى الأخط وأرى ...

سأله :

— ماذا ترى ؟

فيجيبها :

— الوحل إن الوحل شيء تمكن رؤيته بسهولة . إنه كلوثه في ثوب

جميل .. فقد لانتبه العين الى الثوب ولكنها ترى اللوثه !

ويندق جرس التليفون فيخرج فرنسوا للرد عليه وتخلو سيسيل الى جان وعندئذ يتهمها بأنها كانت تلهو مع عشيقها في تلك الجهة التي رآها فيها بذلك الحذاء الملون وذلك الجوارب ! وتدعى هي بأنها كانت في تلك الجهة للبحث عن فراء الثعلب الازرق الذي طالما بحثت عنه . ولكنه يسخر من ذلك ويحييها بان مثيلاتها من النساء يتمدن أن يكون مكان لقائهن بالصاق في جهة قريبة من طيبب الانسان أو خياطة النياب أو تاجر الفراء !

وبصر جان على عزمه الذى سبق أن أعلنه من الرحيل بعيداً عن فرنسا . فقد هوت سيسيل بالمثل الأعلى الذى طلما اعتز به الى الحضيض ولوئحت حياته بتلك الحياة ! وقبل فرنسوا فيدعو صديقه جان الى الغداء فى اليوم التالى ويترك له الحق فى دعوة من يشاء وعندئذ يبدى جان رغبته فى دعوة ... رباتوا

ولا يكاد جان ينادر المنزل ويخلو فرنسوا الى زوجته حتى يسألها عن سر ذلك التطور الغريب الذى طرأ على خلق صديقيهما وعما اذا كانت عشيقته قد خاتته حقاً ؟ فتجيبه بان هذا الامر لا أهمية له . فن المستحيل أن يتبنت الرجل من خيانة المرأة التى يحبها . وينتهى الفصل بهذا الحوار :

فرنسوا — إذن فاهو الامر المهم فى رأيك ؟

سيسيل — المهم هو ان يعتقد بلثا خاتته ... أما الباقى ...

فرنسوا — هذا حسن . . . (يسك سيسيل فى حركة زوجية آلية وتوجه بها الى غرفة المائدة) لم لا يتزوج ؟ آرين ياسيسيل . انما حياة الاعزب مستتقع قذراً



فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى اليوم التالى حيث كنا . وقد أقيمت مأدبة الغداء التى أعدها فرنسوا لصديقيه جان ورباتوا . وتخلو سيسيل قبل المأدبة الى جان فتشكو له حزنها مما أبداه نحوها فى الأمس . وهى تقر بلثا فى هذه الشكوى تتهم كرامتها وتدوس عزتها . ولكنها تؤكد بانه كان قاسياً جد القسوة . وتشير الى أنه مع التسليم بلثا كانت فى شارع ادوارد الثالث لنرض ذنبه . وأنها امرأة مجرمة خائنة . الا أنه لا يملك محاسبتها على ذلك لأنها ليست زوجته ولا عشيقته . إذ هو لم يرد فى يوم من الايام أن يكون عشيقاً لها . ولم يحب فيها إلا الصديقة فحب . ولم يكن بالنسبة لها إلا الصديق . .

والصديق فقط . وهى تعترف له بأنها الى الامس لم تكن تقدر معنى تلك الكلمة الصغيرة .. الصداقة . ويسرع جان عند ما يلحظ مبلغ الخنان والهدوء فى لمحاتها فيجلبها بأنها لن توفق الى التأثير فيه عن هذا الطريق .. وأنه يأسف اذ يصر على ما سبق ان أبداه كل الاصرار . فتقول له :

— كم هو مؤلم يا إلهى . كم هو مؤلم ، إنكم أيها الرجال لا تفكرون أبداً بـروسكم الخاصة وإنما تفكرون دائماً بـروس أجدادكم

وعندئذ يجيبها :

— إذا كنت قد فكرت برأس جدتك لماذا نعت إلى شارع

ادوارد الثالث !

وتعود سيسيل بعد ذلك فتوسل اليه أن يرقى لها ويشفق عليها وما دامت قد خطت هى الخطوة الاولى نحوه فعليه أن يخطو نحوها خطوة أخرى . فننسى أن يتركها هكذا وحيدة . ولكنه لا يلبث بها ويلهو بالنظر الى كتاب أمامه ..

وبقل رباتو بعد قليل .. وسعد جان بكل الطرق الى اثاره سيسيل والثار منها . فيتحدث عن مغامرات رباتو مع النساء . وعن ماضيه المغمى بذكريات الفرم والحب . ويسأله رباتو فى هذا الحديث فيعترف بأنه يحتفظ لديه بمجموعة من شعر النساء اللاتي عرفهن فى سباه . كما يجمع الآخرون طوايع البريد ! وتحاول سيسيل أن تظهر التجدد وعدم الاكتراث بكل ما فى طاقها . ولكنها لا تكاد تطعن الى أن زوجها قد ظفر العزفة حتى تطلب الى رباتو أمام جان أن يخرج من منزلها فإذا سألها عن الداعى الى ذلك الطرد الشائن أجابته بأنها لا تريد أن ترى وجهه بعد !

فإذا خرج رباتو وخلا جان الى سيسيل أخبرها بأنه قد أدى واجبه ولم يبق عليه الا الرحيل فتحاول استبقائه مرة أخرى وتصارحه بأنه اذا رحل

فهي لا تدرى ماسوف يكون مصيرها ولا تعرف ماستقول لفرنسا ؟
ويدخل فرنسا اذ ذاك ويسأل جان عن سر ما يحدث حوله من الامور
وعندئذ تتور سيسيل وتعرف لمباتها خاتمة ويدعش جان لتلك المفاجأة الغريبة
ومحاول الخروج ولكنها تستوقفه وتقول له :

— معذرة ياسيدي . معذرة .. لقد كنت تريد فاجعة . أو مأساة ...
حسناً .. هاهي المأساة .. لقد نجحت ! ولكن بقي البحث عن المؤلف .. ولا
تحاول أن تخفيه بل اظهر نفسك وتقدم !

ثم تعاد سيسيل العرفة لتستحضر الاشياء الضرورية التي ستأخذها معها .
ويقرر جان أمام صديقه فرنسا بان زوجته تخونه مع رياتو . وعندئذ يبدأ
فرنسا بتوجيه اللوم الى صديقه على احماله في ملاحظتها فاذن اعترض عليه بأنه
ليس زوجها احببه ياته من أجل انه زوجها لم يكن في استطاعته مراقبتها
مراقبة فعالة . فالزوج الشقي هو دائماً آخر من يعلم بخيانة زوجته ! وفكر
فرنسا اذ ذاك في طلب مبارزة رياتو ولكنه يتصرف في نفس الوقت بان
زواجه من سيسيل لم يكن زواجاً صحيحاً صادقاً . وانما كان نوعاً من سوء
التفاهم أصبح شريعياً باقرار العمدة لعقد الزواج ! وأنه كان يختلف في ميوله
ومشربه اختلافاً تاماً عن زوجته . اذ كان يشتمل عنها بلجائته الملوية وكتبه
ودراسات .. ويشهد التأثير بالزوج وسبه زوجته الحاطنة بالطلب الازرق الذي
طلما بحثت عن فرائه ! فذلك الحيوان يبدو على غفاله الصغيرة في ثلج القطب
من هنا الى هناك بلا هدنة ولا راحة تحت الشمس الساطعة وفي نصف الليل
وينتقل من تلاجة الى أخرى بدون أن يؤايبه التعب أو الاجهاد . ولا غاية له
الا البحث عن مأوى صغير في صخرة نائمة يطمئن اليها فترحمه من عاء البحث
الطويل الشاق .. ! ويدلى فرنسا الى صديقه بشيء آخر . ذلك انه لم يكن

يعظن بأن المأوى الذى طلبا بحث عنه سيسيل سيكون عند رباتو .. وأما كان
يعظن بأنه سيكون عنده .. أى عند جان !

وتعود سيسيل وقد ارتدت قفازها وقبعتها . وتلح فى وجوب إيقاع الطلاق
وعرض عليها فرلسوا أن يرافقها جان الى باريس ولكنها تحييه بأنها مادامت
قد اعترفت الطلاق فهي لا ترجو الا ان يرافقها صديق شريف الى منزل
عنها .. ولن تجد ذلك الصديق الشريف الا فى شخصه هو .. أى فى شخص
فرلسوا نفسه ! ويقبل فرلسوا وتقول سيسيل لجان :

— هل أنت مسرور ؟ لقد أردت أن نسيء الى ولكنك أنت الذى نلتقى
وتألم الآن !

ومعفض جان رأسه دون أن يعيب وتطلب سيسيل الى فرلسوا ان يرسل
ليها فراه الثعلب الأزرق عندما يصل من التاجر ويبدو على فرلسوا أنه
سعيد بتخلسه من تلك الحياة الزوجية التى كانت قائمة على الخداع وتدخل بوليت
العامة وهي لا تدرى شيئاً مما حدث وتقول :

— لقد أعد الطعام ياسيدتى !



فإذا كان الفصل الأخير فقد انقضى عام على تلك الحوادث التى رأيناها .
وأصبحت بوليت العامة زوجة للعالم فرلسوا دوحلى وربة بيته . وتفهم من
حديث يدور بين الزوجين ان سيسيل قد ارسلت الى مطلقها تطلب اليه زيادة
مبلغ النفقة الذى يدفعه لها . ويقبل جان صديق فرلسوا فيعرض عليه الرسالة
التي وصلتته من سيسيل ومحبته مانه على استعداد لزيادة تلك النفقة وأما على
شرط أن توقع هى الاخرى على تعهد كتب هو صيغته . ويطلب الى جان ان
يتدخل للحصول على ذلك التعهد منها . فيرفض فى بادىء الامر ولكن يقبل

بعد الحاح فرنسوا . ولا يكاد يخلو جان بنفسه حتى يجلس الى اليانو وعزف نفس موسيقى جريج التي عزفها في الفصل الاول . وتدخل سيسيل اذ ذاك وتقدم الى أن تقب خلفه وتنفذ الشعر الذي يتسق مع تلك الموسيقى كما فعلت في الفصل الاول تماماً . فاذا انتهى من عزفه قام لتحية سيسيل وعندئذ تعلم من حديثه معها أنه كان في رحلة طويلة لم يعد منها الا اخيراً .. وان فرنسوا يزوره للمرة الاولى بعد تلك الرحلة . ثم يمرض عليها التمهيد الذي كتبه مطلقاً ويطلب اليها التوقيع عليه . فاذا به يحتوى على تعهد بان تسير سيرة حسنة شريفة . وتقبل سيسيل التوقيع وتخرج بعد ان تودع جان وتخبره انها مرتبطة بموعد هام لتناول الشاي . ويطلبه جان الى انها نسيت قفازها فيتساوله ويرفعه سريعاً الى شفتيه . وتعود سيسيل في تلك اللحظة وترى قفازها عند شفتي جان ! وعندئذ تطلب اليه أن يعيد اليها التمهيد الذي وقته منذ لحظة فانها تناولته اخذت في تمزقه . واخبرته انها اصيبت في غير حاجة الى مال فرنسوا . فصددها الآن مايكفيا ! وتبدي اليه بخبر غريب . فلك انها سوف تنزوج . وان هذا الزوج يعرف حكاية شارع ادوارد الثالث . ولا يعرف ألاما ! وربما كان من اجل تلك الحكاية ذاتها انه يريد التروح بها ! وهي تتحدث اليه بعد ذلك في لحظة شعرية رائعة غريبة كنت اريد ان اترجمها لك حرفياً . فهي تطلب اليه اذا ماتم زواجها ان يعود الى التردد على منزلها كما كان يفعل وان يكون صديق الاسرة الحميم . وهي تقول له :

— جان .. اجلس هاءك . في مقعدك .. انا احبها . احرار . كما كنا .. اني ربة البيت ... وأنت صديقي . صديقي الطيب يا جان .. وفرنسوا كعادته .. مسحون في مكتبته . نحن وحدنا . أعطى سيحارة .. سوف نحدث . بقلب مفتوح وسوف نكون مخلصين .. انا اشاح !

وهي تعود فتذكر له انها ظلت خمسة اعوام مخلص له وتحبه وتبني له عايبا

الوفاء . وأنها وجهته كل شيء إلا .. جسمها ! وإنما كانت تعيش مع زوجها عيفة غريبة شاذة . فكانت تقول لنفسها إذا رآه بعد قضاء السهرة عديم .. ان زوجي وصديقي قد تبادلنا مكانهما .. فهاهو زوجي قد رآه وها هو صديقي فرنسوا يجانبي .. ! فآنا سألها جان :

— لماذا خنت فرنسوا ؟

أجابته :

— فرنسوا ؟ ولكن ما دخل هذا الرجل الطيب هنا ؟ إذا كنت قد خنت أحداً فهو انت : وإذا كان هناك من يستحق الخيانة فهو انت أيضاً . ثم تشخص اليه وتضحك لتخفي دموعها وتؤكد له أنها شريفة وإنما لو أرادت لاستغلت الموقف الذي بلغ به فيه التأثير مبلغاً شديداً . وأخذت منه كل ما تريد . ولكنها تأبى وتنادى صائحة :

— رباتو ! رباتو !

ويبحث جان لنفك النداء فهو يعلم ان رباتو في اميركا . وهي تحببه على ذلك بأنها تنادي شخصاً وهي لا أثر له من الحقيقة الا في غيبته ! ويفهم جان ماترني اليه ، ويبدأ في تبين مبلغ مخالفاته في اتهامها . فلم يكن لديه في وقت ما أدلة كافية تثبت ذلك الاتهام . وهي تذكر له اذ ذاك أن ذلك الزوج الذي اخبرته به انما هو .. هو شخصياً ! هو جان ! وهي تسأله :

— هل نظن أنني فكرت يوماً ما في شخص غيرك ؟

وتدخل بوليت اذ ذاك يتبعها فرنسوا . وتدهش الاولى عند ماترني سيسيل وتقول مترددة :

— أسعدت صباحاً يا مدام .. مدام .. وعشيدت تخرجها سيسيل من ردهما بقولها :

— انتظري بضعة ايام وعندئذ تستطيعين أن تقولى مدام ده فيلير
ويبدو الاطمئنان على فرنسوا لئلا تكون النتيجة ويقول :
— حسناً . . لقد استرققنا وقتاً طويلاً حتى اتينا الى هذا القرار !
وسيط الستار على ابتهامات تشمل الجميع ويبدو على فرلسوا وسينيل
الارتياح التام وكأنهما يحسان بأن الامور قد انتهت الى مجراها الطبيعى المعتاد !

النفور

عن الكاتب الفرنسى شارل فيلدراك

هى قصة حديثة جداً فقد ظهرت للمرة الأولى فى ديسمبر عام ١٩٣٠ على مسرح الكوميدي فرانسيز . ومؤلفها شارل فيلدراك Charles Vildrac من المؤلفين الشبان . فقد سبق أن ظهرت له قصتان ناجحتان على المسارح الفرنسية . كانتا تبصران بمستقبل فى باهر . فلما مثلت (النفور) La Brouille تحققت تلك النبوءة وهلل النقاد جميعاً للقصة الجديدة . واعتبروها فتحاً جديداً فى الأدب المسرحى

والواقع أن هذه القصة التى ألحسها لك تحو نحواً جديداً فى تصوير الحياة تصويراً واقعياً دقيقاً إلى أقصى حدود الدقة الصادقة المعبرة . ولم يعمد المؤلف فيها إلى بحث مشكلة اجتماعية . أو فسكرة علمية . كما أنه لم يضع فيها مشهداً واحداً فيه شئ من العنف المسرحى أو (الصنعة) الفنية التى يعمد اليها الكثيرون غيره حتى من مؤلفى القصة التحليلية الحديثة . . . لم يفعل شيئاً من ذلك قط بل اقتصر على أن يبنى قصته حول نقطة واحدة تناخص فى نشوب نفور بين صديقين قديمين لسبب ما . وتطور هذا النفور . والطريقة الطبيعية العادية لزواله وإعادة علاقات الصداقة بينهما كما كانت . وأنا اوقن اليقين كله بان هذه النقطة — التى قد تبدو للقارىء بسيطة واحدة — كلفت مؤلفها عناء ومؤونة قد لا يتكلفها لو انه تعرض لموضوع معقد آخر

متعصب التواحي . . . فقد وفق كل التوفيق في تصوير التفاصيل الصغيرة التي سبقت ذلك النفور والتي كانت سبباً فيه والتي ساعدت على إزالته . وفي تحليل شخصية الصديقين وموقف زوجتيهما منها عند قيام النفور وبسده . وكان في هذا كله مثال القنان النابغة الموفق . .

وكتبت أود أن الحصل لك بعض آراء النقاد في هذه القصة الحديثة تتركب أكتفى بأن أقول بأن مجلة « كوميديا » ذكرت عنها أنها قصة جديدة حقاً بالكوميدي فرانسيز ولها من الأعمال الفنية التي كتب لها الدوام والبقاء . وذكرت جريدة « الانفور ماسيون » أن ظهور (النفور) يطمئن أولئك الذين اشتد بهم القلق على مستقبل المسرح من منافسة السينما الناطقة وذكرت جريدة « الديبا » أن اللذة التي نلناها عندما نشاهد هذه القصة نلقبها من أننا نشاهد فيها الحياة في مرآة !



نحن في منزل هنري دوما Henri Dumas وهو رجل في السادسة والأربعين من عمره يعيش مع زوجته جان Jeanne وابنته سيلفيت في ذلك المنزل . وهو يقوم بإدارة المقاولات الكبيرة وانهاز بعض الصفقات التجارية التي تعود عليه بالربح الوفير ويتصل من أجل ذلك بكثيرين من كبار رجال الدولة وأعضاء الهيئات السياسية لكي يتوصل عن طريق مساعدتهم له إلى تحقيق أغراضه . ولما تراء يستقبل اليوم في منزله أحد أعضاء مجلس النواب واسمه بوردان لا كوت Bourdin-Lacotte ويقدمه إلى صديق من أصدقائه المخلصين يدعى جيريل بان Gabriel Pain وهو مهندس معماري معروف قام بتصميم كثير من المنسآت والنور الكبيرة . ولكنك نلنا منذ اللحظة الأولى بأن (نان) صديق رب البيت غير مرتاح إلى معرفة النائب بوردان ولنا لا يكد هذا النائب بفادر البيت

ى يتوجه (بان) باللوم الى صديقه دوما . ويبدى دهشته من أن يسمع خوما
مثل ذلك النائب الملوث بان يتردد على ماره

وهو يذكر أن صديقه كان منذ عشرة أعوام بشاطره هذا الرأى فى الناس
وفى وجوب الاعتماد من تحوم الشبهات والريب حوله ولكنه الآن بعد ان
أصبح يضارب وينجح فى صفقاته التجارية تغيرت آراؤه ولم يصدق بتورع عن
استقبال شخص كبوردان سبق ان اتهم بأن له ضلماً فى إحدى القضايا الفاضحة
وتشارك جان زوجة دوما فى هذه المناقشة فتنبه (بان) الى انبهات ضيق الصدر
وان غروره واعتداده بنفسه أصبحا لا يطاقان ، ويذكر له دوما أنه — أى بان —
يعرف أشخاصاً لا يزيدون شرفاً عن ذلك النائب ، وبينهم له بأسمائهم وعندئذ
يشير (بان) من طرف خفى بأنه ليس هناك ما يرضه على مدهانة أولئك
الاشخاص فهو يعيش من مهنته . وهنا تحس بأن دوما قد جرحته تلك العبارة
فهو يطق عليها بقوله :

— بينما أنا ليست لى مهنة ! أليس كذلك ؟ — فيجيبه الآخر :

— أجل . انت لاهنة لك ولكن لك ذكلك . انت تشتري وتبيع الاراضى
والدور الكبيرة والسندات من كل نوع !

وتفهم بعد ذلك السر فى تلك الثورة التى ثارها (بان) . فقد علم ان
دوما ينوى ان ينال تصريحاً ببناء ملهى كبير وانه قد استدعى (بان)
ليوم النائب بأنه قداتفق مع المهندس نهائياً على بناء الملهى . وان ذلك المهندس
هو صديقه (بان) .. وهذا الاخير يأتى أن يتخذ دوما — مهما كانت الصداقة
بينهما — مطية لتحقيق مآربه وأغراضه . فهو يرى فى ذلك مساساً بكرامته
وعزته ، وهو يستقد بأنه كان واجباً على دوما ان يحظره بالقرض الذى
استدعا وقدمه الى النائب من أجله قبل أن يفاجئه به . ويحبب دوما بأنه
يؤدى خدمة الى صديقه المهندس فلا شك أن نجاح مشروع ذلك الملهى سوف

يعود على (بان) بالخير . وهو يحس بقوة الملاحظة التي أبدعها صديقه منذ لحظة عن اقتضائه الى مهنة مينة يمتنها وزهو بها فيقول :

— اتى آسف اذ يفكر رجل لامهنة له . صلاوك . حشرة من الحشرات التي تدب في المجتمع مثلي في أن يسدى خدمة ما الى رجل متعج متعكر كجيريل بان . . هذا هو الذي يشيره ضدى !

بان — أنا ؟

دوما — أجل . . ان هذا هو الذي لا تريد ان تصغره لى

بان — انك تريد تغيير الموضوع في ندالة وانت لا تعلم ماتقوله

دوما — اتى امس صميم الموضوع

بان — انك تعاملنى منذ مدة معاملة تذكرنى بما أنا مدين به اليك

ويتطور الحديث بينهما على هذا الشكل ، فبان يرى ان معاملة صديقه له حاجة من انه يدينه في مبلغ . ودوما ينكر ذلك ويؤكد انه لم يفكر فى اسداء الخدمة الى صديقه لسكى يذله أو يخضعه له . ولكن بان يجيب على ذلك بقوله :
— على الرغم منك يا هنرى . على الرغم منك أرى انك تتدخل فى شئونى

بشكل ما كان يحدث لو اتى لم اكن مديناً لك

وتشارك والدة دوما فى المناقشة فتذكر أنه اذا كان ابنها يساعد (بان) على إيجاد عمل له فانما يرمى بذلك إلى تسهيل السبل له لسكى يفى بما عليه —
فيتجه اليها بان ويقول :

— لأتى أفهم ذلك ياسيدتى . . افهمه جيداً . وأنا لأأريد أن يعينى على

الوفاء بدينى !

وهو يصصر على ذلك ولا يرغب فى ان يتضاعف دينه بهذه الوسيلة . ولا يقبل أن يكون هذا الدين سبباً فى اندماجه فى اوساط لايميل اليها . ويشوردوما

اذ ذاك فيطن (بان) بانه قد عدل نهائياً عن الاشتراك معه في أى مشروع .
وليذهب بعد ذلك لبناء زرائب الأرانب في الضواحي كما كان يفعل ! وتشرجان
بقسوة ذلك التمييز الذى لجأ اليه زوجها فتصيح به في لهجة لوم :

— هنرى !

ولكنه يستمر قائلاً وكأنه لم يسمعها — وعندئذ سوف يمينك ذلك على
سداد مالى الذى تسمثر منه

فيتجبه (بان) الى الباب وهو يقول :

— أجل . إننى اشمثر من مالك . . . وها أنا أخرج من بيتك

وهنا يشترك في المناقشة شخصان آخران لم أكن قد قدمتهما اليك
بعد . هما اندريه بن بان . وهو شاب في السادسة والعشرين من عمره .
وسيلفيت Sylvette ابنة دوما وهى شابة في التاسعة عشرة من عمرها . وهما
خاضعان لما يخضع له الشبان في سنهما من عاطفة متبادلة متحابان منذ مدة وقد
اتفقت الاسرتان على زواجهما ، يشترك هذان الشبان في المناقشة عند ما يريان
أن مصلحةهما مهددة بالخطر من جراء هذا النفور الذى نشب بين والديهما
واشتد بتلك السرعة . . ويرجو كل منهما أباه بأن يهدأ . ولكن (بان)
يكون إذ ذاك قد خرج بدون أن يستبقيه صديقه رب البيت . وتلتفت سيلفيت
الى خليفها اندريه وتسأله باكية :

— انك لن تخرج أنت ؟ أباه ! ان اندريه لن يخرج أيضاً

ولكن دوما يحبسها في حركة يظهر فيها اثر الانفصال :

— دعنى !

ويتحرك اندريه نحو الباب بعد ان يخبر سيلفيت بأن بقاءه قد يفهم منه بأنه غير
متفق مع والده . ثم يخرج الساب بعد أن يودع والد خطيبته وداعاً مؤثراً . ولا

تكاد جان تعود الى زوجها حتى تجبره بأنها ما استطاعت أن تسبقى (بان) .
قط . ولم يكن فى الامكان أن تجنو على ركبتيها لى تستعطفه فى البقاء . ويشند
بها التأثير فتخنها الدموع ! ولكن دوما يدهش إذ يراها تبكى ويخبرها بأن
(بان) أظهر منتهى الحفونة وأنه للمرة الاولى فى حياته يشعر بأن صديقه
يهاجه ويحرقه . وللمرة الاولى يخرج (بان) من بيته بدون ان يصاحبه ، وهو
يعلم بأنه سيتنظر حتى يتذره له (بان) بأى شكل كان — فأذا قالت له ابنته :
— وإذا لم يفضل ذلك ؟

أجابها :

— سبقى كما نحن . مهما كلفنى هذا من الغناء !

فتقول له الفتاة باكية :

— ولكن . . اندريه يا أبتاه !

فيثور وتبهما بأنها تفضل مصلحتها على كرامته . ولكنها تشير الى أن
والدها قد اخطأ بتهامه (بان) بأن له علاقة بأشخاص لهم سمعة سيئة

وعندئذ يرفع دوما يديه إلى الهواء ويصيح :

— اذن فأنا المخطئ !

فتفادى سيلفيت ثورته وتسرع بالخروج

فأذا خلت جان الى زوجها فهى تذكر انه كان واجباً عليه أن يكون هو الذى
يتبع (بان) الى الخارج ويستبقيه وهى ترى أن هذا التفور يستحيل ان يسمر
لخير سيلفيت واندريه . . وهو لا يقرها على استحالة ذلك . ولكنه يذكر ان
المشكلة هى فى إيجاد مهندس لبناء الملهى وتنفيذ ذلك المشروع . وتقبل جان وهى
تذكره بصداقة (بان) لها . تلك الصداقة التى دامت عشرين عاماً وتقول له .
— انك فى الواقع تحبه ياهزرى . اتناحبه وسنحبه دائماً — فيجيبها :

— لست أدري —

ثم تقول له بعد تفكير :

— وعندما أذكر أنه هو الذى كان السبب فى مرقى لك

ولكن دوما يتفادى ذلك الموقف للمؤثر ويخرج بسد أن يقول فى

غضب :

— على أى حال . اتى الآن اكرهه !

وتعود سيلفيت إلى والدتها وتخبرها بأنها وعدت أندريه بأن تتحدث إليه

تليفونياً وهى تريد الوقف بذلك الوعد ! فتسألها جان :

— وإن أجابك والده ؟

— لا أقول له شيئاً . . . أضع الساعة ثانية !

ثم تطلب رقم التليفون فى بيت (بان) !

☆☆☆

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى مكتب جيريل بان المهندس وهو منهمك

فى عمله وقد أخذت زوجته اليزابيث Elisabeth تتحدث إليه فتخبره بأنها تود

أن تمر على جان صديقها قبل أن تذهب لرؤية والبتها المريضة ولكنه يعارض

فى ذلك . وأنت تحس من خلال ذلك الحديث بمبلغ تأثير تلك الزوجة على

أعصاب زوجها وتصرفاته . فتعلم بأنها هى التى ظلت تعرضه طول الطريق قبل

ذهابها الى بيت دوما فى تلك الليلة التى كان مدعوأ إليها النائب بوردان على أن

ينأى لكرامته وألا يقبل أن يكون مطية لصديقه فى تحقيق أغراضه حتى ملأت

صدره بالشكوك وأفقدته الثقة فى سلامة نية ذلك الصديق . ولكنها الآن

تلومه على الطريقة التى تصرف بها فى تلك الليلة فما كان واجياً عليه أن يتعرض

لعلاقات دوما باللاس ! وهى تذكره بأنها طالما تأملت وأحست بكرامتها تجرح

وتذل من علاقته بآل دوما . ومبلغ استكاته وخضوعه أمامهم ولكنها كانت

ترى أن الطريقة التي يبرهن بها على شخصيته هي أن يصد إلى مقاطعة النائب
بوردان وإلى رفع صوته عليه . والترنئة أكثر منه ! وهي تعبر عن ذلك بقولها :
— كان يجب أن تحدث هنرى عن أعمالك ومشروعاتك الصحيح منها
والوهى تلك المشروعات التي لا يفقه هو منها شيئاً

وتستمر على هذه النغمة فتذكر أنه كان واجباً أن يخرج بمجرد خروج
بوردان ولكن بحيث لا يتعرض إلى القضايا الفاضحة التي ورد اسمه فيها ولا إلى
روح المعطف التي أبدلها دوماً نحوه !

فاذا قال لها (بان) :

— ولستى فعلت ذلك

أجابته :

— أجل ولستى في كثير من التوحش يا هنرى وقد نجم عن ذلك نفور
مستحكم — كان يمكنك أن تقول كل شيء في خمس دقائق وبلهجة حازمة مترنة كما
لو كنت تمزح . وبحيث لا تترك شيئاً لا يروقك بدون أن تعرض له . آه ! ان
هنرى يعرف جيداً كيف يفعل ذلك !

ثم تطور المناقشة بين ذينك الزوجين فاذا باليزابيث تلومه على أن ذلك
الغور قد ضيع عليه فرصة الاشتغال في مشروع الملهى ثم تؤكد له بأنه هو
الذى سوف يبدأ بالصالح مع دوما ، ونكر (بان) ذلك فتصر هي على أنه هو
الذى سوف يبدأ

وقبل أن تدريه ويحلو إلى أبيه فعرف أن الشاب قد اتقى محيطيته سليمت ويأن
العلاقات بينهما لم يؤثر فيها هور الوالدين . وبسر دبانة لذلك كل السرور ويسأله
عما إذا كان قد رأى والدها أو والتهما فيجب بأنه لم ير أحداً منهما ! ثم يسأله
عن رأى سليمت فيما حدث فيجيبه بأنها قد حاجته في كثير من الرقة والحنان

وإنها لاحظت بأن والدها عند ما استدعى النائب كان يعرف ما يفعله . ولكن عمها « بان » عندما نار غضبه لم يكن يعرف ما يقول ؟ ويعترف « بان » لابنه بأنه قد أخطأ وبأنه لم يرد أن يبدى هذا الاعتراف لزوجته الزايدة خشية أن ترى في الاعتراف ضعفاً ولسكنه يرى حقاً بأنه في تلك الليلة قد فقد توازنه وروده العليى ثم يطلب إلى ابنه أمرن أولهما ألا يقدم على الزواج بسيلفت إلا بعد أن يكون قد اتخذ لنفسه عملاً خاصاً مستقلاً عن والده فيقبل أندريه ذلك واما الامر الثانى فهو أنه إذا تزوج فلا يجب أن يقبل « الدوطة » التى تهبها له عروسه من مال أبيها . ولكن أندريه يرفض ذلك ولا يرى داعياً له . بل إنه يرى أن امتناعه عن قبول تلك « الدوطة » معناه انه ضعيف الثقة فى نفسه

ويدق جرس التليفون وإذا بالتسكلم جان زوجة دوما وهى تخطر « بان » بلثا قائدة وبلوم بان نفسه على أنه عارض زوجته فيما كانت قد فكرت فيه من الانحاب لرؤية جان . وهو يظن بان دوما قد أرسل زوجته لترى هل كان رفضه العمل فى مشروع الملهى نهائياً أم لا . وتغريه بالقبول ، ويطلب إلى ابنه أن يتركه وحيداً مع جان

وتقبل جان وسرعان ما تفهم السر الحقيقى فى كل تلك الثورة التى ثارها دوما والتى أنتجت ذلك الثفور . فهى تخبره أنها أثارث غيرة زوجها من صديقه بان . إذ حدثته كثيراً عن نجاحه فى مهته . ولحت له أنه لا مهنة له يفخر ويزهو بها كما لصديقه . فلما جاء بان ومس تلك النقطة تحركت غيرة الزوج لان الموضوع قد طرح أمام زوجته وهى تذكر لبان أن زوجها يحسده على شهرته وأنه إذا كان متكبراً مزهواً فزوجها لا يقل عنه فى ذلك

وهى تنبه الى ان اكثاره من الكلام عن احتقار المال يدل على مبلغ الاهمية التى يعطيها له ؟ وانه من ذلك الصنف الذى إذا دعى الى وليمة فلا يمكن

أن ينام ليلة إلا بعد أن يدعو من دعاه الى وليمة مثلها وان يقدم له فيها نفس
المآكل وعدد الصحاف ١١

ويقدم لها (بان) عبة من السجائر فترفض وتطلب اليه ان يحضر بنفسه
الى بيتها ولكنه يرفض الفهاب قبل أن يدعو زوجها ...

ثم تخبره باسم المهندس الذى فكر زوجها فى ان يهدا اليه ببناء الملهى ولكنه
يبحث كيف فكر دوما فى ذلك المهندس مع ان سمته ملوثة ونسأله عما إذا
كان يوافق على ان تنقل الى زوجها رأيه فى ذلك المهندس فيقبل

وتخرج جان بعد أن تأخذ معها عبة السجائر وبعد أن يتفقا الا يجبر
(بان) أحداً بما دار بينهما وتقبل الزاييت بعد خروجها فإذا بها قادمة من عند
جان اذ ذهبت لزيارتها فلم تجدها . وينتهي الفصل بهذا الحوار :

الزاييت — انها زيارة لم تكلفنى شيئاً . ولقد تصرفت بتلك الزيارة تصرفاً
فى صالحنا وبمديها ليس لنا الا أن نتنظر .. أليس كذلك ؟

بان (فى تهديد بعد ان يرفع رأسه وتأمل الزاييت لحظة) — تماماً !

٢٠٠

فإذا كان الفصل الثالث فنحن حيب كما فى الفصل السابق وقد أخذ اندريه
يتحدث فى التليفون الى خطيبته سيلفيت فإذا دخلت والدته غير مجرى الحديث
نجاهة كما لو كان المتحدث معه قد أخطأ وطلب رقياً آخر !

وتطلب الزاييت رقم منزل دوما وتحدث مع جان فتفهم بان دوما سيحضر
وانه يأمل ان ينتظره بان

ويقبل بان فتخبره الزاييت بقدوم دوما فيدهن وتسلم الزوجة على انه
لم يبدأ هو بالخطوة الاولى نحو الصلح .. فيقول لها :

— ولكنى لو كنت لم أخط تلك الخطوة فذلك خوفاً منك !

ثم يقبل دوما بعد قليل وبدأ الحديث بين الصديقين في شيء من الفتنور ولا يلبث دوما أن يتعرض لموضوع ذلك المهندس الذي أبدى فيه (بان) رأياً ويتطرق إلى ان امتناع صديقه عن مباشرة ذلك المشروع سيكون سبباً في تحكّم ذلك المهندس الآخر وغيره وفي تشديدهم بالنجاح حيث خاب (بان) . . فلا يمكن أن يصدق الناس بان نفوراً بسيطاً نشب بين الصديقين يمكن ان تسب عنه امتناع (بان) عن العمل مع صديقه القديم . ويشير دوما الى النائب بوردان ويدكر أنه بحكم عمله مضطر إلى معرفة الناس من طبقات مختلفة

ويستبد (بان) أن يكون صديقه قد تأثر لما فرط منه عن افتقاره إلى مهنة يعرف بها ويؤكد له أنه لا يزال أشد ما يكون اعجاباً به لنشاطه وقدرته السجية على أن ينقذ من المشاريع ما يخلق به الحياة في قلب الصحراء ! ويتفقان على ان نفس الالفاظ التي تبادلها ما كانت لتؤدي ذلك المعنى لو أن زوجتيهما كانتا متيتين ! فكل منهما لا يريد ان يظهر بمظهر المنهزم أمام زوجته !

ويقبل بان أن يباشر معزوع الملهى . ويتمائق الصديقان . ويبدى دوما استمداه لأن يظهر أمام الزايث بانه هو المخطيء أولاً فذلك يسرها ! ويدخل الشابان أندريه وسيلفيت . ثم الزوجتان جان واليزايث . ويذكر دوما لاليزايث انه توسل الى زوجها لكي يحتفر له هفوته ! وأنه استعطفه أن يسدل عن رفضه بناء الملهى فقبل توسله واستطافه !

ويدعوم (بان) إلى البقاء لتناول الطعام معه . . فيبدى دوما رأياً يقضى باستدعاء طاهيته لكي تساعد في الطهى عند صديقه ولكن الزايث تعارض في ذلك بشدة ! فيسرع (بان) وعرض فكرة دعوتهم الى احد المطاعم العامة ولكن دوما يحيب على ذلك بانه مادام الأمر سيؤول الى أحد المطاعم فهو

الذى يدعوم ! وعارض (بان) ويشير الى صديقه بانه لايجب أن يبدأ باظهار
تصلبه وسيطرته هكذا فتنهى القصة بهذا الحوار :

دوما - لن أقول شيئاً آخر .. أنت الذى دعوتنا .. تحدث بالهاتفون الى
البيت وقل لهم بالآلا ينتظرونا

فيذهب بان إلى الهاتفون ويطلب رقم بيت صديقه دوما :

ثم يهبط السار :

الحنان

عن الكاتب الفرنسي هنري باتاي

كان واجباً على ولا شك عندما فكرت في وضع هذا الكتاب أن أقدم لك فيه شيئاً لهنري باتاي Henry Bataille قائماً ذكر المسرح الفرنسي . أو المسرح الاوروبى قلم باتاي يجب أن يقفز الى المقدمة . وان يترج مكانه في الصدر ! فهو من الكتاب الذين قصروا جهودهم الادبية على المسرح فغذوه بعدد كبير من القصص تنسم كلها تقريباً بطابع خاص يميزها . وذلك الطابع الذى اتخذ باتاي دون غيره من مؤلفي القصة المسرحية في اوائل القرن العشرين هو ميله القوي الى دراسة الفرائز البشرية والاحساسات الانسانية الدقيقة وتحليلها تحليلًا فيه كثير من الدقة وكثير من العمق . فهو لا يبنى بالحداثة المسرحية . ولا يمهّد لها تمهيداً متكلفاً يظهر فيه أثر « الصنعة » طهوراً قد يشبه البعض سخافة كما كان يفعل الكثيرون ممن ظهر باتاي بينهم بل إنه يمهّد الشخصيات الرئيسية في قصصه بالدراسة والتحليل على ضوء فكرة سامية . أو بمعنى آخر هو يعنى بالفس البشرية كما يفهمها وكما يريدّها أكثر من عنايته بأى شيء آخر

غير أنه يختلف في ذلك عن غيره من الكتاب الحديثين الذين يطبقون علم النفس الحديث على قصصهم تطبيقاً حرفياً بل ويطبقون آراء « فرويد » . إذات . كما يفعل (لونورمان) الذى لحصت لك الكثير من قصصه . فباتاي

لا يطبق (نظرية) من نظريات العلم الحديث كما يفضل هذا الأخير وأما يتناول شخصيات قصصه فيجعلها تعيش في الجو الذي يختاره لها ويتقن في رسمها رسماً تتوفر فيه كل التفاصيل التي يمكن أن تطوى عليها روح تلك الشخصيات ونفسها

والقصة التي ألحها لك اليوم (الحنان) La Tendresse تعبر عن فن باتاى أصدق تمير وأنا لا أريد أن أطيل في إعطائك فكرة عنها قبل تلخيصها. ولكن يمكن أن أقول لك ان ظهور (الحنان) قد أحدث ضجة عاصفة في المسرح الفرنسى. إذ تمرض لها النقاد كما تمرض لها علماء الاخلاق وعلماء النفس. فلقد اقدم مؤلفها على بحث موضوع غاية في الخطورة يتلخص في إمكان استثناء الانسان بالحنان عن الحب. أى أنه ما دام « الحب » قد انقضى وذهب زمنه بحلول الشيخوخة فلا مانع من أن يقع الرجل - كما لا مانع من أن تقع المرأة - بالحنان. وأنا اقتصر على رأى الناقد (جورج بوردون) إذ قال في مجلة « كوميديا » عن هذه القصة ما يأتى :

« انه موضوع جميل جدير بعقوبة رائمة. ذلك الموضوع الذى عذبه هنرى باتاى والذي لم يكن لاي شخص سواء ان يجرؤ على معالجته. فهو يمس اصول الاحساسات الدقيقة نفسها. وأنه لما ينير الاعجاب ان يستطيع الخروج من ذلك بموضوع يظهر على المسرح في وضوح وحيوية »

وذكر المؤلف والناقد « الفريد سافوار » ان قصة « الحنان » ربما كانت أروع القصص المؤثرة التي يخفض عنها المسرح الحديث بأجمعه. وهي مد مع « ماما كوليرى » و « النشودة الزفاف » احسن ما كتب مؤلفها باتاى

ونقد مثلت « الحنان » في فبراير سنة ١٩٢١ على مسرح الفودفيل بباريس وظلت تمثل مدة طويلة. حتى انتقلت بها احدى الفرق الفرنسية الى مسرح

الكورسال بالقاهرة منذ ثلاثة اعوام . وحتى اقتبستها شركات السينما وعرضتها
دار « التروبول » عندنا مرتين في شهر واحد

☆☆☆

بارناك Barnac هو رجل ينهر الستين من عمره اصحت له شهرة
واسعة في التأليف المسرحي حتى تهاقت المسارح على شراء قصصه
واخراجها وتهاقت الممثلون على التماس المجد عن طريق الاشتراك في ذلك
الاخراج وهو يعيش في منزله مع امرأة تدعى مارت Marthe في الثلاثين
من عمرها . قاتلة جميلة . كانت ممثلة ناشئة فأحبها بارناك وخصها باخراج ادوار
البطولة في قصصه . وأنت تحس منذ بداية القصة بأن ذنبك المخصين بعينان
عيشة كلها طافعة . وود . وحنان . فارت تمنى بصديقها الشيخ الناية كلها
ويكفي ان تلقى نظرة على هذا الحديث الذي يدور بينهما تؤمن بما أقوله لك
فهي تقدم له قداماً من الشاي ولكنه يعمده عنه ويقرب منها ثم يجثو على
ركبتيه ويقول :

بارناك — تعلمين اني حقاً أحس نحوك بحنان هائل يا مارت . . هائل ؟
هذا حق

مارت — يا حبيبي العزيز . . . اما متفاهمان . . (يتعانقان) هل سنخرج
هذا المساء ؟ سوف نذهب الى الكارنو ده بارى ؟

— آه . أتصرين على ذلك كثيراً ؟

— أبداً ... اذن فعائني لاناول العشاء معك

— أنت طريفة

— سأقدم لك الحساء لتشره . وبهذه المناسبة . هل اشغلت في القصة
المسرحية التي تكتبها ؟

— كنت أنتظرك

وقبل بسد ذلك طفلان هما ولدا هذه المرأة التي تعيش مع بارناك . ويداعبهما
الاخير ويلعب معهم وكأنيهما ولداه لا ولدا صديقه . ثم يقبل الخادم بنوي بأن
هناك رجلين يريدان مقابلة سيده . فتخرج مارت لترتدى ثيلها ثم يقبل
الرجلان فإذا بهما جينيوس Genius ولو جاردية Legardier وهما اثنان من
للمؤلفين المسرحيين ومن أعضاء الجماعة التي تضم أولئك المؤلفين في فرنسا . وهما
يحدثان الى بارناك عن مواضيع مختلفة خاصة بتلك الجماعة وبغيرها ، ثم يتطرق
جينيوس إلى ماهو أهم من ذلك . يتطرق الى تمييه بارناك الى سلوك صديقه
مارت . فهو يذكر له ان لها عسقا ، وان كرامته تأتي أن يدع صديقه عرضة
لللوث من جراء تلك الحيانة التي تقدم عليها امرأة تظهر له الحب وتميش معه
تحت سقف واحد . وهو يثبت لبارناك ذلك فيخبره بأنه رأى صديقه وخادمتها
في مكان معين . وهو غير المكان الذي أخبرته به . ويدلل على صدق قوله بأن
يصف الثوب الذي كانت ترتديه الخادمة . ويذعر بارناك ويتساءل عما اذا كان
ذلك العشيق واحداً أو عديدين . ثم يطلب أن يعرف اسمه ويلج في ذلك
إلحاحاً شديداً ويقول له جينيوس :

— حقاً انه مما يثير العجب انكم أيها الرجال العظيمة قلما تحدون المرأة
الحديرة بكم والتي تستحقونها ..! انكم تسمحون لقوم أقل منكم بأن يشارككم
الحياة والصدقة !

وتأثر بارناك لذلك فيقول :

— ربما كنت محقاً .. أجل .. ولكن اذن ساعدوني يا أصدقائي .

ويعود ويلج في وجوب معرفة اسم ذلك الصيق الذي يراجه في حب
مارت . أو على الأقل معرفة الحروف الاولى من اسمه ويقدم دفتر الذي أمامه

الى جينيوس ليكتب له ذلك الاسم فيفضل . ولكن سرعان ما يتغير بارناك فجأة
فيبد أن كان يتوسل الى زميله أن يعطيه ذلك الاسم يعود الى الاطراق والتأمل
ويشخص من خلال النافذة الى منظر المدينة المترامية الاطراف . . ومنظر السين
الذى ينساب وسطها . فيذكر الايام التى قضاها مع مارت . . ويشهد به التأثير .
وتثور نفسه فيذكر لجينيوس تفاصيل تلك الحياة الحنية التى وفرتها له صديقه
ثم يصيح به :

— انها تلك السعادة التى أضعتها على بكلمة واحدة . انم تريد أن أضف
عك ؟ أبداً . . أبداً . . اخرج على ألا أراك مرة أخرى . . لقد اتى عليك
ويدهن جينيوس لذلك التغير المفاجيء الذى طرأ على زميله الكبير .
ولكنه لا يتمالك نفسه فيصارحه بأنه لو كان يعلم أن هذا سوف يكون
جزاءه لما أدلى له بشيء .

ولا يكاد يخرج ويحلو بارناك بنفسه حتى يستدعى العاملة المختصة باحتلال
ما يملكه عليها ، فيعطيا ساعاً من المال لتستعين به على معالجة أمها المريضة .
ثم يكلفها أن تجلس وراء الستار فى الغرفة المجاورة وأن تنصب الى
كل ماسوف يدور بين مارت وبين زوارها فتدونه مختزلاً على ان
تكون هناك زميلة لها ترد هذا الكلام المختزل إلى أصله الذى يقال به . فتقبل
الفتاة . ثم يكلفها أن ترسل كلمة تستدعى بها ذلك الصديق الذى أخبره جينيوس
بالحروف الاولى من اسمه وهو رجل يدعى كارلوس جارى Carlos Jarry
كان قد اشترك مع بارناك فى كتابة قصة مسرحية فيما مضى . ثم يندق جرس
التليفون ويتحدث إلى رجل آخر يدعى جاليني Jalligny باعتبار ان الحروف
الاولى من اسمه تتفق هي الاخرى مع ما أخبره به جينيوس فيستدعيه بمحبة
التحدث اليه فى موضوع شراء اثاث تاريخية معروضة للبيع . ولا يكاد ينهي
من عمل الترتيب اللازم لكي تدون الفتاة العاملة كل ما يدور بين ذينك الشخصين

وبين مارت . حتى تدخل الأخيرة وتداعب صديقها الكبير . وتقول له انها
تشعر بسعادة عجيبة عند ما تجلس عند قدميه وتصب اليه وهو يلى قصصه .
ولا تلبث أن تجلس فعلا على الارض وتسد رأسها الى ركبتي بارناك وتنفى أغنية
تقول في مطلعها :

« الى اللقاء أيها الحبيب العزيز »

ويحلم بارناك وهو ينعمت الى تلك الاغنية بالاعوام الخمسة التي قضها مع
مارت ويكل تفاصيلها . ثم يطلب اليه أن يلى قصته فيخبرها بأنه يفضل أن يكتب
مشهداً من الفصل الثالث أولاً . ويذكرها أن بطل القصة وهو مؤلف مسرحى
يكون حزيناً في ذلك المشهد . فهو يعلم أن صديقه تخونه وهي تظن أنه يحبل ذلك
ثم يطلب بارناك الى الغاة العاملة أن تكتب ما يقوله بطل القصة لصديقه في
ذلك المشهد فإذا به ما يأتى :

« دعنى أداعب بنفس المرح الذى تعودته دائماً شمورك السوداء وأهدابك
المقفلة .. دعنى أسمع اليوم أيضاً ضحكك العجيبة الجميلة التى تنفذ الى أعماق
نفسى والتى يحيل إلى أنها تقول : أصبحت صباحاً .. انه أنا .. أنا الصغيرة التى
لن تسيء اليك أبداً .. لن تسيء اليك .. أبداً .. أنا التى تقبل كل يوم فى رقة
ودعة .. فى الساعة التى ... »

ويستمر فى الاملاء هكذا بينما يده تعبت برأس مارت وقد أعرض عينيه
واضطرب صوته

☆☆☆

فإذا كان الفصل الثانى محس حيث كنا وقد أقبل كارلوس جارى الذى
أرسل بارناك يستدعيه بحجة الاتفاق معه على ما يعرضه احد المسارح من
اختصار بعض مآخذ فى القصة التى سبق أن اشتركا فى كتابتها معاً واخراجها.

وأنا لا أريد أن أطيل في تلخيص ذلك الموقف بين ذينك الشخصين فيكفى أن يعلم القارئ أن مارت لما علاقة بذلك الرجل . وأنت تحس بذلك من خلال حديثهما . ولكنها تصرح له كما تصرح لجالتي عند قدومه بعد خروج جاري بأنها تحب بارناك . وبأنها إذا كانت قد زلت قدمها مع غيره فهي أشد ماتكون ألاما وهي لذلك ترفض أن تحون بارناك في الصفقة التي يريد جالتي أن يرضها عليه من أجل بيع تلك الاثاثات . ترفض أن تفره على قبول الثمن الذي يرضه جالتي في مقابل أن يعطيها الاخير مكافأة على ذلك . وتبدي متهى احتقارها لذلك المرض النذل !

وقبل بعد ذينك الشخصين شاب آخر يدعى سيرجيل Sergyl من صغار المؤلفين الناشئين يحمل دوراً من الادوار التي سوف تخرجها مارت قريباً لحساب احد المسارح الكبرى . وأنت تتبين توأ أن مارت تميل الى ذلك الشاب وانه كانت بينهما أمور فيما مضى . ولكنها لا تكاد تسمه يشير بسوء الى بارناك حتى تور وتقول :

— لا تطلق بكلمة عن ذلك الرجل . والا فسوف لا أراك أبداً في حياتي . هذا هو الشيء المقدس ! فأنت تستطيع أن تقول كل ما تشاء عني وأنا أقبله عن طيب خاطر إذ انك لن تقول عني أكثر مما أظن في نفسي . ولكن افهم إذا كنت لم تفهم جيداً حتى الآن ، أن جبي له هو كل فخري وزهوى هو اجلالي الممي . المطلق . هو روحي ولمي أيضاً ..

وبينما هي مع سيرجيل اذ يدق التلفون وإذا بالتكلم هو بارناك وتدهش مارت لذلك فقد أخبرها أنه مسافر لحضور حفلة إزاحة الستار عن تمثال في مدينة أخرى . وهو يفسر لها قدومه قبل الموعد بان ذلك التمثال المحتفل به قد وقع على الارض ! ونحبرها بأنه سيحضر سريماً

ويخرج سيرجيل ثم يقبل بارنك . ولا يلبث أن يتحدث إليها عن القصة المسرحية التي يهتم بكتابتها . ويقترح عليها أن يقوما هما الاثنان بعمل (التنسيق المسرحي) اللازم لها . ويعطيها فعلا دور البطلة صديقة المؤلف التي تخونه مع غيره . ولا تكاد مارت تقرأ الكلمات المدونة أمامها حتى تضطرب فهي نفس الكلمات التي كانت تقولها منذ برهة لجاري وجالني وسيرجيل ، ويلاحظ بارنك ذلك الاضطراب فيسألها عما بها فتجيبه وهي تكلف ابتسامة شاحبة :

— لا شيء . لا شيء .

ولكنها لاتستطيع أن تتمالك نفسها فيشتد بها الاضطراب ويقترب منها بارنك ويشرح لها ما استصى عليها . يشرح لها كيف أن المؤلف المخبوع قد نبيه فاستخدم عاملتين إحداهما تختزل ما يدور بين صديقه وبين عشاقها والآخرى ترد ذلك الكلام المختزل حالا إلى أصله ، ويذكر لها كيف أن المؤلف قد صعد إلى حيث تكمن هاتان العاملتان فأخذ منهما تلك الاوراق المحتوية على مادار في غيخته وتحت سقف بيته . وأنه سمع أصواتاً من بعيد تدل على حصول مناقشة حادة بين صديقه وعشيقتها

وأنه اضطر للترول قبل أن تكمل المناقشة وقبل أن تثبتا العاملتان . وأنه لم يحصل على كل ما دار في الوقت الاخير لان العاملة الاخرى لم تزد الى أصله يمد . وأنه خرج لينبها في التافون بأنه قادم ولبدع للمسيق العرصة في مفادرة البيت . وأنه الآن معها يتسامل عما اذا كان سيثار لنفسه . ثم يقترب بارنك منها ويقول :

— أفهمت الآن كل الرعب المزعج الذي يحتوي عليه المشهد . قولي ؟
قولي ؟ أيتها الفاجرة ! أيتها الحشرة الوضيعة أجيبي أجيبي اذن . هه . هه .
أيتها السكبة !

ويمسكها من عنقها ثم يلقي بها على المائدة ولا يتركها حتى تصرخ . ويطلب إليها بارئك أن تعترف بكل شيء . ويلج في ذلك فتدكر له أنها تحبه حباً لم تشعر به قط مدى حياتها كلها . وأنها أشد ما تكون المأ وحسرة لأنه سوف يشقى بسببها . وهي تعترف له بأنها شيطان ! وأن قدمها زلت وتقلب صوت وغباتها الوضمة على صوت قلبها فغفاته . وهي تستدر عن ذلك بأنه عرفها وهي لا تزال شابة تغلى العاطفة في عروقها . وتكرر القول بأنها شيطان وبأنه محق كل الحق في نبذها وطردها . ويشور بارئك في دفعها الى الباب في قسوة وعنف ونحيبه هي قائلة في شعور يائس مبتئس :

— يا عزيزي الكبير .. يا حبيبي ! . اني أعبدك . أعبدك . أعبدك . ولا تعلم الى أي حد !

ثم تتوسل اليه أن يبقها لتظهر له أنها قادرة على أن تجعله ينسى كل تلك الاشياء الفظيمة . وأنه لن يجد في سلوكها بعد ذلك ما يلومها عليه وأنها سوف تثبت له بأن الحب يمكن ان يولد مرة اخرى ولسكنه لا بعباً بكل ذلك ويقول لها :

— الحب ؟ لقد اجهزت عليه تماماً ! — وهو لا يعترف بما ذهبت اليه من انه لم تعط قلبها عند مازلت وخاتته . فلقد سمعت بتلك الحياة الملوثة الزوجية ذكرى الساعات الماضية التي عاشها معاً . وهو يسهب في ذكر تلك الساعات الحنيئة الوداعة ويقول :

— الحب ! انه ليس مقصوراً على المواطن . وخلجات القلب .. كلا .. آه ! انه اسط من ذلك ! انه يمثل في أن يكون المحبان معاً في عربة متلا وان يقول احدهما للآخر : « ارفع الزجاج لك يصيبك البرد يا عزيزي » هو هكذا هذا هو الحب الذي لا يولد من جديد مرة اخرى .. والذي لا يمكن ان يولد مرة اخرى ..

ويتأثر بارنالك فيتهج صوته ويكي . وتجنو مارت تحت قدميه وهي تقول :

— عفواً . . عفواً . . آه ! صوتك المسكين .. هذا فظيع . . انى اعبدك .

سأسيك هذا الكابوس الشرير يا حبيبي العزيز !

ولكنه يأبى ويرفض ذلك الحنان الذى تعرضه عليه . ويدخل الخادم إذ

ذلك يحمل رسالة فيسرع بارنالك بفضها . ويغبرها بحيلة تلك الرسالة فقد كتبها

هو بنفسه وقال فيها :

« تشجع . . لا تستمع الى هذه المرأة فلم تكن حياتها ملك الا اكنوبة

كبيرة !

انك تعطى الجواهر الى الخنازير ! أنقذ نفسك والا قانت لست جديراً

بأن تكون رجلاً »

وكان قد اعطى تلك الرسالة الى زميله جينيوس وطلب اليه ان يحضر في

الوقت المناسب وان يرسل اليه تلك الرسالة ، اذ هو يعلم من نفسه مبلغ

ضعفها امام مارت . ولا يكاد يحجرها بذلك حتى قول فى قوة وعف :

— انى أطردك . . انى لست وحدى معك الآن ، لقد نحوب

ويذهب إلى الباب فيفتح ويستدعى جينيوس ولو جاريده . ولا تكاد

زاهما مارت حتى تنتم جينيوس وتهمه بانه أراد ان يمازلهما فرصت ولذلك

أوقع بها ثم تأنفت إلى بارنالك وتحنى له أن يعيش بعدها سعيداً . وتقول :

— هاهي المرأة الشريرة تعادى بيتك . تذكر أنها كانت سيئة الخلق ولكن

تذكر قايلاً أيضاً أنها أحبتك فى خسان هائل . اليس كذلك ؟ انى خارجة

(فى رأس مطيح مادة يديها) الوداع . يا عبرى !

بارنالك (ممسكاً بذراعى صديقه) — يا أصدقائى كان محب ان اكون طيباً

لا تقي رجل شقي أنألم كثيراً.. كثيراً.. كثيراً (ثم تسيل دمعتان كبيرتان
على خديه)

☆☆☆

فاذا كان الفصل الأخير فتحن في غرفة بارنك الخاصة ، ولا يكاد يتقدم
الفصل قليلا حتى تفهم أن الرجل قد عانى مدى السامين اللذين قضاهما بعد
أن انفصلت عنه مارت الكثير من الآلام والاحزان ، وأنه لم يمد يكسب
شيئاً للسراح كما كان يفعل قبلا عندما كانت مارت تخرج له قصصه . وأنه
قد حاول مراراً الاستعاضة عنها بغيرها من النساء والفتيات فلم يوفق قط . كما
تلم أن ولدى مارت الصغيرين اللذين رأيتاهما في الفصل الاول قد تعودا أن
يحضرا إلى بيت بارنك في عيد الميلاد من كل عام بعد انفصال أمهما عنه
واتهما قد حضرا اليوم قبل اليد ليقدا له تحياتهما الساذجة الطاهرة .
وهو سعيد غاية السعادة اذ يتلقاهما ويداعبهما ويقلعهما

ويقبل أحدا صدقاء بارنك بمد قليل فتعرف من حديثه معه أن سيرجيل
صديق مارت قد اتهم بسرقة إحدى القصص المعروفة وباعها لاحدى
شركات السينما . وان مؤلف تلك القصة المسروقة قد رفع عليه دعوى أمام
القضاء انضم له فيها جماعة المؤلفين المسرحيين . ولا يكاد بارنك يسمع بذلك
الحبر حتى يتأثر غاية التأثر ويأمر ذلك الصديق بان يتصل بمؤلف القصة وأن
يدفع له ما يريد على حسابه هو شخصياً . ثم يدق التليفون ويستدعى مارت
ولا تكاد تحضر وهي دهشة لذلك الاستدعاء المفاجيء حتى يجبرها بحكاية
سيرجيل وكيف أنه رأى وجوب انقاذه من الفضيحة والخسارة بدفع ما هو
مطالب به . وتقرر مارت أنها لاتعرف شيئاً عن ذلك الموضوع . ويسألها بمد
ذلك عن الباب الذى حدا بها إلى هجر المسرح فتجيب بأنها تعيش عيسة

منزلة عن كل شيء ، ويسمل بارناك اذ ذاك ويذكر لها أنه مزكوم فتذهب
مارت إلى المائدة وتتناول قدحاً من الشاي فتقدمه له وهي تدير وجهها لتخفي
الدموع التي تجول في عينيها وتستر عن ذلك قائلة :

— هذه الحركة ، قد فت بها مرات عديدة . هذه الحركة التي تلخص
في تقديم قدح الشاي لك . . . اذن . . . اليس كذلك ؟

ويضطرب صوتها بعد ذلك ويتهدج . وتحاول أن تستعيد هدومها وتذكر
له أنها الان ليست تلك الانسانة المرححة الضاحكة التي كان يحبها وتحاول أن
تعيد اصوتها هدوء الطيمي . ويلمع لها بارناك عن أصدقائها الذين عرقهم
بعده فتذكر له انها انتقت شخصاً يعرف ماضيها ولا يتأفف كلما حدثته عن
بارناك وعن حياتها معه . انتقت كلباً مطيعاً يمكن طرده في أى وقت ويفهم
بارناك ما ترمى اليه فيطلب اليها ألا تحاول إغراءه ولكنها تستمر وترجوه أنه أن
يبيدها وأن تبقى إلى جانبه لكي يجدد حياة أخرى . وتشتغل اليه طويلا
ولا تكاد تنبئن في عينيها الرغبة في الصفح حتى تصرخ وتماثقه طويلا . وتأثر
بارناك ولكنه يخبرها بأنه قد هرم وبأنه لم يعد يقبل أن تسخر امرأة نفسها
له . حتى ولو كانت أكثر النساء رقة وحنانا . حتى ولو كانت هي ذاتها . !

وهنا يقبل سيرجيل فيميد بارناك أمامه ما سبق أن اكده من استعداد
لدفع ماهو مطالب به . وان يعطيه أرباعاً من قصصه لكي يقبس منها مايشاء .
للسينما . ويلتفت الى مارت فيقول لها انه لم يعد هناك مجال للحب . وبأنه يقع
منها بالحنان . يقع بان تزوره بين آونة وأخرى لكي تضط على يده وتقرئه
التحية . وبأن تبث في ذلك البيت الذي تقيم عليه وحدة الشيخوخة ضحكة من
ضحكاتها المرححة ! وتبكي مارت لدى سماعها ذلك . ويظهر سيرجيل تأثره .
ويخرج بعد أن يشكر لبارناك ذلك العطف الذي أبداه نحوه . وتغلو مارت

الى نارماك فيذكر لها أنه يستمع الى مايمثل على مسارح باريس بواسطة
« التياتروفون » . وانه سيستمع الآن الى قطعة « مابون » على مسرح «الاورا
الكوميك » . ويمسارماك قنميه الى البار لتدعيتها . وتناوله مارت الساعة
« التياتروفون » وتقترب منه وتقبله مرة أخيرة في حان . ثم يطلب اليها أن
تلحق بصديقها فتخرج وهي تني الأعية التي سمعها في الفصل الاول والتي
مطلتها :

« الى اللقاء أيها الحبيب العزيز »

ثم يتعد صوت الماء ويعلق الباب فيدع نارماك الساعة تسقط من يده
ويمسك بمذيل مارت الذي تركه وبعصه وهويكي وينحب

طارل وآنا

عن الطائفة اللغائية ليونارد فرانك

للعرة الاولى ألخص لك شيئاً عن المسرح اللائى ' وكنت أميل مد مددة
فى الواقع الى أن أعطيك فكرة عن ذلك المسرح لولا انى كنت أفضل دائماً
أن يكون هذه العكرة عن المسرح اللائى الحديد ومحقق هذا من الصعوبة
بمكان ، فقد امتعت المسارح الفرنسية والانجليزية بعد الحرب عن إحراج قصص
مترجمة عن الالمانية إلا فيما ندر . وكانت صحها فى ذلك ان الجمهور فى هاتين
الامتين لم يرل متأثراً بالاحقاد التى حلها الحرب العظمى

ولكن هذه الحجة قد سقطت باقدام المسارح الالمانية على إحراج قصص
فرنسية . ولذا عمد الكاتب الفرنسى جان ريتشارد بلوك Jean Richard Block
إلى ترجمه قصة « كارل وآنا » Karl et Anna عن الكاتب اللائى ليونارد
فرانك Leonard Frank . وهى قصة عربية محبت فى الدنيا عجاها مدهساً إاد
ملها ممانون مسرحاً فى وقت واحد ' ومؤلفها كاتب فى الخامسة والاربعين
من عمره كانت قد اصطلهته حكومة الامبراطورية السامه لطرفه فى آراءه
واكمه عاد مال الخطوة عند الحكومة الحالية . ولعد اقدس فكره قصة وكارل
وآنا من قصة سيمية معروفة بسمى « أعية السحن » ولكنه ساق الموضوع
فى قالب حدد نأثر فى كسامه نأثراً واصحا طررته اسكاتب الانطالى درادسو
وسطرياب العالم اللائى مرونو اتى ارسها من علم النفس الحديث وموضوع

القصة كما سيري القارىء غريب غاية الغرابة وقد وفق الكاتب في رأيه توفيقاً
تاماً راضاً . وقد التفتاد في فرنسا مجهوده اذ مثلت قصة «كارل وآنا» للمرة
الاولى في ابريل عام ١٩٢٩ على مسرح «الافينو»

✽ ✽ ✽

نحن في سجن من السجون الروسية القائمة على حدود أوروبا وآسيا في يوليو
عام ١٩١٧ . وقد احتشد فيه عدد هائل من اسرى الحرب الالمانيين الذين وقعوا
في قبضة الجيش الروسى وأخذ اثنان منهم وضاً في غرفة واحدة يتحدثان
فتشعر من حديثهما أتهما بطرقان نفس الموضوع الذى ظلا يطرقانه مدى
ثلاثة أعوام متوالية قضياها في ذلك السجن الريب

أما الاثنان فهما Karl وريشار Richard . وأما الموضوع الذى يدور حوله
حديثهما فهو ذكر آنا Anna زوجة ريشار التى تركها في برلين عندما اعلنت
الحرب العظمى والتي كان يحبها حباً عظيماً ولا يزال يذكرها على الدوام . ولاتلبث
أن تعلم بعد ان يستمع الى الحديث الذى يدور بين ذينك السجينين ان كارل قد
عرف كل شيء عن زوجة زميله ريشار لفرط ما حدثه هذا الاخير عنها . بل
انه في تلك الوحدة البعيدة وذلك السكون الريب الذى يحيط به في سجنه قد
تخيل صورة معينة عن «آنا» ، عن شكلها ، ووجهها ، وثيابها ، ومسكنها ، بل
انه قد أحس بما هو أكثر من ذلك نحوها ، احس بانه يحبها ويتعلق بها ، وبهم
بها هياماً ، ويغار عليها حتى من زوجها ! وأن هذا الحب الذى استولى عليه ونشأ
في قلبه المعبذب من هول السجن وألم النفي وقسوة الحرب ووحشية السجانين
هذا الحب العجيب قد اتاح له ان يتصل بها ، بآنا على بعد ما بينهما ، ومكنه من
أن يطلع على الكثير مما فلتت في ماضيها وماتفعله في حاضرها . وهذا الاتصال
الروحى الذى يقوم على الحب لم يخطيء في هداية كارل الى الحقيقة عن حياة

« آنا » . فهو اذ يتحدث الى زميله وزوجها ريشار عنها أما يصيب القول رغم انه لم يرها قط ، ولم يعلم عنها الا التفاصيل الوافية المسببة التي ظلل ريشار يسردها عليه مدى ثلاثة أعوام في السجن . بل ان هذا الاتصال الروحي قد جعله يضيف الى ما ذكر ريشار اشيءة صحيحة عن « آنا » وعن الوسط الذي تعيش فيه ، ورغم انه لم يذهب الى برلين قط قبل ذلك . فهو يصف له الطرق المحيطة بمنزلها وصفاً دقيقاً ويصف له الصوت الذي تحدثه انبوبة الغاز في منزلها !

ويحدث بعد ذلك ان يوفق كارل الى الهروب من ذلك السجن اذ يحكم عليه بالاعدام فلا ينفذ السجانون الروسيون ذلك الحكم الا تنفيذاً صورياً نظراً لما كان يعطيه لهم من الرشوة في أثناء سجنه . ويذهب كارل بمجرد وصوله ألمانيا الى المنزل الذي تقعه (آنا) ويدخل ذلك المنزل وكأنه يعرف عنه كل شيء . ويحيي (آنا) تحية الزوج الذي عاد الى زوجته المحبوبة بعد غيبة طويلة ولا تكاد تراه (آنا) حتى تندش من لهجة التي يخاطبها بها وكأنه زوجها وتصبح به :

— أنت لست زوجي !

ولكنه يخبرها أنها زوجته وأنه ظل يذكرها أربعة أعوام في سجنه الرهيب القائم على حدود أوروبا واسبا ، كان يراها في أثنائها كل يوم ، ويحدثها عن بعد ، ويتلاقى معها . وهو يؤكد لها أنها لا بد كانت تحس هي الاخرى بذلك ، ويذكر لها واقعة معينة يوم التقى بها في مكان معين ! وتشتد الدهشة بآنا فتقول له ان زوجها قد توفي منذ أربعة أعوام ولعمرت الصحف خبر موته إذ ذاك ، فقد ذكرت أنه استشهد في ميدان الشرف مع غيره من جنود الوطن . فيجيبه كارل بأنه قد يحدث أحياناً ان تستند الزوجة ان زوجها مات وقد تنقضي اربعة أعوام على ذلك ويعود الزوج بعد ذلك فيفتح أنه كان حياً يرزق . ثم

يقرب منها ويقول لها في لحظة صادرة من أعماق قلبه وقد بان فيها متهمى الحب والاخلاص والوفاء

— اتى خلال تلك الاعوام الاربعة لم أر في هذا العالم إلا أنت . . أنت يا (آنا) . . أنت زوجتى

وتحس (آنا) إذ ذاك بشعور قوى ، تحس بان كارل ليس شخصاً غريباً . فكأنها تعرفه منذ أمد طويل . وهي تصارحه بذلك ولسكنها تسأله ، ماذا يحدث لو أن زوجها عاد ولم يكن قد مات حقاً مادام هو يتعرف بإمكان ذلك . ولكنه لا يعبأ بهذا الاعتراض ويحييها بأنه لها وأنها له ، وأنهما الاثنان يتبادلان الشعور بذلك فلا يهم بمدنذ أن يحضر شخص آخر ، فقد يحضر هذا الشخص وقد لا يحضر . ثم يقول لها وقد لاحظ الرعب الذى استولى عليها :
— ان كلامنا للآخر . إنه القدر يا آنا . انه القدر !

وهي تعرف بذلك ولكنها تذكر له كيف أحبا زوجها ، وكيف أنها لا تستطيع إلا أن تفكر في حبه ، وفي عينيه اللتين كان يرنو بهما اليها . ويلقى كارل على ذلك بقوله :

— لقد انتظرتى . هذه هي الحقيقة

وعندئذ تقارن بين كارل وزوجها فتذكر أن زوجها كان بعلباً ، ولم يكن ملتهب الاعصاب نائر التفكير مثله . وتدخل إذ ذاك صدفة من صديقات (آنا) تسمى ماري Marie كانت فيما مضى تحب ريشار وسعد إذ يدعوها الى الرقص معها . ولا تكاد تلق نظرة على كارل حتى يسارع (آنا) فتقول لها :
— انه ريشار !

وتدهش ماري لذلك ولكن (آنا) تؤكد لها انه ريسار قد عاد من سجنه وبطل ماري النظر إلى كارل فتبين انه ليس ريشار ، وتعالى ذلك ، وتصارع

كارل بأنه كاذب إذ يدعى بأنه ريسار . وعندئذ تقدم (آنا) فتدافع عن كارل وتمنع صديقها عن التحدى في اتهامه بالكذب . وتبدأ ماري في ثين حب (آنا) لكارل فتشخص اليها ثم تراجع وهي تقول :

— حسناً . . . إتي خارجة . . . لا تنضي يا آنا . . . لا تنضي مني

وتصحبها (آنا) حتى الباب وهي تقول :

— لا تقولي لأحد . . . فلم يحن الوقت بعد !

وتحيي كارل تحية فيها شيء من الاجلال ثم تضم (آنا) وتقبلها وتخرج ويحلو كارل إلى (آنا) ويذكر لها في لحظة ملؤها الحنان والدعة ، انه حيث يوجد الاقتاع توجد الحقيقة . فيكني أن تقنع بأنه زوجها لكي يكون هو ذلك الزوج ! ويخبرها بأنه كان منذ صغره ينتظر شخصاً آخر سوف يساركة الحياة فيما بعد ثم يسألها :

— وأنت ؟ لقد استظرت أيضاً ؟

ويسقط رأس (آنا) إذ ذاك على ذراعيه وقد بدأت تنتحب . ويقترب كارل منها ثم ينحن عليها ويمد يده في رقعة ولين إلى شعرها . وتأثر (آنا) من ذلك الحنان الذي يفرها به وترفع رأسها وتسأله عما يعرف عن طعولها فيذكر لها شيئاً تحيله عن تلك الطمولة . وترتفع الكلفة بين الاثنين . ويتناول يديها وهو يقول لها :

— ليس هناك أرق من هاتين اليدين . . . وليس في العالم ألطف من هذه اللبنة البضة . . .

ثم يقف ويضع ذراعيه حولها . فتعطيه (آنا) شفيتها دون مقاومة وهي تقول في آهة بعد قلة طويلة :

— ريسار !

☆☆☆

وتتقضى بعد ذلك خمسة أشهر ، يعيش في أنزلها كارل مع (آنا) كما يعيش الزوجان المتحابان . وتفهم ان تلك المعاشرة قد أثمرت ثمرتها المتأخرة فحملت (آنا) من كارل . وتعلم من حديث يدور بين كارل وماري أن ريشار قد أرسل رسالة إلى (آنا) منذ مدة يجبرها فيها بأنه ربما تمكن من العودة إليها قريباً . وان كارل قد أخفى تلك الرسالة فلم يطلعها عليها . وهو يذكر لماري ان هذه الرسالة لاقية لها في نظره . فهو يعتقد ان (آنا) التي معه الآن لم يكن لها ماض مع أحد غيره ، بل كانت تعيش معه دائماً . وان (آنا) انتظرت مدى أعوام طويلة ، منذ ولادتها . وانه سوف يعطيها الرسالة على هذا الاعتبار . فاذا انضح له ان الناس ستفهم مسلكه على اعتبار آخر . على اعتبار ان ما أقدم عليه إنما هو ضرب من الحيانة والذالة في حق زميله ريشار ، فانه سوف لا يتردد في الانتحار . اذ لا يمكنه الحياة بعد ذلك . وتقبل (آنا) إيد ذلك ويطلعها كارل على الرسالة ويصارحها بالحقيقة كلها فيخبرها أن ريشار كان سجيناً معه في روسيا ، وأنه هو الذي أخبره بكل شيء عنها . وسأله عن اسمه اذ لم تكن تتاديه حتى ذلك الوقت إلا باسم ريشار فيخبرها أنه كارل .. ويذكر لها ان ريشار كان يسرد له التفاصيل عنها ، ولكنه كان يحس إذ ذاك أنه يسمع تلك التفاصيل عن شخص يعرفه وينظره وتبدى (آنا) إذ ذاك رغبة في البقاء معه رغم ذلك . وتؤكد له أنها لا يمكنها الحياة إلا معه ، وتؤننه على احتفاظه بتلك الرسالة فقد كان واجباً عليه أن يحرقها . وتحو على كارل فتاديه للمرة الأولى باسمه الصحيح ، بعد ان تعلم بان ريشار على قيد الحياة وأن عودته محتملة

ويخرج الجمع ويدخل ريشار بعد قليل في ثياب رثة وهو يعرج لمصرع في ساقه وقد طالب لحية وتغيرت ملامح وجهه وتحرك في الغرفة كما يتحرك

رب البيت . ثم نعود (آنا) فتفرع لرؤيته . وسألها عما اذا كانت لم تتحقق من معرفته فتجيبه بانها لو رآته في الطريق لما أمكنها معرفته . ويتبادل الاثنان بضع كلمات عادية ثم تسرع (آنا) بالخروج وهي تعدو فيقبمها ريسار بنظراته ثم يضحك وهو لا يعلم شيئاً عما حدث . ويدخل كارل فيسرع ريسار الى تحميمه وهو دهش لوجوده في بيته . ويذكره بأنه مدين له بحياته وعرضه لذكر أيلم الزمالة في السجن الرومى . وتشعر من خلال حديث ريسار انه يكن لكارل عواطف الصداقة الوفية ويطلب اليه أن يخلع معطفه ورداءه الخارجى باعتبار انه يزل عليه ضيقاً في بيته ! ويعد كارل الى إطاعته . ويذكر ريسار لكارل انه سعيد بالعودة الى لقاء زوجته (آنا) وانه قد أحضر لها قطعة من الحلوى التى تحبها لكي يهديها لها وانه قد احتفظ بهذه الحلوى مدة طويلة

وتقبل (آنا) بسد قليل وقد تآثر شعرها على جبينها وأخذت نظراتها تنجبه الى الافق البعيد وكأنها لا تنظر الى شيء ثم تقول :

— أين هو ؟

ثم لا تلبث أن تتقدم الى كارل وتسقط بين ذراعيه . ويذعر ريسار لدى رؤيته ذلك ولكنه لا يبين حتى الآن حقيقة ما حدث ويتساءل :

— ما هذا ؟ هل أنت مريضة ؟

فيجيبه كارل :

— يجب أن تترك آنا تذهب الى حيث شاء

ولا يلبث كارل أن يصارح بالحق فيقول له عندما يراه مضطرباً مضمراً التقدم اليها :

— ان (آنا) هى زوجتى

فيسأله ريسار :

— ماذا تقول . ووجتك أنت ؟

— يجب أن أنرح لك كل شيء . . . انها مسألة حياة أو موت

ويتبين ريشار حقيقة الموقف . وعلم أن (آنا) حامل . وتظهر عليه الرغبة في التأثر فيقسم الى احدى الآلات الحادة الموضوعة في الترفقة وينجبه الى كارل الذى يبدو عليه انه لا يرغب فى المقاومة . وتلقى (آنا) بنفسها على ريشار وهي تقول :

—إذاً فانا أيضاً .. أنا أولاً . ما عليك إلا أن تقتلى .. لا أستطيع بمد أن أحيأ إلا معه .. ومع ذلك .. فهذا ماحدث يا ريشار .. هذا ماحدث .. وسألهما ريشار عما اذا كانت تحب كارل . فتبكي وتقول :

— ريشار !

ولكنه يلح فى معرفة ما يطلب فتذكر له انها أحبه هو ولكنها الآن لانستطيع الحياة الا مع كارل . وكان ريشار يحض تلك الرغبة القوية التي تسيطر عليها فيسبح لها بان تجمع بخر ثيابها الضرورية وتضعها فى احدى الحقائق بمساعدة كارل بينما يحيل ريشار بصره فى أثناء ذلك من جهة الى أخرى كما لو كان وحشاً يهدده الموت

وتدخل ماري اذ ذاك فنسأل آنا :

— الى أين أنت ذاهبة ؟

فتجيبها فى لهجة تشف عن أدانية العاشقة المحبة الوطى

— هذا امر لا أهمية له

— أأديك نقود ؟

— هذه أيضاً لا أهمية لها

ويرتدى كارل معطله ويحمل الحقيبة . وعندما تصل (آنا) الى الباب تبحث عن كلمة وداع طيه توجهها الى رسار فلا تجد إلا قولها :

— رسار

فبرقع ريشار رأسه ويقول

— حسنًا ! حسنًا !

وتتجه ماري معهما إلى الخارج فتقول لها (آنا) في توسل :

— ابقى هنا !

ويخرج كارل وآنا وتعلق ماري الباب خلفهما وتعود إلى اللائدة التي جلس
بجانبا ريشار وتلمح الحلوى التي كان قد أعدها لآنا وعندئذ يشير ريشار إلى
ماري أن تأخذ الحلوى وهو يقول :

— انها حلوى !

ينما يهبط الستار على ذلك الموقف المخرن الصامت

ماريوس

عن الكاتب الفرنسي مارسيل بانيول

مارسيل بانيول Marcel Pagnol مؤلف هذه القصة كاتب شاب لم يكتب للمسرح إلا عدداً قليلاً من القصص المسرحية لا يكاد يتجاوز عدد أصابع اليد ولكنه مع ذلك نجح نجاحاً هائلاً لم يوفق إليه الكثيرون من أعظم كتّاب المسرح. ولعل القراء يذكرون الضجة العالمية الهائلة التي أحدثها ظهور قصته توباز Topaze التي ترجمت إلى جميع لغات العالم، ومنلت منذ طبعين على مسرح الكورسالى عندما وقّاز الممثل الفرنسي «ارنودى» الذى أخرج دور توباز بعجاب الجمهور المصرى العميق وتقديره التام. لعل القراء يذكرون ذلك الحادث الأدبى الخطير الذى ارتفع بالمؤلف الشاب مارسيل بانيول إلى النبروة «وأدر عليه الذهب» والذى جعل النقاد يقرنون بين «توباز» وقصص مولير الخالدة !

وقصة ماريوس Marius التى ألخصها لك اليوم ظهرت قبل ظهور توباز إذ منلت على «مسرح باريس» فى مارس سنة ١٩٢٩ فقدرها التقاد وتنبأوا لمؤلفها بمستقبل باهر ولم تكذب تقضى فترة وحيزة حتى تحقق هذا التنبؤ وظهرت «توباز» ولقيت ذلك النجاح العجيب المدهش

وبانيول كاتب مجدد ولا شك. ولكننى أرى أن تجديده أكثر ظهوراً فى «توباز» منه فى هذه القصة. وأكاد أشعر أنه فى «ماريوس» قد تأثر إلى

حد كبير بطريقة الكاتب المرحى لونورمان . وعلى وجه التحديد بقصته
« السن الحمراء » التى لحقتها لك فيما سبق . .

ومع ذلك فاريوس قصة ممتدة بديعة . وفن باتيول فن بكر جدير بأن
يطلع عليه قراء هذه الملخصات مادام لم يقدم الى الجمهور المصرى حتى الآن



نحن فى داخل حانة صغيرة تطل على ميناء مارسييا القديم . وهذه الحانة
يمسكها رجل يدعى سيزار César ويساعده فى إدارتها ابنه ماريوس Marius
الذى يبلغ من العمر الثانية والعشرين . رفيع القامة عميق العينين جبل الطلعة
وإلى جانب هذه الحانة محل صغير تباع فيه الفتاة فاني Fanny التى تبلغ من
العمر الثامنة عشرة بعض أنواع الاسماك

ورتفع هتار الفصل الاول عن بعض رواد الحانة وقد جلسوا يتجاذبون
أطراف الحديث . فتعرف من بينهم الى شخص يدعى أسكار تيفيج
Escartefigue يملك قارباً صغيراً ينقل به الركاب من البواخر الى الشاطئ
أولمأ وعشرين مرة فى اليوم الواحد . وعلى آخر يدعى باتيس Panisse فى
الحسين من عمره له محل كبير على الشاطئ يصنع أقسة القلاع الخاصة بالمراكب
أدر ويدور عليه ربحاً وافراً . وتشعر من حديث الساب ماريوس مع أولئك الزبائن
أنه يفكر فى السفر والرحيل . ويمن الى متن البحار حتى اذا ماسمع باتيس
يتحدث عن باخرة تسمى ماليزى Malaisie تعتم السفر الى الاقطار الشرقية
حاملة بعض العلماء لفرض الاستكشاف والتحرى العلمى ، أصغت الى ذلك الحديث
وأخذ يجمع عن تلك الرحلة ما يستطيع من المعلومات فاذا خرج بابيس وخلا
ماريوس الى أحسد زبائن الحانة سرعاً يتحدثان عن باتيس وعن اعترامه

الزواج فيذكر ان أنه يفكر في التزوج من أونورين Honorine أم الفتاة فاني .
وأنه معذور في ذلك فقد توفيت زوجته منذ مدة طويلة وظل أعزب

ويقبل رجل شحاذ رث الثياب يدعى بيكوازو Piquoiseau بمد ذلك
بقليل ويسر الى ماريوس بشيء في أذنه ثم يعطيه رسالة ويخرج وتقبل أونورين
أم فاني مرتدية ثوباً أنيقاً تراه ابنتها فتعجب به وتصار فتستأذن والدتها في الذهاب
لتغير ثوبها فهو لا يلبق بها !

وتخلو أونورين الى بانيس الذي يكون قد عاد من عمله المجاور وتحدث
اليها المجوز عن رغبته في الزواج . . وتشعر أنت في بادئ الامر كما تشعر
أونورين انه يقصد الزواج بها . . ولكنك تدبّر بمد قليل انه يرمي الى الزواج
بالابنة . . أي بفاني . . وتدهش الام في بادئ الامر ولكن التاجر المجوز
يغريها فيذكر لها أنه مستعد لاعطاء ابنتها مائة الف فرنك وان يخصص أربع مائة
الف فرنك لو الدتها ايراداً شهرياً . وتحب أونورين بأنها لا تمنع في ذلك ولكنها
تحشى ألا تقبل الفتاة ذلك الزواج الا ان بانيس يخبرها بأنه تحدث الى فاني وبأنها
أفهمته بأنها قابلة وتذكره أونورين بأنه عجوز وبأنه يكبر ابنتها بثلاثين عاماً فيجيبها
بأنه سيعطيها كل ما تشاء . من المال والثياب والحلى . . وتبته الام الى ان هناك
ما هو أهم من هذا كله . وهو شعور الفتاة بأنها يحانب رجل كهل . ولكنه
لا يقتنع . بل يسألها عما اذا كانت تظن وجود عاطفة ما بين ماريوس وفاني
فتجيبه :

— آه ! أما بشأن هذا فأنا واثقة انه طبعي !

ويخرج هذان الاثنان وتقبل فاني وماريوس ويتجادلان الحديث فتخبره
فاني انها ستزوح . وتحاول في بادئ الامر أن تحفى عنه اسم ذلك الزوج ولكنه
يلح وأخيراً يعلم انه بانيس فيثور ويسخر منه ومن هرمه وشعره الاثيب .

ومود بانيس ويجلس بجانب قنّى ويأمر ماريوس أن يحضر لها شراباً ~~يحبها~~
 ويناقش بانيس في التردد الى قنّى وفي الاقتراب منها فيتحدث به ماريوس وتراشقان
 بعض الالفاظ الجارحة التي تنتهي بأن يشبكا في شعجار . ثم يحضر أحد اتباع
 بانيس يدعو للذهاب الى عمله فيخرج بعد أن يدفع حسابه وحساب قنّى .
 وبعد أن يدعوها لتناول الطعام معه

ويخلو الشايان مرة أخرى فيذكر ماريوس انها لاحق لها في ان تنزول من
 رجل في الستين من عمره ! وان هذا سيقودها الى السقوط كما سقطت عمها
 من قبل !

ويتحدثان عن الحب . . ويتساءلان في سذاجة عما اذا كانا هما متحابين أم لا ؟
 وينكر كل منهما انه يجب الآخر ؟

ويذكر ماريوس الايام التي كانا يلعبان فيها معاً منذ الطفولة وانه كان
 يستطيع أن يحبها ، فخلالها جدير بذلك .. ولكنه لم يفعل لانه كان يعلم انه لا يستطيع
 الزواج ، لاها ولا بغيرها

ثم يقبل السحاذ بيكوازو ويهمس في اذن ماريوس الذي يجيبه بهزة رأس
 ويرجو قنّى أن تجلس في الحانة حتى يعود فتعده بذلك على ألا يتأخر عن
 الساعة الرابعة إذ هي مدعوة في تلك الساعة لتناول الطعام عند بانيس . فيجيبها :
 — حساً سأعود قبل انقضاء عشرين دقيقة . .

(يخرج بسرعة . وتجلس قنّى مفكرة . وخطأ يدوى صوت صفارة بحارية
 صادرة من إحدى المراكب . وتسمع عن بعد دقات معاول العمال الذين يستقلون
 في النواحر . ثم سدل الستار)

٣٠٣

عندما كان الحصل الثاني فحس لانزال حيب كما وقف أقل الميل وأخذت

فأني تسأل سيزار صاحب الحانة عن ذلك الشحاذ الذي أقبل منذ برهة يهمس
في اذن ابنه ماريوس فهي تريد أن تعرف سر علاقته به

وبعد قليل يقبل بانيس ولا يكاد يعطى في ماريوس حتى ينور سيزار دفاعاً
عن ابنه وحتى تصل الثورة به إلى حد أن يشتبك مع بانيس في شجار . ثم
يهدأ ويتكلمان عن سر التغير الذي طرأ على اخلاق ماريوس في المدة الاخيرة
ويعلل بانيس ذلك بعلاقته بفاني ولكن سيزار ينكر ذلك ويرى أنه لابد أن
تكون هناك امرأة أخرى في البلدة يصقتها ويغشى أن تكون هي امرأة اسكان
تيفيج صاحب القارب

ويخرج بانيس ثم يقبل أونورين وتحدث الى سيزار عن زواج ابنتها .
فتخبره أن بانيس قد طلب يدها وأنه لا سبيل الى انقاذها من ذلك الا بتزويجها
من ماريوس وهي تعلم علم اليقين أن فاني تحبه . وقد بكت ليلة البارحة بكاء مرأ
اتساء الليل وأدلت الى والدتها بدخيلة ذلك الحب القوي . وبعد سيزار بأن يتحدث
الى ابنه في ذلك

فإذا حضر ماريوس أخذ الاب يتودد اليه ثم يفتح في أمر الزواج وينصحه
أن يطلب بد فاني فيعندز الآخر بأنه لا يستطيع الزواج الآن وبلح الاب في
معرفة سر ذلك فيجيبه بأنه يعرف امرأة أخرى في البلدة وهو يحشى اذا فلتها
في أمر زواجه بفاني أن تتحر أو تقتله ولذا فهو يطلب أن يمهد لها سبيل ذلك
الحبر المفاحي

ويخرج سيزار ثم يقبل ييكوازو ويدخل مع ماريوس الى غرفة الاخيرة الذي
يسير الى شيء لا يراه الجمهور يذكر عنه ييكوازو انه ثقيل ولا تعرف ما هو
ولسكنك تحس انه حقيقة

وتعود فاني فتتبر لمجة ماريوس معها وتخبرها انها تستطيع التزوج ببانيس

وتعش هي لتلك وتسأله كيف ينصحها بذلك وهو اقنى سخر من الزوج
الجبوز . فيجيبها إنه قد تجل وإنه الآن ينصحها كأخ . ولكنها تأتي قبول
هذا التشبيه . فهي ليست اخته . وهي تتعرف له بأنها تحبه . وترده هو وحده
زوجاً لها ويذكرها بأنه قد سبق ان قال لها إنه لا يستطيع الزواج فتلع في
معرفة سر ذلك . ويأبى ماريوس أن يجيب في بلدى الامر فلما أن تلح في
معرفة ذلك السر يخبرها انه يريد الرجل . . . الرجل بعيداً . وهو لا يمكنه
أن يأخذها معه . وتهم هي ذلك الشحاذ المدعو بيكوازو بأنه أغواء على ذلك
وينكر ماريوس هذا ويحجبها بأنه منذ عدة اعوام طويلة أقبلت سفينة الى
الناطية فلما تحدث الى ربنتها علم انها قادمة من اورخيل يسمى « جزائر تحت
الريج » وأخذ ذلك الرجل يسب له في وصف عحاسن تلك الجزائر وقتتها . .
ومنذ ذلك اليوم والفكرة تملكه وتسيطر عليه

وتقول له قاتى :

— ماريوس . كنت أختى ألا تحبني . وكنت اترمد لفكرة انك يمكن
ان تحب امرأة أخرى . اما هذه الرغبة في الرجل فلم اكن اخاف منها إنها حل
طلع . واذا احببتى فأنا انفيك منها !

وتسأله :

— انت تحبني يا ماريوس اليس كذلك ؟ قلها لى مرة واحدة على الاقل .

ماريوس — اجل ، انا احبك

ويتعاقب الشابان . وتسأله عن تلك السفينة . التي اعترنم الرجل عليها فيجيبها
انها تسمى « ماليزى » وهي مخصصة لسفر ثلاثة من العلماء لغرض الاستكشاف
العلمي وستقرب ستة شهور . ويشرح لها نفوذ البحر عليه وعلى مشاعره واحساسه
فهو اذا رأى قارباً على سطح البحر شعر كأنه يجذب به مجل !

وتوسل اليه فاني ألا يرسل وأن يبقى يومين آخرين . فيطلب اليها ان تدعه
يرحل وان تنسا . ولكنها تعلق به وتكرر له انها تحبه وتستغفر
ويدق الباب ويسمع صوت ييكوازو من الخارج ينادى : «ماريوس ماريوس»
وتهدد فاني بالقائه نفسها في البحر اذا سافر وتطلب اليه ان يبقى الى جانبها
فهي تحتفظ به مادام لم يرسل حتى الآن !
وترفع في الطريق أطنى بعض المال والاعراب ونزعج سيزار أثناء نومه
فينزل الى الحانة بنياب النوم ويصر الشابان بنزوله فيدخلها ماريوس الى غرفته
ويطلق الباب وينت سيزار من خارج باب غرفة ماريوس وهمس : «انه
ينام !» ثم يصمد ثانية وتظل اطنى الاعراب تدوى وتدق الساعة منبهة
ياتصاف الليل



فاذا كان الفصل الثالث فتحن على حاجز الامواج في ميناء مارسيليا وهو
ذلك الحاجز المكون من صفوف عديدة متتارة وقد جلس ماريوس بجانب
فاني واخذنا يتجاذبان الحديث فتشعر أن ماريوس قد تغيرت حالته فأصبح لا يفكر
في السفر وهما يتناحيان عواطف الحب ويذكران بانيس وقد أصبح نصاً شقياً
بعد ان ذهبت اليه فاني وأخبرته بانها ترفض الزواج به
ويقبل ييكوازو ويطلب ان يسر الى ماريوس شيئاً وتأتي فاني في يادى الامر
ذلك وتنتهر ذلك التحاذ مطلة له انه ليس هناك سر يخفيه عنها واخيراً تسمح
بذلك بعد ان يمنحها ماريوس بأن يحبرها بما سوف يقوله له ييكوازو
وتبقى فاني وحدها في طلام الليل فتلمح شبحاً يقترب منها ثم تتبينه فاذا هو
بانيس فاذا سأته عن سر قدومه اجابها إنه يريد أن يؤدي لها خدمة . ويحبرها
أن ماريوس كصديقه ييكوازو مصاب بحنون الرغبة في الرحيل . فتجيبه إنها تعلم

ذلك . ولكنه يخبرها انه رأى ريان الباخرة التي تسمى «ماليزى» واقفاً على حاجز الامواج الآن وعندئذ تصيح قائي صارخة : «ماريوس»
ويطلب اليها ألا تصيح إذ يكفي ان نسيء الظن بذلك الشاب وببدي لها استمداه لكل خدمة تطلبها منه . ويخرج بانيس وهو يتسامل عما اذا كان قد احسن صنماً باخبارها عن سفر ماريوس وعما اذا كان من الافضل ان يتركه يسافر بدون أن يخبرها . واخيراً يحجب نفسه بأنه أحسن صنماً فلو انه سافر لاساء ذلك الى الفتاة اساءة بالغة !

وفي جهة أخرى من الصخور التي تكون حاجز الامواج يقف ماريوس مع ريان الباخرة «ماليزى» فيدلي اليه الاخير بأن الاوامر قد صدرت من باريس بالسفر في صباح اليوم التالي . عن طريق بيريه والسويس وعدن وكولومبو وهو يذكّر ماريوس بذلك الطلب الذي كان قد تقدم به اليه منذ مدة يتوسل فيه أن يقبله على ظهر باخرته ويخبره أن هناك عملاً خالياً وأنه مستعد لقبوله . ولكن ماريوس يرفض فهو لا يستطيع الرحيل

وتندس قائي بين الصخور وتحفي نفسها ثم تصت الى ما يدور من ذلك الحديث . وسمع ماريوس يصر على الرفض وبطل ذلك بأنه يجبها ولا يستطيع أن يتركها ثم يترك الريان مع ييكوازو ويصعد الى الطريق وهو ينادى :
— قائي . قائي !

وتتقدم قائي الى حبت وقف الريان ويقول لها ييكوازو :
— إذا بقي ماريوس فسوف يصبح شاحب اللون ويموت في أقل من ستة شهور بين ذراعيك ! وأنت التي سوف تقتلينه ! تقتلينه !
وينضم الريان الى ذلك الحديب فيؤكد لها أن ماريوس لن يكون زوجاً طيباً . قدمه ملوث بتلك الحرنومة . حرنومة البحر والرحيل . وأن عليها واجب

إتقاده وتسمع فاني بذلك وتطلب إلى الريان أن يحضر إلى الحانة في الصباح والآن
يخبره بأنه رآها

وبتعد الريان مع سكوازو وسمع صوت ماريوس مقرباً وهونادى: «فانى»
فتجيبه وسأله عن سبب استدعاء ذلك السحاذ له فيكذب ويخبرها أنه
يريد أن يقرض منه مالا ! وسأله غفأة :

فانى — قل . ألن تحب أبداً امرأة أخرى كما أحببتى ؟
ماريوس — كلا يا صغيتى فانى . أنت تعرفين جيداً . لن أحب أبداً
امرأة أخرى . أبداً

فانى — حسناً . لست اطلب منك شيئاً أكثر من هذا . تعال . هيا بنا نعود
إلى البيت . وهنا يدوى صوت صفارة من إحدى البواخر فيرصد ماريوس
ويشخص إلى الباخرة التى تتحرك ويصيح :

— انها الباخرة مانوبا (يخطو بضغ خطوات) بعد أربعة أيام يكونون فى
الرأس الاخضر

(ويختلط صياحه بالضجيج القادم من ناحية الباخرة وهو يهز قبضته لها .
وقد جلست فانى على صخرة لتشاهد وتبكي !)



فانا كان المصل الاخير فصحى فى الحانة التى رأيناها منذ المصل الاول وقد
أقبلت أو نوريس أم فانى تتحدث الى سيران فى خوف ووجل وتذكر أنها عادت
من السفر قبل الموعد الذى كانت حددته وانها وجدت على المائدة كؤوس حمر
فى منزلها وهي تحشى ان يكون نرق الشاب قد وصل بالسائين الى تنانحه
الوخيمة

وتطلب الى سيزار ان يسرع باتعلم اجرامان الزواج . فهي تحشى

ان نسقط فاني وهى ابنة فى الثامنة عشرة كما سقطت عمتها من قبل !
وقبل ماريوس فيحدثه أنوء عن مسألة الزواج ويطلب اليه ان يسرع
بانعامه ولسكن ماريوس يحبه بأنه قاتح خطيته فى ذلك فاعتذرت وأخذت
تحدث عن انها لا تزال صغيرة السن بالنسبة للزواج
ويخرج سيزار وبعد قليل يقبل ريان الباهرة «اليزى» ويزى ماريوس
على الرحيل فلا يفلح فيخرج بعد ان يقول له :
— أنت مخطيء

ويقف ماريوس وحده يساعد الرجال الذين يمرون فى الخارج وقد كتبت
على حوائطهم كلمة «ماليزى» وتقع السكاس من يده فشكر . وتلاحظ أنت
أن هالة شعوراً قوياً عنيماً يضطرم فى صدره فيحاول هو أن يكبته ويهزمه
ثم تقبل فاني وتحاولي والفتها اونورين وتحدث اليها حديثاً مؤلماً تفهم منه
ان العلاقة القرامية التى بينها وبين ماريوس قد انتجبت نتائجها الوخيمة الطائفة
وترمي الغتاة جسمها بين ذراعى والفتها باكية نلتمس الصنح فتأبى الام ان تصنح
بل تركها وهى ترفض ان تقبل ابنتها ويقبل بايس ويحدثها عن سفر ماريوس
فتخبره انها توافق على هذا السر ما دام فيه راحة اذ حاول بكل الوسائل
ان تفر مله وطيبته فلم يستطع . وهى توقن بأنه لو بقي لما كان سعيداً . ويتهز
بايس هذه الفرصة فيعرض عليها ان تعود اليه ما دام ماريوس سيرحل .
ويقول لها :

— هنا كما تعلمين ستطيع المرأة المتزوجة ان تصل كل شىء بدون أن
يحطر لاحد فكرة انتقادها ... أما الغتاة السابة ... هذا فظيع
ويذكر لها انها فى حاجة الى التسلة والعزاء والراحة . وهو يضمن لها كل
ذلك فتقول له :

— ولكنتك تعلم أتى أحبه هو . وأتى سأحبه مدى حياتي . وسأفكر فيه دائماً !

وبقل ماريوس ويفتح فاني في موضوع الزواج ويطلب الاسراع به واستدعاء واللتها . وهي تخشى ألا يكون هذا القول منه ناشئاً عن الحب . بل عن العرف والشعور بالمسئولية فتصارحه بأنه حر يستطيع الرجل كما يشاء وهو ينك في أنها تحدثت الى بانيس فيسألها :

— اليسن لديك الفكرة في أن تتزوجي منه ؟

— هو أو غيره . لم لا ؟

• وصيح ماريوس :

— دعني ... دعني ١٤٠٠٠

ويدخل بيكوأزو ويخبر ماريوس أنه لا يزال لديه وقت للرحيل . ويدوي صفيح الباخرة طويلاً ويحمل ماريوس حقيته فتسأله فاني :

— أترحل ؟

ماريوس — كل منا يذهب إلى ما يحبه . أنت تتزوجين مال بانيس وأنا أتزوج البحر . هذا خير لكل منا

ويدخل بانيس في تلك اللحظة ويرى ماريوس خارجاً فيصيح منادياً سيزار ويخبر فاني ان والده قادر على منعه من السفر وينزل سيزار ولكن فاني تمتنع عن اخباره برحيل ماريوس . ويحدثها الاب في خان عن وجوب زواجها من ابنه ويذكر لها ان ذلك الزواج كان امنيته منذ أحد عشر عاماً ثم يدعوها للذهاب الى رؤية الباخرة «ماليزي» اذ تغادر الساطيء فتستدر وتفضل البقاء وتأخذ في مناقشتها عن رأيها في ترتيب المنزل بعد أن تعيش فيه مع زوجها ماريوس وعندئذ ترعد فاني وسقط بين ذراعي سيزار وينتهي الفصل بهذا الموقف الرائع

سيزار - اعطى الروم يا ماريوس .. ولكن أين هذا الولد ؟
وتفتح فأتى عينيها ... عنين ذاهلتين دون مانطرة فيهما ومدو سيزار
الى البار فيحضر كأساً من الروم . ويرفع يكوازو - الذى يكون الى تلك
اللمحة مخفياً وجهه يديه - رأسه فترى المموج رسم طريقاً أبيض على وجهه
القدر ويتم

يكوازو - السويس عدن بومباي . مدراس . كولومبو ..
ينها يهبط الستار !

البيت قبل كل شيء

عن المؤلف الفرنسي بيير هامب

والبيت هنا هو البيت التجارى الذى يحتوى على تجارة مينة وعلى حركة بيع وشراء . وليس بمعناه العادى الذى يتطرق الى النهن أول وهلة . واقتد ترددت كثيراً فى ترجمة عنوان هذه القصة La Maison avant tout بالشكل الذى تراه وهو (البيت قبل كل شيء) . ولسكتى أقدمت على ذلك أخيراً بعد ان بين لى ان التعبير فى اللغة العربية عن المتجر باسم الدار التجارية أو البيت التجارى أصبح مألوفاً لا نعور فيه .. وهذه القصة التى ألخصها لك تظهر فى وضوح وجلاء كيف ان الحياة تسير فى البيت التجارى كما سير تماماً فى البيت العادى أى مأوى الاسرة ومسكنها ، وان للبيوت التجارية تاريخاً وتقاليد وفيها دسائس ومؤامرات مما لا يقل فى روعته عما يحدث فى البيوت المالكه

القديمه ١

ومؤلف هذه القصة بيير هامب Pierre Hamp قد قصد فى الواقع من وراء وضعها الى التجديد فى أساس الكتابة المسرحية فهو يرى ان كتاب المسرح القدماء والمحدثن قد تناسوا أهمية العمل والاتجار كنصر جوهرى فى الحياة العالميه . وهو يحسب كيف انكر أولئك الكتاب وجود ذلك النصر فلم ترخر به قصصهم المديدة . ولذا عمد الى وضع هذه القصة التى تقوم كلها على فكرة واحدة ، هى تحليل الحياة اليومية فى بيت تجارى كبير . واضهار

نواحي الجشع في نفس كل شخص من الاشخاص الذين يتصلون بذلك البيت عن طريق ما ، وما يمكن أن يتطور اليه ذلك الجشع من ارتكاب الجريمة التي ما كانت ترتكب لولا تلك الرغبة الفريزية الكافئة وراء التسيطر وحب الاستئثار بالسلطة !

ولقد صرح المؤلف في حديث له بملخصة تلك الفكرة التي رمى اليها إذ قال :

ولقد قرأت وأعدت قراءة مؤلفات كتابنا المروفين منذ القدم ، فكان ما يزعمني دائماً في أثناء قراتهم هو جهلهم برجل العمل وعند ما أتكلم عن رجل العمل أقصد صاحب البيت التجارى والعامل الاجير

« ان مدينتا كلها قائمة على العمل ، وهوللادة الجوهريّة في الحياة الحاضرة فيجب انن أن يكون الموضوع الجوهري للفن أيضاً »

ودلل على ذلك بقوله ان الرجل يتأثر في حياته الخاصة كل التأثير بمله ومهته. فالتاجر اذا استيقظ في أثناء الليل يفكر في عمله والاقساط المستحقة عليه وله . وينتهي بير هامب من ذلك إلى المادة بوجود تجديد الفن عن طريق ادماج فكرة العمل الحديث فيه

ومثلت (اليب قبل كل شيء) للمرة الاولى على مسرح (الاور) في أكتوبر سنة ١٩٢٣ . فاختلف النقاد في الحكم عليها . ولاحظ البعض منهم ان مؤلفها لم تستقر قدمه بقى على خيبة المسرح اذ تمود قبل ذلك أن يقصر جهوده على كتابة القصص والابحاث الاقتصادية والصناعية وهو أمر يختلف اختلافاً تاماً عن كتابة قصة مسرحية موفقه ! ولكنهم أجمعوا على ان المكرة التي دعا اليها بير هامب تستحق التقدير والاهتمام

✽ ✽ ✽

نحن في متجر من المتاجر القديمة المختصة ببيع الاقنعة للسلاسل وصناديق التجار يدعى بيت اينار Enard . وهذا البيت تديره سيدة في الخامسة والاربعين من عمرها تدعى مدام اينار ، ويساعدها في هذه الادارة أو ينوب عنها فيها - رجل يدعى فيكتور فاسور Victor Vasseur في الثانية والخمسين من عمره . خدم بيت اينار مدى ثلاثين عاما حتى استحق (مداية) الموظفين القدامى وهي المداية الفخمة التي يفخر بها ويضعها دائما بجانبه دليل أمانته ورتابه وإخلاصه للبيت الذي يعمل فيه ..

ويسمى في هذا البيت أيضا ثلاثة أشخاص آخرون . هم فنسنت هوساك Vincent Haussac وهو شاب في الخامسة والثلاثين من عمره يرأس فرع البيع في البيت ، مرح دائم الابتسام ، يميل إلى اللطافة والمجون ، وهنريette Henriette « السكرتيرة » الاولى ، وكليز Claire « السكرتيرة » الثانية

وأنت نشعر منذ بدء القصة بالفرق العظيم بين خلق فاسور مسدير المحل ورئيس حساباته وهوساك رئيس فرع البيع فيه . فالاول رجل لا يعرف الاعمال ودقاته وحساباته . ولا يؤمن بفائدة المرح والدعابة في اجتذاب العملاء . بينما الثاني على العكس من ذلك كما قلت لك . ثم ان طبيعة تقسيم العمل في البيت جعلت هوساك يحقد على زميله لاستشارته بالسلطة كلها . فهو يرى ان مدام اينار قد تنازلت عن تلك السلطة كلها لفاسور ، وأنه يتمتع بنصيب وافر منها لا يتمتع بجزء منه حتى بول اينار بن مدام اينار وورث بيت اينار ، اذ ان والدته لا تثق به . وأنت ترى من حديق يدور بين ذينك الرجلين أن فاسور يعلم كل العلم بمبلغ الحقد الذي يكنه له هوساك في صدره . وان هذا الاخير لا يتردد في قتله إذا كان هذا القتل وسيلة يتوصل بها الى التخلص منه ليحل محله في الاستئثار بالسلطة والسيطرة ..

وتقبل مدام اينارفى أثناء هذا الحديث فتدهش من خلق هذه المرأة ..
 فهي جارية بكل مافى هذه الكلمة من معنى ، وقد قبضت على نواحي العمل
 المختلفة فى البيت بعد موت زوجها بيد من حديد . حتى أوصلت أعمال بيتها الى
 درجة من النجاح لم يصل اليها بيت آخر من البيوت التى تديرها النساء ! وهي
 مطمئنة الى هذا التوفيق ولكن لا يكر عليها صفو حياتها سوى شيئين ، أولهما
 العناء المستحكم بين هوساك وفاسور ، وثانيهما خلق ابنها بول . ولذا تسمعا
 تنصح الى فاسور ان يحسن معاملته لبول وأن يحتمل ثورته اذا ثار ، وتذكر له
 أنها عندما مات زوجها لقيت متاعب حمة من الورثة ولكنها أثبتت وجودها
 وارانها حتى فازت بكل ما تريده ، ولو انها عمدت الى التوسل والرجاء لكان
 نصيبها انتظار الجود والمطاء مما يمين به عليها الباقون ! !

وكانت الطريقة التى تعتمد اليها دائماً هى معرفة ادعاء الغباوة عند الضرورة
 فالا تريد أن يكون تصم دونه أذنها ! ومالا تريد أن تفهمه يجب أن يتعلم تماماً
 واذا كان بول يسوء معاملته فليكن هو وديماً طلياً معه حتى يرغمه على أن يعامله
 نفس المعاملة

ولا تكاد تخرج مدام اينارحتى يتناول فاسور صورتها من الخزانة الحديدية
 الضخمة التى يضع فيها أموال البيت ثم ينظر اليها طويلاً ويدخل هوساك عندئذ
 فيقول فى صوت هامس :

— ألم أقل لك انك تحب صاحبة البيت ؟

ويسرع فاسور باخفاء الصورة وهو يقول :

— يا شقى !

وينكر ما ينسب اليه زميله ولكن هوساك يجابهه بأنه منذ عشرة أعوام
 يحاول ان يصرح لها بخيلة قلبه فلا يجرؤ اذ ان حياته يمنعه من ذلك ثم يقول له :

— هربت وأنت لا تزال محتفظاً بحياتك . ولم يكن هناك حد لانتعاش
احلامك وجراثمها . لقد شاب شعرك فوق صممتك . انها لم تطلب منك ان تسكت
ولكنك تعلم انها تريد ذلك ولنا فانت تسكت ولا تسكلم

وبقل بول لإنار وهو شاب في السادسة والعشرين من عمره ، شديد
الاعتزاز بنفسه ، نائر الاعصاب ، واسع الآمال والطامع فلا يكاد يحلو الى
فاسور ويتحدث اليه حتى تعلم مبلغ الحقد الذي يضطرم في نفس الساب نحو
مدير البيت ، إذ هو يعلم بان والدته قد وضعت ثقها كلها في فاسور وحرمته
منها ، وهو لا يطيق أن يكون صاحب البيت ثم يتلقى الاوامر من موظفيه ! وهو
يطالب بالسلطة التي يجب أن تكون له كالك وسيد لتلك البيت ، ويعلم انه يأبى
أن يعطى ثقة لاحد في الوجود بل بكتفي يان يعطى الاوامر ! ثم يغلو في
ثورته فيصرح بانه منذ عشرة أعوام والحقد يتزايد في صدره . فاذا سأله فاسور :
— نحوى أنا ؟

أجابه

— ونحو من غيرك إذا ؟

فينبه فاسور الى انه بذلك إنما يهاجم والدته إذ هي التي احتارته مديراً
لبيت ، وانه إذا كان يفكر في أن يثار لنفسه عن هذا الطريق ففي ذلك خراب
البيت . ولكن بول لا يعبأ بذلك ويعلم انه سيغير كل شيء في البيت . ويدع
فاسور ويشعر بالحسرة الاليمية على ثمرة العمل الطويل الذي اقنى فيه شبابه
وصحته ويقول :

— حساً . إتني أدافع عن نفسي وأدافع عنك ضد نفسك ، اتى أحمي
البيت . وما دمت لست واقفاً من أن عملي الذي بدأت به سيستمر كما هو فسأبقى !
وتستد الثورة ببول إذ ذاك فيطلب اليه أن يسلمه ماله . ولكن فاسور

يأتي لان تسليم أموال السيوت التجارية لا يكون بهذا الشكل . وعندئذ يأمره بول أن يقوم عن مقدمه فكفاء استبعاداً وأثرة مدى ثلاثين عاماً . ويسخر فاسور إذ ذاك بل يطلب الى بول أن ينحت هذه الشئام على (المدالية) التي أهدتها له والدته

وينتهى الفصل هكذا :

بول — سأضيف اليها انك لص . لص سرقت سلطى . وسرقت ثروتى .
إننى أريد أن أكون سيداً فى بيتى . أخرج من هنا !

فاسور — سأخرج عندما يحلولى ذلك . اسمح لى أولاً أن أوقع على أوراق اليوم (ينطق الخزانه ويكتب فى هدوء وعندئذ يتناول بول إنبار المدالية وهو لا يزال واقفاً الى جانبه وتهبط الستار فى الوقت الذى يرفع فيه بول المدالية لضرب بها فاسور)

فاذا كان الفصل الثانى فنحن حيث كنا وقد أخذت هنرييت تتحدث الى زميلتها كليلر فتعلم من حديثهما ان فاسور قد مات ولم يقل قبل موته إلا أنه سقط ثم أغمص عينيه ! وأنت تحس من خلال الحديث بان موت فاسور لم يكن موتاً طبيعياً وان فى الامر شيئاً . . .

وتتحدث هوساك الى بول لإنبار فهم أن هوساك عند ما علم بان إدارة البيت ربما آلت اليه أخذ يتبين خطورة ذلك . فهو يرى أن الثقة المطلقة التى تمنح لشخص انما هي عبء ثقيل ، وان شعور الفرد بان هناك رقابة عليه تجعله أقل خوفاً من ارتكاب الخطأ مادام يعلم بان شخصاً آخر سيرى عمله ، وفى هذا راحة ولا شك !

وتعرف بعد ذلك نية بول اننا عندما يتحدث الى أحد العملاء من التجار .

فهو يعتقد أن بقاء نفس الاشياء والاشخاص في البيت التجارى مما يبعث اليه
الحول والمهرم ! وانه من الواجب حدوث تغيير بين وقت وآخر . وهو يرمى
بذلك الى ان موت فاسور لم يحدث أى خلل فى نظام العمل بالبيت ، بل بالعكس
وبما كان فيه شئ من النفع على حد هذا الاعتبار الذى ذهب اليه !

ويخلو بول الى الفتاة هنرييت فتشعر بأنها تحبه وأنها تصلم الكثير عن سبب
موت فاسور فهي تميد الى بول حجباً من الاحجار الكريمة التى يضيها
فى طرف قبعة بينما تذكر له أنها عثرت عليه تحت المقعد الذى كان جالساً عليه
فاسور عند ما ضربه بول . . .

كما أنه لا تكاد مدام إينار تحاول الى هوساك حتى تذكر له مذهب اليه التحقيق
من أن موت فاسور كان موتاً جنائياً وهي تعتقد أنه قد مات اثر ضربة لانه
كان حائزاً على نقبها . وتكاد تحس بأنها تميل الى اتهام هوساك إذ أنه هو الشخص
الذى كان يحقد على فاسور ويتمنى أن يحل محله فى ادارة البيت وهو ينكر ذلك
ويذكر لها أنه وان لم يكن يحب فاسور إلا أنه كان بينهما على التوافق شئ واحد
يتفقان فيه ويحبانه معاً ، ذلك هو البيت الذى يملان فيه . ويرجونهما ألا تجهد
نفسها فى البحث عن تسبب فى موت فاسور ففى ذلك مايلوث سمعة البيت .
ولكنها تلج فى الميل الى إتهامه والرغبة فى معرفة سر ذلك الموت . وعندئذ يلج
لها من بعيد الى ان ابنها بول كان محتلياً بفاسور فى مكتبه قبل الحادثة ، وتكر
مدام إينار ذلك فيستدعى هنرييت وكثير ويسألها أمامها فيوافقته على أنهما رأيا
بول مع فاسور من خلال النافذة وعندئذ تنظر مدام إينار اليهما والبه وتقول :
— وإذن ؟

فيجبها :

— وإذن فعلينا أن نلتفت الى العمل إذ أنه لا يجب أن تحتل الاعمال .

البيت قبل كل شيء . الى ملفاتكن أيتها الآتستان ! ولاتتلك مدام إينار نفسها بعد ذلك من أن تعطى هوساك توكيلا طاماً بأن ينوب عنها في ادارة البيت وان يحل محل فاسور في ذلك

ويقبل بول ولا يكاد يعلم أن والدته قد وكلت هوساك حتى يشور ويهددها قائلاً :

— الويل له اذا أطاعك ! والويل لك اذا حاولت إذلالى !

ولكن مدام إينار لا تزال شديدة التصلب في حرمانه من ادارة البيت ويسرع هوساك بخرج مركزه ولكنها تأمره بأن يبقى في عمله الذى وكلت اليه ادارته حتى تعلم كيف مات فاسور فيقول بول لها :

— سأقول لك سر موته إنا كان في ذلك ما يحيطنى أستاذ بالسلطة

فاذا قالت له :

— تكلم

أسرع هوساك فصاح به :

— اسكت

فيخرج بول ويخلو هوساك الى مدام إينار فيذكر لها أنه لا بد ان يعلم واحد منهما ويدعن . الام أو الابن . يجب أن يضحى أحدهما خلقه من أجل البيت فتسأله :

— وأن يحكنى ابنى ؟

فيجيبها :

— أجل

وعندئذ ترفض ذلك في اباء وأنفة ، وتهمة بأنه يحصى ان يقبل الثقة التي وضعتها فيه لئلا يؤدي الهممة التي تحوم حوله بشأن موت فاسور . ويعود الى

التلخيص بأنه يتنى ان يكون احتداؤها الى سر ذلك الموت في الحفاء حتى لابلوث
سمعة البيت . وتتهم هي بأنه يقصد ابنها فتؤكد له بأنها لا تتردد في تطبيق القانون
حتى على ابنها وينتهي الفصل بهذا الحوار الرائع الموفق :
هوساك — هذا فرض يقتدر الى دليل . انما يقينى بأنه اذا كان فاسور قد
قتل فان قاتله سيحكم عليه بالاشغال الشاقة مدى عشرين طمأ . . ! ما هي
تعليماتك بشأن ادارة البيت ؟
مدام اينار — ان ينصح

☆☆☆

فاذا كان الفصل الثالث فنحن لا تزال حيث كنا . وبول اينار لا يزال
يطالب بحقه في الاستئثار بسلطة ادارة بيت والده التجارى . وأنت تدهش
لمجرد سماع الحديث الذى يدور بينه وبين هوساك في بداية هذا الفصل . إذ أن
هوساك قد تغير تغيراً تاماً بعد ان ذاق طعم السلطة والسيطرة . فلم يعد ذلك
الشاب المرح الطروب الذى عرفناه فيما سبق ، بل أصبح صورة من فاسور
وهو يأبى على بول ان يغير شيئاً في نظام البيت ، ويذكر له ان يتناً قديماً كهذا
البيت انما يقوم على قبور ! قبور جده وأبيه والموظفين القدماء الذين كانوا
يساونونها ثم يقول له :

— انك ظهرت فجأة في أفق هذا النظام القديم ومع ذلك فأنت تريد ان
تغير كل شيء . انك بذلك ستقتل الموتى الذين عملوا من أجلنا . انتى حارس
مقبرتهم الحية ! أنت أيضاً ستكون سلفاً لآخرين . وستوضع صورتك بين
صور هؤلاء

ثم يشير الى مجموعة الصور المعلقة ومن بينها صورة فيكتور فاسور .
ويشعب لون بول اذ ذاك ، ويلحظ هوساك ذلك وينبه بول الى ان فاسور
قدم مات !

وتعود مدام اينار فتتحدث الى هوساك عن موت قاسور . وهي لا تزال
تتهمه بأنه القاتل له . وعندئذ يصارحها بأنها كلما اتهمت الى التأكد من
أن ابنها هو القاتل عمدت الى اتهامه هو ! وظل فيجابهها بأنها قد خلعت
ثوب صاحبة العمل الحيارية وبدأت تظهر أمامه في ثوب الام التي تخضع لمأطفئها
قبل كل شيء . ويذكر لها انه اذا ترأيد هذا الشك في اسلم ابنها فستقبل عليه
في المرة التالية وتجتوحت قدميه لكي تتوسل اليه ألا يؤكد التهمة التي تحوم
حول ابنها والتي أصبحت هي شريكه فيها بسكوته عن كشفها والتبليغ عنها .
وترأر مدام اينار لسكرامتها إذ ذاك فتقول له :

— اتى أفضل أن اتحدد مينة أمامك على أن أخنى ساقى تحت قدميك .

اننى اطردك

وعندئذ يذكر لها ان المقد الذى معه يسطيه الحق فى البقاء

ولا يكاد هوساك يخرج حتى تدخل العاملة هنرييت وتذكر لمدام اينار انه
من الظلم شل يدى بول عن العمل . وانها لاحظت انه عندما دخل الى مكتبه
ورأى المائدة خالية من الاوراق التي كان يجب عرضها عليه تنفيذاً لامر
هوساك صر على اسنانه صريراً عقيقاً . وتعلق هنرييت على ذلك بقولها :

— لو كان هوساك موجوداً إذ ذاك لحدثت كارثة أخرى

ففسأها مدام اينار :

— أية علاقة عندك بين غضب ابنى وموت قاسور ؟

— لا علاقة

— هذا كذب

— انك تهينينى

— تجسرين على الاعتقاد بأن ابنى قاتل ؟

فتصيح هنريت :

— هذا غير صحيح . هذا غير صحيح .

وعندئذ تسكتها مدام اينار بقولها :

— عليك اللعنة . لا تصيحى هكذا بقوة . اتنى لا اهتم

وتتطرق مدام اينار بعد ذلك الى استرضاء هنريت فتذكر لها انها تعلم بانها تحب بول ولذا فعليها اتقاذه . وما دام الامر يصعد اتقاذا رجل فالحقيقة تتبع الحب ! وهي ترمى بذلك الى القول بأنه ولوان هنريت تعتقد بادانة بول فواجبها ما دامت تحبه أن تملن براءته للجميع . وتقرها هنريت على ذلك وتمدها بأنها اذا سمعت احداً يتهمة فسوف تقول انه برى.

وقبل بول ويطلب الى والدته ان تحلى له السيل وتدعه يتصرف فى امور البيت كما يشاء ، وتكاد تشعر من حديثه معها انه يعترف بجريته التى ارتكبها ولكن غريزة الام فيها لا تطيق فهم ذلك فتخرج . وعندئذ يحلو بول الى هوساك ويطلب اليه أن يسود الى عمله الاول فى فرع البيع ويدع له سلطة ادارة البيت . وتنتد المناقشة بين ذينك الاتنين فيخلو بول ويعطد هوساك ثم يهجم عليه وهو يقول :

— أريد أن أكون وحدى هنا . اخرج حياً أو ميتاً . سوف لا تعارضنى

بعد ذلك

ويرفع بول يده ويكرر نفس الحركة التى أتاها فى نهاية الفصل الاول إذ يمسك (المداية) ليضرب بها هوساك ويقاوم الاخر ويصيح منادياً العاملة طير التى تدخل ومعها هنريت ومام اينار . وعندئذ ينير هوساك الى بول وهو يقول :

— مسيو بول اينار . رئيس البيت

ويتقدم بول وقد كتف يديه ورفع رأسه فيجلس الى مكتب هوساك
وتنتهى القصة هكذا

هوساك (لمدام اينار وهو يمزق التوكيل الذى سبق ان اعطته إياه) — هنا
التوكيل الذى تنزلت ففهرقتى به لم يعد مفيداً
مدام اينار — لقد انتهى حكى

هوساك — ان البيت يجب أن يستمر (يرفع صورة فاسور) هيا يا صديقى
ان مصيرنا جميعاً الى الموت . اذهب

ايريس

عن الكاتب الانجليزى آرثر بينيرو

المعجب أن مؤلف هذه القصة لا يزال مجهولاً من الجمهور المصرى رغم أنه فى مقدمة أبطال المسرح الانجليزى الحديث ورغم انه غذى ذلك المسرح بأكثر من عشرين قصة مسرحية مثلت كلها ولاقت قدراً عظيماً من النجاح وترجمت الى لغات أوروبية عدة

والسير آرثر بينيرو Arthur W. Pinero مؤلف إيريس Iris — التى ألخصها لك هنا كما حصلت له من قبل فى هذا الكتاب قصة « الماضى الملوث » — من الكتاب الانجليز الذين اتصروا لمسرح الكاتب الترومبى هنريك أسن عندما انتقل الى انجلترا وترجم الى اللغة الانجليزية وظهر على مسارحها . وقد بلغ من شدة إعجابه بأسن أن تأثر فى طريقة كتابته المسرحية بروحه ولذا تجده فى هذه القصة وفى غيرها قصة «الصاعقة» يسير خطوة خطوة وراء الطريقة الابسية القائمة على التحليل النفسى العميق والاضطراب فى تصرفات أشخاص القصة والقموض فى رسم تلك الشخصيات فلا شك — كما أجمع القاد — أن آرثر بينيرو هو تلميذ disciple أسن الاول فى انجلترا ولست فى حاجة طبعاً الى أن أقرر هنا أن الصورة مهما وصل اتقانها لا يمكن أن تضاهى الاصل . . . وأرثر بينيرو فى قصصه كلها يحل محل المخرج المسرحى . فهو يسهب فى تقرير التنسيق المسرحى لمناظر القصة ولا يترك حركة أو سكتة على الممثل أن يأتيا

إلا وبذكراها وهو يعرف على اخراج قصصه بنفسه ويختار لها الممثلين والممثلات
ويبالي في هذه (الصنعة المسرحية) حتى أنه ليفتعل مواقف ومفاجآت قد
لا تتسق مع الطبيعة ومنطقها . وقد يكون في ذلك متأثراً بعض الشيء بالمرح
الفرنسي

وقصة اليوم مثلت للمرة الاولى على مسرح جاريك بلندن في سبتمبر
ط ١٩٠١ وفكر مسرح رمسيس في ترجمتها الى العربية واخراجها منذ أعوام
ولكنه لم يفعل !



أيريس بيلامي أرملة المرحوم مستر جورج بيلامي هي في السادسة
والثلاثين . من عمرها جيلة فاتنة توفى زوجها منذ ستة أعوام وترك لها ثروة
لأبأس بها على أن تعيش عيشة بذخ وثراء ، وإن تقيم في منزلها الحفلات تدعو
إليها أصدقائها وصديقاتها . واشترط في وصيته ألا تتزوج بعده وإلا حرمت
من التركة . . .

ورفع ستار الفصل الأول عن وصيفة أيريس تتحدث الى مستر كين محامي
سينتها عن رعبها في أن تعطيه قدراً من المال استطاعت ان تقصده لكي
يستثمره باسمها وينلك يؤدي لها خدمة حلى . ثم تقبل أيريس وسرعان ما تبدل
الى محامها بأن لها علاقة بشاب يدعى لورنس وآه اللس معها في مقصورة
بالاورا وهو فقير لا يملك شيئاً ولذا اعتزم عمه أن يرسله الى كولومبيا البريطانية
في أمريكا لكي يناضل كغيره من المهاجرين في الحصول على ثروة . وترى
من اجابة مستر كين المحامي أنه يبحث أيريس على أن تشجع ذلك الشاب على
السفر وينبها الى ان طهورها في المحافظ العامة معه أمر يوجب القند ويذكرها
بوصية زوجها التي تحرم عليها الزواج وهي تحبه بأنها قادرة على ألا تمأ تلك
الوصية وأن تقسم على الزواج برجل فقير

وهما يتحدثان أيضاً عن شخص آخر يدعى مالدونادو ، وهو من كبار رجال المال الأثريه . وأنت تفهم من حديثهما ان مالدونادو هذا قد تدله في حب ايريس ورجاها أن تقبل الزواج به فيما مضى فرفضت وعندئذ أعطاها خاتماً وطلب منها أن تبقى عندها الى اليوم الذى تعمل فيه عن الرضى . فترسله له وهو اذ ذلك يحضر اليها على اجنحة الريح

ويقبل المدعوون الى الحفلة التى اقامها ايريس في تلك الليلة ومن بينهم امرأة تدعى قافى وابنة أخيها وهى فتاة صغيرة طائشة تدعى اوريا ولورنس الذى تحدثت ربة البيت عنه الى محاميا وعلمت انها تيل اليه ومالدونادو ذلك الثرى اليهودى ، ولجأة ترى ايريس تخرج الحاتم الذى كان قد أعطاه لها مالدونادو وتقدمه له

وسألهما كين عما فعلت فتخبره انها قبلت الزواج بمالدونادو وأخرجت نفسها بذلك من ورطة التردد الطويل . وانها فعلت ذلك لحض مصلحتها . فلو قرر لورنس البقاء فى إنجلترا بعد ذلك فلن يتحدث الناس عن علاقتها به مادام لها زوج ١ واذا هاجر الى كولومبيا فهى تفقد نفسها من المعيشة معه فى كوخ حقير يتجلى فيه فقر لورنس وفاقته ١

ثم تخلو ايريس الى لورنس فيخبرها أنه قبل اقتراحه واعتزم الرحيل ويذكر لها تاريخ سفره ، فاذا به يوافق اليوم الذى ستسافر فيه الى سويسرا . وهو يرجو منها أن تسمح له بالبقاء بعد تزول المدعوين فتتخذ بأن مالدونادو قد طلب منها مثل هذا الطلب ثم تقبل بعد برهة وتدعوه الى المجيء بعد ساعه . ويقبل مالدونادو وقد امتلأ أملا بحب ايريس ويرجوها أن تظهر له حبا وأن تكون أكثر حرارة . ولكنها تصارحه بأنها لا تحبه كما تحب المرأة زوجها وانما هى تمدد بأن تكون زوجة وفيه تؤدى واجبا فى عفة وشرف وتؤكد له انها لا

تسمر نحو غيره بالاحترام الذى تسمر به نحوه . وهو يقع بذلك فى فلسفة ويشكرها فتخبره بأن هذه الحالة ربما تتغير بتماقب السنين . فاذنا خرج مالدونادو فايريس تصرخ صرخة يمتزج فيها الألم بالنتب وتسقط بكل طولها على المقعد . ثم يقبل لورنس ويطلب اليها أن تسمح له بقبلة ويذكر لها قيمة هذه القبلة قبل رحيله فستعزبه ذكراها فى دار غربته . وهى تدير وجهها وتخفيه يديها وتصارحه بأنها وعدت مالدونادو بالزواج فيحييها بأنه كان قد اعتزم الهجرة بأمل أن يرى ويعود ليعيش معها أما وقد اعترمت الزواج بمالدونادو فهو يودعها الوداع الاخير . وعندئذ تذكر له بأنها قررت تلك الفكرة فجأة بعد أن رأت ألسنة الناس قد تحركت بنقد علاقته وأنها لا تطيق أن تكون زوجة فلاح فقير تشتغل يديها . فيثور قائلاً :

— إذن فأنت تزوجينه لتفدى نفسك منى ؟

وهنا تخور قواها وتسند رأسها على حافة المقعد فيقبلها قبلة طويلة وتعتمد الى ورقة فتكتب فيها شيئاً تطيه للورنس وتطلب اليه أن يقرأها فاذنبا رسالة لمالدونادو تقول له فيها : « انس ما حدث بيننا هذه الليلة . لن يمكن . أرجو المَعذرة » وينتهى الفصل بهذا الحوار

لورنس (واقماً أمامها) — ماذا تعنين ؟

ايريس (تم بالوقوف) — أنا . . أنا لايمنى ! اتبنى الى سويسرا . كن قريباً منى . (تفتح ذراعيها له ويجلسان سوياً فى عناق)

✽ ✽ ✽

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى فيلا قائمة على شاطئ بحيرة كومو بسويسرا وقد أخذت «فاني» صديقة ايريس تتحدث الى كروكر احد أصدقائها فتفهم من حديثها ان ايريس تظهر فى تلك الايام مع (لورنس ترنوت) وان الناس يتهايمسون تلك العلاقة الآكئة وان ايريس قد أصبحت أجل مما كانت عليه

فزالتم التجماعيد التي كانت في وجهها

ثم تقبل إيريس فانها بها ترتدى ثوباً ابيض واذا بها تبدو أصغر مما كانت ،
وأكثر مرحاً وجوراً واذا بلورنس يتبعها وقد حمل الدفتر الذي رسم فيه
بريشته صور المناظر الطيبة هناك . فانها خلا الماشقان فهنا حديث شائق تمتع
كنت أود أن أثقله لك نقلاً . فهي تذكر له انها تكلفت القراءة لسكياتمنه
من الرسم وهو يحجبها بأنه كان اذ ذاك يطيل النظر الى وجهها طول الوقت
وهي تسأله عن (الماتدولين) فيجبها انه ليسها في الحديقة حيث كانا الليلة الماضية!
وما ينتقلان الى ذكر الزواج فتقول له : « انه مما لاشك فيه ان زواجهما
افضل لروحهما وانها لو ذهبت معه الى كولومبيا لمت أمنيته ولكنها لا تعبد من
نفسها القوة على انكار ذاتها والمغامرة الى هذا الحد » وهو يذكر لها انه عند
ما كتب الى صه يرجوه أن يؤجل فكرة الرجل من التجلثرا الى اجل قريب
أرسل له عمه مبلغاً من المال . وهذا هو كل رأس ماله الذي سيدأ به حياته في
دار القرية . فتحاول أن تنزيه وتطلب اليه ألا يفكر في المال فهي مستعدة
لاعطائه ما يطلب فيجبها بأنه من ذلك الصنف من الرجال الذي لا يقبل مالا من
امرأة ! وهو لا يحتمل هذا الموقف فقد كان واجباً أن يكون أقوى من ذلك
فيعملها ومحبتها . وهو ينسجم على أنه لم يتركها يوم الحفلة التي أقامت في منزلها
بلندن ، فتخبره بأنها ستري محاميا كبن وستطلب اليه أن يجد له عملاً في لندن
فيرفض ويدلي اليها بأنه لا يريد ان تشاركه آلامه وعقباته التي يصادفها في
مستهل حياته . وبأنه لو قسم له الحظ فسوف يعود في بضعة أعوام ليعدها منزلاً
حما فيه كل ممدات الراحة وخدماء يسهرون على راحتها

وتقبل فاني وكروكر ويقرآن الصحف الواردة من التجلثرا فانها تحتوى
على خبر ينزل على الجميع كالصاعقة . هو خبر احتفاء المحامي ارشبولد كبن .

عمامى ايريس الخاص ومستشارها المؤتمن على جميع أموالها ومستنداتها الخاصة بتركة زوجها . ويختلف رأى الموجودين فى سبب هذا الاحتفاء القريب فتشك ايريس أن كين مجرم ويؤكد كروكر انه عتال وانه خان ثقة عملائه به . وتشعر ايريس بالكارثة التى حلت بها وأضاعته زومتها التى ضارب بها عماميا
وسمع صوت « فاني » وهى تصيح من الخارج يا ايريس تنبها بقسوم صديق ويدخل مالدونادو فى الوقت الذى ينسحب لورنس من جانب ايريس التى تتردد قليلا ثم تعد يدها له وهى تقول فى صوت لا يكاد يسمع :
— مالدو ! — وينزل الستار

فاذا كان الفصل الثالث فنحن لا تزال فى نفس المنظر السابق وقد اخذت فاني تحدث أيضاً الى كروكر فتعرف من هذا الحديث ان ايريس قد تغير خلقها فأصبحت أسمى وأنبىل مما كانت عليه ، وان حبا لورنس قد وصل الى اقصى شدته ، وأن لورنس سيسافر فى قطار الساعة السادسة صباحاً الى لندن ليحضر الى اميركا بفرض جمع المال ، وليمود بعد بضعة أعوام الى حبيته . وإن ايريس قد اعدت مأدبة بهذه المناسبة وأنها ستغلى (العيلا) لتنتقل الى نزل صغير فى بلدة ترايموزو يتفق مع حالتها المالية الجديدة . وتشعر من حديد هذين الشخصين أنهما برئان لما أصبحت عليه ايريس فقد استغنت عن خادماتها وهى تحزم حقائبها بيديها جاثية على ركبتيها وسمع اذ ذلك صوت مالدونادو فى الخارج وتذكر فاني انه يبدى متبى العطف نحو النساء

ثم تقبل ليريس مكملته الثياب ولكن بدون زينة أو تخرج وقد احمرت عيناها الا أنها لا تزال محتفظة بمجملها ويذكر لها أنها ستصبح وحيدة ابتداء من اليوم التالى بعد رحيل لورنس وأنها ستنتقل الى نزل صغير لمدة قصيرة نعد فيها

حياتها المقبلة المقصدة . وعلق كروكر على ذلك بقوله إنها تبدو كطفل يلهو بلعبة جديدة فتجيب لذلك وتساءله في عتاب :

— كروكر هل الفقر لعبة جديدة ؟

وهي تؤكد له أنها ترحب بهذا التغير الذى طرأ على ثروتها وان هذا بعدها لليوم الذى تشاطر فيه لورنس حياته . فهي سيدة كل السعادة ! سيدة إذ تدخل منذ الفد في ذلك الكيان الجديد ؟

وتبدأ المأدبة ويقف المالدونادو ويحيى لورنس بخطبة قصيرة ويتنى له نجاحاً وحياة موفقة ويذكره بأن الجزاء الذى ينتظره بعد عودته سوف يدفعه على تذليل الصعاب . ويذكر إريس وجمالها وسحرها فنشكره هذه . ونقول له مبتسمة انها تعلم له لورنس منذ تلك البرهة على أن يوصله الى الباخرة في اليوم التالى ويعود ليخبرها عما حدث ويتحدث الجميع الى لورنس فيخبرهم أنه سيعود بعد طامين وتحلى إريس بلورنس فيقبلها ثم يخرج مع المالدونادو وبعد مدة يعود ويرفع الستار عن إريس نائمة في ظلام الغرفة ولورنس يوقد إحدى الشموع ليضيء الغرفة وهي تلومه على أنه تركها نائمة . وترى من خلال ستر النافذة بصيصاً من نور الفجر فتتمتم :

— الفجر ! — وتذكر ان هذه الساعات التى قضياها سوياً قبل الرجل قد أثرت فيها كل التأثير وقد كان أفضل لهما ان تنفذ ما اعترفته فودعه منذ أمس ولا تراه بعد ذلك . وهي تحشى أن تكون قد فقدت بعض شجاعتها فهي ترتعب وتحاف . . . تحاف من ان تضف قتييل السفر معه . وهو يشجعها على ذلك ويخبرها بأن في مكتته ان يحجز بالبرق عملاً في الباخرة وبمجرد وصولها الى مونتريال يسقدان زواجهما ولكنها تعود فتأبى ان تكون حجباً يعلق حول عنقه يتلقه ويعوقه عن السير في الوقت الذى هو أحوج ما يكون فيه الى الحرية وعدم

التقيد بزوجة ومسؤولية . ثم تودعه الى الخارج وهى تقول له فى أذنه :

— لقد أحييتك . وسأجك دائماً

— سأجك دائماً

وينزل الستار للمرة الثانية فى هذا الفصل ويرفع . وقد طلع النهار وأقبل
مالونادو يمرض عليها ان يفتح لها حساباً فى البنك الخاص به فترفض بثباتاً
وتخبره انها تذكر له جيله وتعترف به ولكنها لا تقبل مالا منه ولا يجب ان يعد
ذلك منها قسوة . وبصر هو على وجوب ان تقبل دفتر الشيكات منه ويرجوها
ان تضعه فى درج مكتبها ثم تنسأ ويلقى بالدفتر فمسلا فى الدرج وهو يلتمس
منها ان تحرقه فتؤكد له انها ستفعل

ثم يخرج وتقبل الفتاة أوربا ابنة أخى فاني وتخبر ايريس انها فى أشد حاجة
الى المال وأنها كانت ستشارك مع وصيفة ايريس السابقة ولكن هذه الوصفة
قد أعطت ما ادخرته من المال الى الحامى كين فاضاعه كله . فتشعر ايريس
بالشفقة على أوربا ووصيفتها السابقة وتخرج دفتر الشيكات من الدرج وتزج
واحداً منه ثم توقمه وتضعه فى مظروف وتمطيه لأوربا

ويدخل الخادم يعلن أن العربة قد حضرت وان كل شئ قد أعد الا
الحقية المفتوحة أمامها . وتقف ايريس شاخصة البصر إلى دفتر الشيكات
والحقية المفتوحة وقد بان الخوف على وجهها ثم تتجه فى بطله الى المكتب
وتخرج الدفتر . ويدخل الخادم مرة أخرى ويقف بجانب الحقية ثم يقول :
— هل هناك شئ آخر ياسيدتى ؟

فتردد ايريس وتشعر بأن الخادم يرمقها فتتقدم وتلقى بالدفتر الى
الحقية ثم تخرج . ويطلق الرجل الحقية ثم يتبعها بينما ينزل الستار

❖ ❖ ❖

فإذا كان الفصل الرابع فتحن في غرفة بالمتزل الذي أعده مالدونادو لايريس في لندن فقد أصبحا يعيشان معاً وهما يتحدثان عن الماضي فيذكرها مالدونادو بالموقف الذي وقفته منه عندما وعدته بالزواج ثم لفظته من أجل لورنس عشيقها ويجبرها بأنه عند ماذهب إليها في سويسرا كان يستقل نفس القطار الذي حمل الاخبار باختفاء المحامي كين . ذلك الاختفاء الذي فتح أمامه باب الامل . اذ كان معناه ضياع ثروتها . . وتحدثان أيضاً عن الزواج فهو راغب فيه وسألها عما اذا كانت تتلقى رسائل من لورنس وعما اذا كانت تكتب اليه فتجيبه بأنها لم تكتب اليه منذ اربعة أو خمسة اشهر وان لورنس قد استمر على ارسال خطاباتة الى حين يؤنبها فيها على نسيانه . ثم انقطعت تلك الرسائل . ويعود الى ذكر الزواج ويلح فيه فتجيبه بأن هذا الزواج لو تم فلايجب ان يصر على البقاء في إنجلترا . فاذا سألها عن السبب أجابته إن زواجهما منه سيجعل أولئك الاصدقاء الذين أمملوها ولسوها في عحتها يعودون الى التقرب منها باعتبارها زوجته من أجل ثروته الطائلة ولكنك تحس بأنها لم تقتنع بكل ما قاله ثم يذكران صديقهما القديم كروكر وكيف تدهورت حالته فطرد من الوظيفة التي كان يشغلها . ويخرج مالدونادو ثم يقبل كروكر ويخبر ايريس ان لورنس قد عاد من اميركا وتدهش ايريس كل الدهشة لذلك الخبر خصوصاً عند ما تعلم ان لورنس يعتقد بأن هناك شخصاً يحول بينها وبينه وانه يجمع المعلومات الكافية عن ذلك وتجلس ايريس الى المكتب وتكتب خطاباً الى لورنس تدعوه فيه الى الحجى وتعطى هذا الخطاب الى كروكر فينبها في ألم الى أنه لو حمل هذا الخطاب فهو يحون صديقه مالدونادو . وهو لم ينحط بعد الى هذا الدرك ! وعندئذ تمزق ايريس الرسالة وتمتد له وتلقي بقصاصات الورق في سلة المهملات . ويخرج كروكر وقد وعدها أن يجبر لورنس بعنوان منزلها ويدعوه الى الحجى في الساعة التاسعة مساء

ثم يمود مالدونادو ويسألها عما استقر عليه رأيها في موضوع الزواج فتطلب إليه أن يملأها أسبوعاً والا يقترب منها ولا يحدثها فيمدها بأنه سيسافر إلى جهة أخرى لقضاء بضعة أيام . ويجلس إلى المكتب لكتابة رسائل خاصة به وعندئذ يلعب قصاصات الورق بجانب سلة المهملات فيلتقط بعضاً منها ويقرأها ثم يجمع الباقي ويضعه في حبيه ، ويقترب من إيريس وقد ظهر الشر على وجهه وينتهي الفصل بهذا الحوار

مالدونادو - في مثل هذا اليوم بعد أسبوع ؟

إيريس (تعطيه يدها بدون أن تلتفت له) - أجل (يخرج بينما ينزل الستار)



فإذا كان الفصل الخامس فنحن حيث كنا منذ برهة وقد أرحى الليل سدوله وستر المصابيح الكهربائية بطيخة من الحرير الوردى . وقبل لورنس في رداء السهرة ، وقد ظهر على وجهه أثر المعيشة في الخلاء فأصبح نحاسي اللون . ويسأل إيريس عما حدث حتى عدلت عن حبها له ؟ فتؤلد له أنها تجبه وتكرر ذلك ثم يتطرق معها في الحديث ويسألها عن حياتها ويحيل بصره في الاثاث الذي تحتوى عليه الغرفة فتعترف له بأن صديقاً واحداً يعولها ويحميها وتعترف له بأنه مالدونادو فقد ثار لنفسه وفاز بها أخيراً وهي تسرد له كيف توصل مالدونادو إلى ذلك فتذكر انه انتهز فرصة وقوعها في الازمة بعد احتشاء « كين » وكيف أنه حضر إليها ومعه دفتر الشيكات وأغراها بالمال وهي في أشد الفاقة تكاد تأتي على كل متاعها ومالها ييماً وبديداً وقد بلت ثيابها وبمزقت أحذيتها وكيف أنه كان يبعها كالكلب أينما ذهب وهي لا تبا به إلى ان سمحت له ذات يوم بالسير إلى جانبها فتناولها مقتاح هذا المنزل وهي

ترجوه أن يغفر لها ذلك وتنتظر أن يحبسها ولكن لورنس يظل ساكتا لا ينطق فتضع رأسها على صدرها وتجبره انها لا تلومه فلو أنها كانت رجلا لفعلت كما يفعل ولكنها تفكر في أن خطوة الاثم الاولى التي خطتها كانت من أجل جبه . فيخفي وجهه يديه ويتمم :

— ايريس ! ايريس !

وترجوه أن يرسل لها صورة منزله داخل مظروف . فهي أشد ما تكون رغبة في أن ترى المنزل الذي يعيش فيه . فاذا خرج لورنس سقطت ايريس على المقعد لا حراك لها . ثم يدخل المالبونادو وقد تجهم وجهه وتصاعد الدم الى عينيه ووضع يده على كتفها فتصبح صبيحة ذعر وتلوى جسمها ثم تواجهه . ولكنها يقبض عليها بذراعيه ويرغمها على العودة الى المقعد ثم يقف فوقها وقد تصاعد الضرر من عينيه . ويحدثها عن لورنس ويذكر لها أنه تركها وخرج ولا بد أن يكون ذلك لانها هربت وتقدمت في السن . وفيهمها أنه اطلع على قصاصات الرسالة التي كتبها له ونشور فيجابهها بأنه احتمل كثيراً من أجلها ولكنها لم يعد يحتمل اكثر من ذلك ثم يضرب بقبضة يده على المائدة بشدة ويشير الى الباب وهو يقول :

— يمكنك أن تخرجي

ايريس — اذهب ؟

المالبونادو — هذا المكان ملكي أنا

وستمري في ثورته فيذكر لها أن هذا هو عقابها ، وجزاؤها أن تعود الى ما كانت عليه قبل بضعة أشهر عندما انتشلها . ويدق الجرس وهو يقول :

— اخرجي ! — ويسند على الحدم ويحبرم أنه استغنى عن خدمتهم ابتداء من